بسم

# فضل الشرق في حضارة الغرب

396.1
B35fA

10 SEP 1986

تجليد
صالح الفار
بيروت - المزرعة

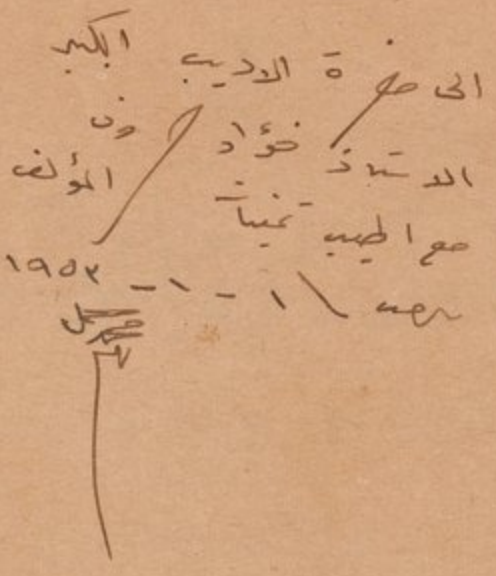
الى صفوة الأدباء
الكبير
الأستاذ فؤاد
المؤلف
مع الحب تحيات
١٩٥٢

396.1
B35fA

# فتاة الشرق

# في

# حضارة الغرب

## تطور الفكر العربي في موضوع المرأة خلال القرن العشرين

تأليف محمد جميل بيهم بيروت

دراسات بدأنا بها سنة ١٩٢٩ م وأكملناها سنة ١٩٥٢،
جاءت تاريخاً للتطور الفكري الحديث في العالمين العربي
والاسلامي، وتاريخاً للانقلاب النسائي، توخينا فيها تأييد
المساواة بين الجنسين، وزيناها بالرسوم وبشذرات قيمة
أعدت خصوصاً لهذا الكتاب من السيدات والسادة:

مريم زيادة (مي) . . . . . مصر
اميل زيدان . . . . . مصر
عفيفه كرم . . . . . الولايات المتحدة
سلوى سلامي اطلس . . . . البرازيل
الامير امين مجيدارسلان . . . الارجنتين
الدكتور عبد الرحمن شهبندر . . . سوريا
جميل صدقي الزهاوي . . . . . العراق

١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م

يصدر هذا الكتاب والمجلس النيابي اللبناني يدرس مشروع الاعتراف بحقوق المرأة اللبنانية السياسية، فيطيب لي ان أجعله تقدمة مرفوعة الى حضرة صاحب الدولة سامي بك الصلح، رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية اللبنانية، على رجاء ان يكون عهد رياسته، الذي يستأنس به اصحاب الحقوق المهضومة، محققاً اماني المرأة وانصارها.

# مقدّمة

مرحى للقرن العشرين : فكل عام منه كان بمثابة قرن كامل في تقدم الحضارة العالمية، فضلاً عن انه قرب الابعاد الجغرافية، وعمل، بالتالي، على التأليف والتوحيد بين افكار الشعوب وعاداتها وتقاليدها .

وكما كان للحربين العالميتين : الاولى والثانية ، أطيب الاثر في استقلال المرأة الغربية ، وفي نيلها حقوقها العامة ؛ وذلك بفضل الخدمات والتضحيات التي بذلتها لقومها ابان الحرب ، فان المرأة الشرقية مدينة ايضاً لهاتين الحربين في تحرّرها ، ونشاطها الاجتماعي .

كانت بلاد الشام قد بكرت في العناية بتعليم البنات، منذ اواسط القرن التاسع عشر ؛ ولكنها كانت عناية اجنبية ، في بداية الامر ، باشرتها مدارس الارساليات الدينية ، وتنافست فيها لغايات سياسية . غير ان السوريين انفسهم لم يلبثوا ان تحمسوا ، في الساحل والداخل ، لفتح مدارس خاصة بهم للذكور والاناث قصد التخلص من الدعاوات التبشيرية : وما ان تألفت جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت ( سنة ١٢٩٦ هـ — ١٨٧٨م ) حتى أقبلت على فتح مدرستين للاناث ؛ كما ان طائفة الروم الارثوذكس، في هذا الثغر، خفت سنة ١٨٨١ الى انشاء مدرسة « زهرة الاحسان » ، للبنات ؛ وتوالى بعد ذلك انشاء مدارس البنات من اجنبية ووطنية في لبنان وسائر البلاد السورية ، وكثر عدد خريجاتها . فكانت نهضة نسائية مرموقة برزت منذ مطلع القرن العشرين، تغبطها عليها سائر البلاد الشرقية .

ثم كانت الحرب العالمية الاولى فاعترى هذه النهضة فتور ظل مستحكماً حتى استأسد الاتراك حينما لاحت لهم بوادر النصر مع حلفائهم الالمان . واذا فتيان حزب « الاتحاد والترقي » ، الذين كانوا يضعون ايديهم على زمام السلطنة، يرفعون القناع عن وجوههم، ويظهرون حرصهم على تنفيذ سياسة تتريك العناصر. وافضت

هذه السياسة الى انشاء مدارس جديدة للبنات في سوريا تعنى بتربية الناشئة على هواهم، وتقوم مقام المعاهد الاجنبية التي اقفلت. وقد عهدوا ادارة تلك المدارس الى معلمات من فضليات نسائهم ؛ كما انهم اوفدوا ، من بلاد الشام ، الى كليات استامبول بعثات نسائية ، كانت تتألف من معلمات وطالبات، قصد ان يكون التتريك محبوك الطرفين .

على انه من الانصاف الاشارة هنا الى ان زعماء حزب « الاتحاد والترقي » ، وان كانوا يتوخون بذلك سياسة التتريك، الا أنهم كانوا ، في الوقت نفسه، يحرصون على تحرير المرأة . واننا لا نزال نذكر بالخير عزمي بك، والي ولاية بيروت في ذلك الحين . فقد حمل بعض وجهاء المسلمين على التعاون في سبيل النهضة النسائية : فألفت آنساتهم الفاضلات « نادي الفتيات المسلمات » الذي واظب على القاء المحاضرات للفيف السيدات ، وانشأ مدرسة تابعة له .(١) وعهد عزمي بك الى بعض السيدات من الاسر البيروتية، ادارة الملاجىء للفقراء وادارة مصنع للاعمال اليدوية النسائية .(٢) ولنا لانذكر تلك الحقبة الا ونذكر معها النشاط والاقدام والمثابرة التي اظهرها العاملون في خدمة الانسانية والعاملات ، وفي تشجيع الحركة النسائية .

ولكن ما ان وضعت الحرب اوزارها حتى خيّم السكون على هذه المساعي . وما كان سبب ذلك جلاء الترك الذين كانوا يتعهدونها بالمساعدة، ويتعهدون القائمين بها بالحماية فحسب ؛ وانما كان مرد هذا السكون الى الاحداث السياسية التي منيت بها بلاد الشام عقب الحرب : فقد قسمت بين فرنسا وبريطانيا العظمى ؛ فقامت في دمشق حكومة الاميرفيصل الهاشمية ؛ ودخلت فلسطين ومثلها شرقي الاردن، تحت الانتداب البريطاني . وبسط الانتداب الفرنسي جناحيه على لبنان ، ثم شمل، بعد حين ، سورية الداخلية .

ان هذه المفاجأة السياسية صرفت السوريين مدة ، في الداخل والساحل، عن كل شيء آخر غير الاهتمام بالشؤون السياسية . فالصهيونية شغلت فلسطين ، والاستقلال

---

(١) كانت اللجنة الادارية للنادي المذكور تتألف من الآنسات : عنبره سلام ، عادلة بيهم ، امينه شريف ، ابتهاج قدورة ، وحيدة خالدي ، وذلك برئاسة الآنسة عنبرة سلام.

(٢) كان على رئاسة ثلاثة ملاجىء كل من السيدات نجلا راشد بيهم ، فاطمة مختار بيهم ، وعقيلة كمال باشا المخيش . كما كانت ترئس المصنع عقيلة محمد بك حمادة . ثم خلفتها عليه الآنسة عادلة بيهم.

استحوذ على قلوب ابناء سوريا ، بينما كان يتلهى لبنان بالمبادىء المتعارضة تبعاً لاختلاف الطوائف .

وفضلاً عن ذلك فان وجود الاجانب على رأس السلطة والحكم جعل الناس ، ولا سيما الذين ينكرون على الغرب تسامحه مع نسائه وحرية بعضهن المتطرفة ، ينكمشون على انفسهم خشية ان يكونوا عوناً للاجنبي المحتل على نشر ما في مدنيّته من قشور وشذوذ .

كل هذا افضى الى خفوت صوت انصار المرأة مدة من الزمن ، والى سكون الحركة النسائية . غير اني مع ذلك لم اجد مبرراً للسكوت عن بقاء المرأة في بلادنا عضواً أشل ، فاستنجدت بقلمي الضعيف لتحبير المقالات المتواصلة ، وبلساني القاصر لالقاء الخطب ؛ خصوصاً وان ذلك الجمود الذي استحوذ علينا بعد الحرب لم يكن يتفق مع روح العصر ؛ ولا يتلاءم مع المبادىء العالمية التي طورتها سنو الحرب .

وفي تلك الاثناء رغبت اليّ الاميرة نجلا ابو اللمع صاحبة مجلة الفجر ، التي كانت تصدر في بيروت ، ان اكتب لها مقالاً في قضية المرأة . فبدا لي ان لا اقتصر على مقال ينشر في المجلة ثم يطوى ؛ بل ان اغتنمها فرصة لاثارة البحث ، وذلك بتوجيه استفتاء الى اهل الفضل والعلم في الموضوع نفسه على اختلاف نواحيه قصد ان أنشر اجوبتهم وارائي الخاصة في كتاب ارجو ان يكون لبلادنا ، التي تجتاز عهد الانتقال ، ولأمتنا ، التي تقف في قضية المرأة عند مفترق الطرق ، هادياً للصراط المستقيم .

وقد نشرتُ في مجلة الفجر ، المشار اليها ، في عددها الثالث من مجلدها الاول (١٩١٩ م) مقالاً عنوانه « مؤتمر النساء في بيروت » وذلك يوم لم تكن تجرؤ النساء على عقد مثل هذا المؤتمر(١) ، ولا يجسر الرجال على الاسترسال في كل مواضيعه ؛ وقد ختمت هذا المقال باستفتاء وجهته الى اهل الرأي رجوت منهم فيه ابداء ارائهم فيما تعرضت اليه خطيبات المؤتمر الثلاث .

ولكنني تلقيت قليلاً من الاجوبة ، واعتذر كثيرون بان مجلة الفجر ، التي نشر فيها الاستفتاء ، لم تصل اليهم . والواقع ان التدابير القاسية التي كانت تلجأ اليها الدول ، عقب الحرب العالمية الاولى ، حيال كل المنشورات المرسلة بالبريد كانت

(١) اول مؤتمر للاتحاد النسائي العربي في بيروت يرجع الى سنة ١٩٢٢

تفضي الى ضياع اكثرها .

ولما رأيت ان الغاية لم تتحقق اضطررت لارجاء نشر الكتاب الى فرصة اخرى ؛ غير انني لم ارجىء نضالي في سبيل نهضة المرأة : فأصدرت سنة ١٩٢١ كتابي « المرأة في التاريخ والشرائع»(١) ثم اتبعته سنة ١٩٢٧ بكتابي الآخر : « المرأة في التمدن الحديث» ؛ هذا فضلاً عن مثابرتي على تحبير المقـــالات ، في المواضيع النسائية، والقاء الخطب ، وعقد الاجتماعات.

وقد لاقيت في هذا السبيل ما كنت اتوقع : ففي السنين العشر التي جاءت عقب الحرب العالمية الاولى منيتُ بالوان من التهديـدات والافتراءات . واذا ما اقتصرت هنا على ايراد مثالين على تلك الحمـــلات ، التي وجهت ضدي ، فانما اذكرها من قبيل التفكهة ، واختار منها ايسرها الذي يصح نشره :

– ١ – تناولت الكتاب التالي: «تحية واحترام. تتبعت كتاباتك في امور المرأة، فأريد ان اباحثك في هذا الشأن . وعليه ارجو منك الجواب على ما درج ادناه .

اولاً : هل انت متدين ؛ واي دين تعتنق ؟
ثانياً : هل انت مؤرخ ، وعلى اي كتاب من التاريخ تستند ؟
ثالثاً : هل انت مجتمع ، ومع اي جماعة تعد نفسك ؟
رابعاً : هل انت لغوي ، ومن اي اللغات تستمد بيانك ؟
وان كنت متديناً مؤرخاً مجتمعاً لغوياً لي معك كلام ، والا لا لزوم للجواب .

البلدة في ١٠ كانون الاول سنة ١٩٢٧ خليل ايليا بيدس(٢)

– ٢ – بمناسبة المؤتمر النسائي العام لسوريا ولبنان، الذي عقد في بيروت سنة ١٩٢٨، رايت من واجبي، وانا اناصر المرأة ، ان ادعو المؤتمرات الى استقبال يقام على شرفهن في داري . واقتصرت في توجيه الدعوة على السيدات والاوانس مراعاة للرأي العام . واذا بي اقرأ في اليوم التالي الخبر في احدى الصحف تنشره على شكل يثير الشعب ضدي زاعمة ان الاجتماع كان مختلطـــاً ، وان المقصف الذي اعد للمدعوين والمدعوات حوى ما لذ وطاب من المسكرات والنقل ( مازه ) والمأكولات !

وتلطفت صحف اخرى بتخفيف اللهجة ، مكتفية بنشر ما يروجه المرجفون في التعليق على هذه الحفلة ، زاعمة ان القصد بها هو اعلان كشف النقاب، وخروج المسلمات من الحفلة سافرات الى الابد !

ولكني لم اعبأ بهذه الافتراءات ، ولم احفل بالتهديدات: لأن في العمل على تحرير نصف الهيأة الاجتماعية راحة ضمير من شأنها جعل كل هذه المصاعب سهلة الاحتمال.

---

(١) بلغ من رواج هذا الكتاب ان أقبل على طلب الاجازة لترجمته الى اللغة الاوردية كل من ابي الوفا عبدالحميد النعماني من بمباي سنة ١٩٢٥، وأسرار احمد السهروردي من مدينة الله اباد سنة ١٩٢٧، مما يدل على يقظة الفكر في الشرق حيال موضوع المرأة .

(٢) لا ادري اذا كان كاتب الرسالة يستتر تحت هذا التوقيع، ام انه يحمل فعلاً هذا الاسم .

هذا وكان من عواقب الحرب العالمية الاولى ، التي امتلأت اجواؤها بوعود الحلفاء السخية للامة العربية ، ان برز نشاط كبير في اقطارها المستعمرة للمطالبة بوفاء الوعود، وتحقيق العهود. ورافق هذه المطالبة نضال دموي مستمر في سبيل الاستقلال اشتركت فيه النساء فأتى بالبرهان تلو البرهان على استعدادهن لخدمة الاوطان ، وللتضحية في سبيلها ؛ وكان خيراً من الف مقال كتبته انا ، أم دبجه سواي في صعيد اقناع كثيرين بوجوب افساح المجال للمرأة لتصل الى اهدافها.

وفي هذا الجو الرحب استأنفت الجمعيات النسائية أعمالها بعد السكون الذي خيّم عليها عقب الحرب ؛ وعنت عناية خاصة بفلسطين ، وازداد عدد مدارس

بعض ممثلات البلاد العربية في المؤتمر النسائي الشرقي الذي عقد من ١٥ الى ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٣٨، للدفاع عن فلسطين . وهن من اليمين :

( الجالسات ): نازك العابد بيهم ( زوجة المؤلف ) . عادلة بيهم الجزائري . قرينة محي الدين باشا الجزائري . قرينة محمد علي علوبة باشا . بهيجة قرينة نبيه بك العظمة .

( الواقفات ) : الآنسة داغستاني. السيدة سنيه وجيه الايوبي . والاوانس رؤوشة القوتلي. فطينة العظمة . ايفا حبيب المصري.

---

البنات، واقبلت بعض المتخرجات على التخصص في العلوم، وعلى السفر في سبيل طلب العلوم ؛ كما ان انصار المرأة شرعوا يرفعون اصواتهم؛ فاذا نحن امام نشاط علمي عام يرافقه شعور مشترك، كان شعراء الامصار العربية يعبرون عنه باقوالهم السيّارة:

قال حافظ ابراهيم في مصر :

فلو خطرت للناس حواء امنا ... يلوح محياها لنا ونراقبه
وفي يدها العذراء يسفر وجهها ... تصافح منا من ترى وتخاطبه
وخلفهما موسى وعيسى واحمد ... وجيش من الأملاك ماجت مواكبه
وقالوا لهم : « ان السفور محال » ... لقالوا : « نعم حق ولكن نجانبه »

وقال خليل المطران بمصر :

وفوا النساء حقوقهن ونشئوا ... اخلاقهن على التقى والباس
ان النساء اذا أقلن فانه ... بنهوضهن نهوض نصف الناس

وقال جميل الزهاوي في العراق :

يرفع الشعب فريقا ... ن اناث وذكور
وهل الطائر الا ... بجناحيه يطير ؟

وقال معروف الرصافي في العراق:

لئن وأدوا البنات فقد وأدنا ... جميع نسائنا قبل الممات

وقد اثار هذا النشاط العام الشوق في نفسي لاتمام ما بدأت به ، وحملني على التفكير باصدار هذا الكتاب ، وذلك بعد استفتاء جديد اوجهه الى بعض قادة الرأي .

وفي سنة ١٩٣٣ كتبت ثانية الى طبقة اخرى من هؤلاء العلماء استفتيهم في محاضرات الخطيبات الثلاث اللواتي تكلمن في مؤتمر سنة ١٩١٩ المنوه به، فاتحفوني باجوبة تشير الى تطور غير قليل في الاراء بشأن قضية المرأة .

غير ان الظروف الاستثنائية، التي عرضت وقتئذ ، جعلتنا ، نساء ورجالاً ، وجهاً لوجه ، امام مناضلة الاستعمار الاسود ، ومكافحة الصهيونية الحمراء ، فتأخر صدور الكتاب مرة اخرى . خصوصاً وان نيران الحرب العالمية الثانية لم تلبث ان استعرت فجاءت ضغثاً على ابالة ، وجعلت الاجواء غير مستعدة لاثارة اي موضوع اصلاحي .

وكأن التزامي السكوت استرعى اهتمام بعض صحبي، فكان أحدهم يعيد عليّ قوله في دعابة « مالك أيدت المرأة شاباً ، وتخليت عنها كهلاً ؟ ». والواقع انني ما برحت اؤيدها في كل وقت من الاوقات مخلصاً ، واظاهرها في كل مناسبة دون ضوضاء . غير ان الانتداب الغاشم، الذي كان يغمر البلاد ، والصهيونية التي

كانت تكشر عن انيابها الحادة ، صرفاني عن البحوث الاجتماعية ، كما صرفا المرأة الوطنية نفسها ، الى النضال في سبيل استقلال الوطن وسلامته. وفي هذا السبيل اصدرت ، كتابيّ السياسيين « الانتدابان في العراق وسورية » و « فلسطين اندلس الشرق » ، وذلك ابان تلك الفترة من الزمن .

هذا فضلاً عن اني رأيت من صالح القضية النسائية ، اثناء ما كان الاجنبي يعمل على تفريق الكلمة ، وتحويل الاذهان عن الاستعمار ، اجتناب الضجة خوفاً من ان يكون لها ردّ فعل ليس في صالح البلاد .

اضف الى ذلك ان المرأة في البلاد العربية كانت قد اصبحت على حالة جيدة من التقدم المتواصل جعلتها في غنى عن مساعدة الرجل؛ خصوصاً وان روح التمدن الحديث التي غمرت العالم ، وكان الاجنبي يرعاها ، كانت تجعل الدعوة الى التجدد دون فائدة .

ثم نشبت الحرب العالمية الثانية فكان لها من الاثر الشديد في انقلاب الافكار وتطور الاخلاق وتقارب المبادىء العالمية الاجتماعية ما كان للحرب الاولى .

وموضوع المرأة ، الذي كان ، من قبل، يحوم في العالم الأسلامي حول الحجاب والدعوة لتعليم البنات ؛ ثم كان اذا ارتقى يبلغ درجة بحث المساواة في الحقوق الاجتماعية ، تعدى ، بعد الحرب ، هذا النطـــاق الى المطالبة بالحقوق السياسية ، والمساواة بين الجنسين التامة .

لذلك فقد برزت امام المرأة العربية مصاعب جديدة نشطت الى تذليلهـا . فكان على الذين يدعون تأييدها ان ينزلوا الى الميدان كرة اخرى . وكان عليّ ان أُلبي الواجب وابادر الى اصدار هذا الكتاب المتواضع الذي لا يقتصر على مناصرة المرأة في صدد الحقوق السياسية فحسب، بل يتطرق الى المطالبة بالاصلاح على اساس المساواة العامة .

بيروت ٢٥ اذار ١٩٥٢ — محمد جميل بيهم

---

# الفصل الاول

## تضارب الآراء في قضيـة المرأة

### في مطلع القرن الحالي

—

### اول مؤتمر للنساء في بيروت

— ١٩١٩ م —

برهنت المرأة الغربية ، ابان الحرب العالمية (الاولى) ، على كفاءتها في الاعمال ، وعلى وطنية اعجب بها الرجال ، حتى اذا ما نادى منادي السلم اجمع العالم المتمدن على وجوب منحها الحقوق التي طالما كانت تصبو اليها ، اعترافاً بجميلها ، وتقديراً لخدماتها.

واما في البلاد العربية فظلت المرأة محرومة من هذه الحقوق ؛ وسبقتها اليها نساء اواسط آسيا واقاصيها ، كالهند والصين واليابان على بعد بلادهن عن مهد التمدن الحديث . لذلك فان فريقاً من الجمعيات النسائية في بيروت ، وهي قاعدة من قواعد النهضة الشرقية ، اعتزم عقد مؤتمر في قاعة الجامعـة الاميركية « وست هول » قصد معالجة هذه الحالة ؛ واثارة قضية المرأة بصورة مكشوفة ؛ واختارن ثلاثا من خيرة سيداتنا للمحاضرة في الموضوع ؛ وشاء لطفهن الجم ان ينتدبنني عريفاً لهذه الحفلة ، وحكماً بين الخطيبات .

واني إذ اوجه الشكر للجمعيات المشار اليها ، التي غمرتني بثقتها ، ارجو المعذرة من السيدات والسادة الذين سهونا عن ارسال بطاقات الدعوة اليهم ؛ ذلك لان الاقبال على طلب هذه البطاقات جعل اللجنة تغفل امر توجيـــه الدعوات الى كثيرين من الفضليات والافاضل الذين تزدهر الحفلة بوجودهم ــ شكراً ومعذرة .

وبعد ، فماذا احدثك ، يا سيدي القارىء ، عن ذلك المهرجان الزاهر؟ ان القلم ليعجز عن وصفه ؛ وحسبي القول : ان تلك القاعة الفسيحة كانت غاصة بأهل الفضل

والوجاهة حتى كأنها باقة عطرة يشع الجمال من كل زهرة من ازاهيرها .

وفي تمام الساعة التاسعة شخصت ابصار هذا الجمهور الراقي الى منصة الخطابة حيث اخذت الخطيبات الثلاث مقاعدهن ، وحيث كان لي حظ الجلوس بينهن . ثم تقدمتُ من منبر يزدان بالرياحين ، وأعلنت افتتاح الجلسة قائلاً :

« سيداتي سادتي :

« شرفتني لجنة هذا المؤتمر إذ عهدت اليّ النيابة عنهـا في تقديم الشكر اليكم لتلبيتكم الدعوة ، واقبالكم على حفلتها . وانه ليسرني ان ارحب بكم ، واحيي العاطفة النبيلة التي حملتكم على مشاركتنا في هذا المؤتمر. وهو اول مؤتمر نسائي في العالم العربي . واذا جاز لي ان اخص احداً بالشكر فاني اوجه الشكر الجزيل الى السيدات المحجبات اللواتي خرقن العادة ؛ واقبلن على دعوتنا.

وبعد ، تعلمون، سيداتي وسادتي، الى اي حد كانت « المسألة الشرقية » تشغل افكار العـالم السياسي قبل الحرب العامة ؛ ولكن ما ان انتهت هذه الحرب المشؤومة في العام الماضي (سنة ١٩١٨) حتى احتلت القضية النسائية مكانها، واصبحت الشغل الشاغل للعالم اجمع مما حمل بعضهم على تسمية هذا العصر : بعصر المرأة .

وكان من الطبيعي ان يتأثر العالم العربي بهذه الحركة العامة ؛ ولكن هذا التأثر جاء على شكل متنافر نظراً لاختلاف الافكار فيه ، وتضارب الآراء. لذلك رأت الجمعيات النسائية ، ومن ورائها انصار التجدد ، عقد هذا المؤتمر لتقرير الخطة المثلى التي يجب ان تنهجها بناتنا ونساؤنا ، فيما بعد، على ضوء الصالح العام.

وانه ليطيب لي ان اقدم اليكم محاضرتنا الاولى الآنسة وداداً ... وانا اكرر الشكر لكم .»

**الخطيبة الاولى**

خلال التصفيق المتواصل الذي استقبـل الجمهور به الآنسة وداداً ، تقدمت حضرتها من المنبر برشاقة ، وهي مؤتزرة سافرة الوجه . وبعد ثوان، كانت الخطيبة تتفرس فيهـا بوجوه الحاضرين ، استهلت محاضرتها بكلمة شكر ومجاملة ، ثم قالت:

« سيداتي، سادتي:

« ان اكرمكم عند الله أتقاكم » هذا هو المبدأ الذي وضعه الاسلام في المفاضلة بين الناس. مبدأ ساوى بين العربي والأعجمي ، وساوى بين الابيض والاسود ،

فضلاً عن انه ساوى بين الامير والحقير، وذلك على اساس «خير الناس من ينفع الناس». ولكن التاريخ يروي لنا ان قومنا بعد محمد تحولوا عن هذه الاوامر الدينية، حينما ذللت الدنيا لهم، وشرعوا يترفعون عن كل اعجمي، سواء أكان مسلماً ام غير مسلم، حتى كأنهم كانوا يحسبون انفسهم مخلوقين اسياداً.

ودالت الايام فاذا الغرب الأعجمي يحتل مكانة العربي، بل يبذه في السلطان والعلم. واذا هو «يعلن حقوق الانسان»، وهي لا تختلف في شيء عن المبادىء التي قررها الاسلام: مساواة بين القوميات، مساواة بين الالوان والاجناس، مساواة بين الطبقات؛ ولكن الغربي الجديد لم يكن اصلح من العربي القديم في تطبيق هذه المبادىء المثالية: فقد ترفع دعـــاة الديموقراطية عن الشعوب المستضعفة والعناصر الملونة، واسترسلوا في كبريائهم حتى كأنهم من طينة غير طينة البشر! ذلك لأن «الانسان ليطغى ان رآه استغنى» كما جاء في الذكر الحكيم.

ومن هذا القبيل كان نظر الرجل للمرأة: فقد استضعفها فحللها موهما نفسه انها خلقت متعة له: خلقت للذته وخدمته؛ واستبد بها حتى حجبها عن الابصار. وانتم تعلمون، يا سادة، الى اي حد بلغ الغرور بالرجال حتى ان الاوروبيين، في القرون الوسطى، بحثوا فيما اذا كان للمرأة نفس مثل الرجل!

ولا ادري، يا سيداتي وسادتي، الى اي حد كان يصل ذلك الغرور لولا رجال مصلحون جاؤا، بين الفينة والفينة، وكبحوا جماح الناس.

وهل أتاكم حديث الجاهلية وما كانت عليه المرأة، في ذلك الحين، من الحطة حتى اباحوا وأدها؟ لقد قضى محمد بن عبدالله على تلك البدع؛ ثم ما فتىء يوصي بالمرأة خيراً، ولم ينسها في خطابه بحجة الوداع. ولا ريب ان تعاليم محمد كان لها الاثر الكبير في الاصلاح. وحسبها انها دمّثت الاخلاق، وهذبت الشعور، واصلحت كثيراً من شأن المرأة. ولكن هذه المبادىء الطيبة لم تلبث ان اصطدمت، بعد حين، بتقاليد الشعوب التي اعتنقت الاسلام فاستحالت الى تعاليم تنسب للاسلام، والاسلام بريء منها: تعاليم حملت المسلمين على التضييق عـــلى نسائهم، وعلى حرمانهن من الحقوق الطبيعية، فضلاً عن الاجتماعية.

نظرة بسيطة القوها معي على مدننا القديمة، ولا سيما على هندسة قصورهـــا العامرة. فماذا تشاهدون؟

ـ بيوتاً بحسبها الناظر اليها ، من خارج ، اكواخاً لا شرفة فيها ولا نافذة ، محرومة من الذوق والهندسة . حتى اذا ما دخلت هذه الدور ، واجلت نظرك في جنباتها الفسيحة ، ودققت في نقوشها والوانها البديعة غمرتك الدهشة لما حوت من ذوق واتقان ، وفن ونظام ، وخشعت للعظمة وروعة الهندسة.

انهم رأوا السجون خالية من النوافذ والشرفات، ومن سائر ما هو صلة وصل بين داخلها وخارجها فخفوا الى حرمان تلك الصروح البديعة ، التي اعدوها سجونا للنساء، من كل منظر خارجي ! آه ما اظلمك يا رجل ، وما اقساك واسوأ تأثير الغيرة على قلبك ؟ ـ احببت الطائر الغريد فحبسته ، واحببت المرأة فسجنتها . ومع ذلك فشتان ما بين معاملتيك للسجينين ! اقمت السدود في تقييد حبيبتك ، وشدّدت في سجنها ، واحكمت حجابها ، واما الطائر في قفصه فقد تركته يشترك معك في جمال الطبيعة ، ويناجي السماء العالية ؛ فكأني بقلبك الضعيف القاسي ارأف بالحمام منه برفيقة حياتك ، واوفر ثقة به حتى اطلقت نظر الطائر المجنح بينما قيدت حبيبتك مكسورة الجناح.

« سيداتي وسادتي :

تفعل العدوى في حيز الافكار كما تفعل في جوهر الاجسام . لذلك فان مدنية الامم القوية ، بما فيها من تقاليد ومبادىء ، لا بد وان تكتسح الشعوب المتخلفة ، وتفرض عليها تعاليمها . وهذا ما نراه عيانا ونشعر به جميعاً ؛ واني احمد الله على اني خلقت في هذه البلدة وفي هذا العهد الذي اصبحت فيه منزلة بنات جنسي بمنزلة الرفيقة بعد ان كانت ، في الامس القريب، بمنزلة الرقيقة (تصفيق).

ولكن الذي يؤلمني، يا اخواني واخواتي، ان المرأة المسلمة ، وان صلح حالها على وجه عام في الهيئة الاجتماعية في مدن معدودات ، وفي طبقة محدودة ، لا تفتأ على حال اقرب للقديم البالي منه للحديث الزاهر : لا اذهب بكم الى الارياف والقرى ، ولا أسير بكم الى بعض المدن في الداخل حيث لا تزال المرأة تؤمن بانها قاصرة، ثم لا تترفع عن اعمال الصغار وهفواتهم اذا غاب مؤدبها ووليّ امرها ؛ كلا لا اذهب بكم الى هناك وهنالك حيث تخاف المرأة زوجها خيفة الرقيقة من مولاها ، وتتظاهر له بالاخلاص والحب والطاعة ؛ ثم اذا اختلست غفلة منه عقته عقوق الآبقات ؛ وانما احدثكم عن بيروت مدينة العلم والاشعاع الفكري . افلا ترون كثيراً من رجالها لا يزالون بمنزلة الاسياد بين اهليهم ؟

أفلا تلاحظون ان فكرة الحجاب لا تزال مستحكمة حتى بين الفئة المتعلمة المتنورة؟

يقولون « ان الانسان ابن التربية » فاذا نشأت المرأة وتربت على اعتقاد انها قاصرة شبت وشابت على ما تربت عليه، وجاءت اعمالها، من بعد، قاصرة متفقة مع افكارها. ذلك لانها لا تعتمد في تقويم اعمالها على نفسها، وانما تضع اعتمادها على وليها. واضرب لكم مثلاً حادثة شهدتها بنفسي : حللتُ ضيفة على عيلة كريمة في مدينة سورية ، ولاحظت ان استئثار صاحب الدار بلـــغ الى حد انه كان يحتفظ بمفاتيح بيت المؤن ، وكان يعطي اهله منها بمقدار، ثم يسترد المفاتيح . وما كان مضيفي في الواقع شحيحاً ، بل كان ، على عكس ذلك ، معروفاً بالكرم . وانما كان يجري على هذه الخطة من جراء ضعف ثقته بنساء البيت بالاضافة الى حبه الاستئثار بالسلطة في كل ناحية من النواحي .

غير اني لم البث ان رأيت بام عيني مغبة هذا الاستئثار، ونتيجة ذلك التضييق: كانت الدار في هدوء وسكون اثناء اعتكاف الرجل في « الديوان » يستقبل زائريه ويودعهم ؛ ولكنه ما ان برح الدار لحاجة يقضيها في السوق حتى اصبح البيت اشبه شيء بكتّاب غاب استاذه. صراخ وضحك ، وركض ولعب. رأيت هذا الانقلاب فلم اوجه اللوم لسيدات البيت بسبب نزولهن الى مرتبة الصغار ، بل صوبت سهام اللوم للرجل الذي انزلهن هذه المنزلة المنحطة . ولو لم يفعـــل لكان لهن من انفسهن رادع ، ولكان لهن من مكانة اسرتهن ناه وآمر .

ايها الرجل، لو كنت تعرف، حق المعرفة، نفسية النساء لما عاملتهن هذه المعاملة: اجل ان مراعاة شعورهن احفظ لهن من كل حجـاب ؛ كما ان الضغط والتضيق عليهن افعل في نفوسهن من كل بادرة لاثارة حب الانتقام والمعارضة . واذا ما حدثتك عن امرأة خاطئة فما انا إلا مساهمة معك في رفض اعذارها. ولكني أروي حديثها للعبرة والذكرى : كنت تعرفت في المدرسة الى تلميذة تزوجت فيما بعد وانتقد الناس سلوكها . وقد جمعتني الصدفة بها بعد بضع سنين فلم املك من ان اسرّ اليها التأنيب، مذكرة اياها بما انعم الله عليها من مال وافر، وزوج زاهر. قالت : ولم تستح ان تقول « ان تضييق زوجي عليّ خلق في نفسي ، دون ان اشعر ، عاطفة سلبية لا تجد راحة الا بالنكاية منه ؛ وكانت هذه العاطفة تتزايد كلما زاد في سجني وظلمي حتى صارت امنيتي ان اجد غفلة لاطلق سراح حريتي!».

بئس هذه المعذرة ؛ ولكني، مع ذلك، ليس بوسعي ان انكر ما كان لزوجها

من التأثير السيء عليها في دفعها للرذيلة . إذن فعلينا ان نربي بناتنا على احترام انفسهن واعتمادهن عليها لينشأن محترمات . وعلينا ان ننشئهن نشاة السيدات اللواتي لهن من انفسهن محاسب ، فلا يتجنبن العار خشية الناس، وانما يتجنبنه من اجل انه عار. واما الحجاب فلست متعرضة له ، ولا مبيّنة مساوئه ؛ وحسبي ان اقول انه اثر من اثار استبداد الرجل بالمرأة ، واعتباره اياها قينة له؛ لست متعرضة لهذا الموضوع لان الباحثين لم يغادروا فيه صغيرة ولا كبيرة الا احصوها ، وانما الذي اود الاشارة اليه هو مقدار الوهم على البشر : انهم يتمسكون بالاسماء بينما هم يتخلون عن المسميات !

تنادون بوجوب المحافظة على الحجاب ، حسن هذا ، ولا يلام المرء على اجتهاده ؛ وانما ارجو منكم ان تدلوني على الحجاب الذي تحرصون عليه. اين هو ؟ مضى عهده وانقضى ، من جراء تأثير التطور العالمي ، وان حجاب المرأة المسلمة الذي ، نشاهده في عصرنا هذا ، ان هو الا زينة مشتهاة خفت غانيات الغرب الى تقليدها ، واقبلن عليها لما فيها من لفت نظر واغواء .

كأني بكم يا سادتي تقولون لي : « لا تنسي ان رفع الحجاب سيفضي الى اختلاط الجنسين، ولا تنسي ايضاً المساوىء التي تنجم عن هذا الاختلاط الخطر » .

لقد ادركت مصدر خوفكم ، وليس بطاقتي المكابرة فيه ؛ ولكن يطيب لي لفت نظر السادة ، والسيدات اللواتي يظاهرنهم في هذا الرأي الى ان الخطر الذي تخشون منه ليس مصدره الاختلاط بين الجنسين فحسب ؛ بل مرده ، في الواقع ، الى التطور الفكري الذي يقع ، اردنا ام لم نرد ، في اوساطنا الاجتماعية !

نحن نُقبل، سواء كنا من انصار الحجاب والاختلاط ، ام من اعدائهما: نقبل، رجالاً ونساء ، كباراً وصغاراً ، على الكتب والمجلات والصحف التي تنقل الينا مبادىء التمدن الحديث قشورها قبل لبابها؛ ونحن نتسابق الى مشاهدة افلام السينما التي اصبح اكثرها مدارس للفسق ولاثارة العواطف، فتتطور افكارنا، من جراء ذلك، وافكار نسائنا، كما تنقلب افكار اولادنا انقلاباً يتفق مع مبادىء غير مبادئنا وتقاليد غير تقاليدنا . فماذا اعددنا لدفع هذا التيار الجارف غير عزلة المرأة في حين ان ابواب البيت فتحت على مصاريعها لكل مظاهر التمدن الحديث ؟

ان هذه العزلة ، والحالة هذه، أصبحت تزيد المرأة ضعفاً على ضعف، وتزيدها

استعداداً لقبول مساوىء التمدن الحاضر دون حسناته . لهذه الاسباب كان من الواجب تدارك هذا الخطر المداهم، وذلك بان تؤهل بناتنا ، بالتربية الاستقلالية الصحيحة وبالعلم الكامل ، للكفاح في عصر لا نستطيع فيه ان نغلق الابواب دون تسرب الافكار والمبادىء العالمية ؛ ومن الواجب ان يكون حجابهن تربية صحيحة ، وعلماً نافعاً حتى لا تبقى امرأتنا عزلاء تجاه التطور الدائم.

« سادتي ، ولا اقول هنا ، سيداتي، لأني اوجه الكلام اليك يا سيدي الرجل. انت قد اصبحت في عصر النور ، واصبت قسطاً وافراً من المعارف ، فاتضح لك ، فيما اتضح ، ان الكون لم يخلق من اجلك، وان الله لم يخلق المرأة رقيقة لك ؛ وانما هي شقيقة ورفيقة . فجدير بك اذاً ان تنبذ ما حاكته العصور المظلمة من الاوهام ، وان تبتعد عن العاطفة الجامحة . جدير بك ان ترد حقوق اختك اليها: الحقوق الطبيعية التي استأثرت بها ؛ فان العصر الحاضر حظر تجارة الرقيق ، أفما حان لك اطلاق حرية الرفيق ؟ أفما آنت مساواة الشقيق ؟ »

* * *

كانت الآنسة وداد تلقي هذا الخطاب ، والتأثر باد عليها ، وتغشى حيويتها رجفة الانفعال ، وكان صوتها المرتج ينقل الى قلوب السامعين شعورها الفياض فترتفع الايدي مدفوعة بكهربائية متبادلة الى التصفيق المتواصل . وبلغ التصفيق اشده حينما حيت تحية الختام، وتراجعت الى كرسيها. ولولا ذلك التصفيق الشديد لسمعنا ، خلال هذه الضجة ؛ رنة اساور الايدي البضة الناعمة ، على قلة عدد صاحباتها ، من جراء الحماس الذي استولى عليهن .

انتظرت قليلاً اترقب هدوء الحركة لأقدم خطيبتنا الثانية ؛ ولما آنست منهم هدنة رفعت صوتي قائلاً :

**الخطيبة الثانية**

« من منكم لم يسمع باديبتنا الكبيرة الآنسة ماري ... انها في غنى عن التقديم والتعريف؛ وان الذين لا يعرفون شخصها سبق لهم ان تعرفوا الى ادبها الجم.» قلت هذا وتراجعت الى مجلسي بينما كانت الخطيبة تتقدم بخطوات رزينة من المنبر خلال وابل من التصفيق . لقد استهلت خطابها بالشكر للقائمين على تنظيم الحفلة، وبالثناء على الذين لبوا الدعوة . ثم قالت:

« سيداتي سادتي :

« تلقي شقيقتنا المسلمة، من وراء حجاب، نظرات كلها غبطة لنا نحن المسيحيات :

انها تغبطنا على مركز محمود نلناه ، وعلى مقام مرموق بلغناه. وفي الواقع اننا ، نحن المسيحيات في الشرق الادنى ، وان ادركنا شيئاً من التحرر ، وتمتعنا بمظهر من مظاهر الاحترام ؛ ولكن مخلفات العصور المظلمة لا تزال راسخة في اذهان رجالنا حتى الآن. وما التحرر والاحترام اللذان نحسد عليهما الا مظاهر يزاولها السادة من باب تقليد الغرب ، ويمارسونها ظاهراً على طريقته من قبيل المجاملة ؛ ثم اذا خلوا الى شياطينهم القوا الغرب وتقاليده وراء ظهورهم ، وعادوا سيرتهم الاولى في معاملة نسائهم .

ولعل السبب في ذلك يرجع الى بقاء المرأة في بلادنا عالة على الرجل ، والى انه هو المسؤول وحده عن نفقات العيلة . ولما كنا ، نحن النساء ، لا نرضى عن المساواة بديلا ، ولا نرضى ان نضحي بكرامتنا بأي ثمن كان ، فقد اصبحت امانينا تطلع الى مشاركة الرجل في الكسب ادراكاً للاستقلال الذي ننشده .

ولا ادري لماذا يرفض الرجل يداً مدت لمعاونته ؟ بل لماذا يستمر على اقناع نفسه بأن المرأة ضعيفة لا تصلح لغير البيت ، وانها ذات عقل صغير استناداً الى زعم الزاعمين « العقل الكبير في الدماغ الكبير » ؟

والواقع ان العلماء الاخصائيين برهنوا على بطلان هذا الزعم : اذكر منهم فلورنس وموسو ودنيكر ودبوا دوبرن* ؛ ذلك لأن هذه النظرية ، ان صحت ، كان اجداد الفرنسيين في عصر الظلمات ارجح عقلاً من الباريسيين المعاصرين ، وكان بعض البلهاء اكبر عقلاً من فريق من العلماء(١) .

وكذلك فان نظرية القائلين بمراعاة نسبة الدماغ للجسم هي ايضاً باطلة : اذ لو اخذنا بهذه القاعدة لاصبحت القردة ومعظم الطيور ارجح عقلاً من عقول الرجال ، بل لكانت عقول النساء اكبر من عقول الرجال(٢) .

---

(١) قابل بعض المتخصصين بين جاجم الغول Gaulois سكان فرنسا القدماء وبين جاجم اهل باريس المعاصرين فرجحت الاولى على الثانية . هذا الى ان اثقل دماغ من ادمغة مشاهير العلماء كان دماغ الروائي تورگنيف . على حين ان دماغ احد باعة الصحف بلندن زاد وزنه ٤٠٠ غراماً على دماغ تورگنيف اذ بلغ ٢٤٠٠ غراماً .

* Fleurens , Mossos , Dniker , et Dubois de Berne

(٢) اثبت الاستاذ أيوني A. Eyonies في كتابه Le naturalisme devant la science ان نسبة دماغ المرأة لجسمها اكبر من نسبة دماغ الرجل لجسمه .

واني ، يا سادة ، اتوخى الانصاف، فلم استند الى هذه النظرية لابرهن على ان عقل المرأة هو ارجح من عقل الرجل ؛ كما اني لا ادلل على ذلك بما نشاهده في المدارس المختلطة من نيل الطالبات ، غالباً ، دون الطلاب ، الجوائز الاولى ، وذلك في مرحلة من مراحل الحياة لاتصنّع فيها ولاتكلف ؛ بل اوردت ما اوردت من النظريات العلمية بغية القول بان المرأة صنو الرجل في الاستعدادات الطبيعية ، وانها جديرة بان تجاريه في ميادين العلم والعمل . واما ما يبدو عليها في الوقت الحاضر، من تقصير وتخلف وضعف فما هو، في الواقع، الا اثر من اثار استبداد الرجل الذي ضيق عليها طيلة اجيال ، وخنق مواهبها .

وبعد ، فاذا صح القول « ان المرأة والرجل صنوان في العقل والتدبير » فلماذا تتخلف عنه عند نيل الحقوق الطبيعية ؟

« أفي الشرع اعدام الحمامة ريشها واسكانها فوق الغصون عن السجع ؟ »

ان انظمة السلطنة العثمانية لم تكن لتساعدنا على تحقيق هذه الامنية ؛ اما الآن وقد تبدل الكون غير الكون بعد الحرب العالمية ، ومنحت المرأة الغربية حقوقاً كثيرة مكافأة لها على جهودها في سبيل اوطانها ، فالآمال اصبحت معقودة على رجالنا الذين لا يزالون يستأثرون بالسيادة لكي يطلقوا حرية نسائهم ، ويفسحوا لهن مجال العمل ، ويتخلوا عن سائر حقوقهن المهضومة ؛ وانا الكفيلة لهم باعلان عفو عام عما فرط منهم من استئثار . « تصفيق حاد »

وهذه ، يا سادة ، الكلمة الاولى التي تصدر عن المرأة السورية في هذا الموضوع ؛ انها ستكون ثقيلة على آذانكم ؛ ولكن اعتمادي على رحابة صدوركم نشطني للادلاء بها . واني لأرجو ان يتقبلها الرجل بقبول حسن ، وان يعمل لتحقيقها ؛ خصوصاً وان المرأة في بلادنا بالغة ، ولا ريب ، هذه الاماني في عصر المرأة . وقد قال الزهاوي :

« وليس من قوة في الكون قاهرة تستطيع ان تقعد الاقوام ان نهضوا »

اذاً من الحكمة ان يظهر الرجل مساعداً لها في هذا السبيل لا مناوئاً . وقد جاء في الحكم : اذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون . اه »

* * *

كان الواقف على منصة الخطابة يلاحظ عند انتهاء الآنسة ماري من القاء خطابها اختلافاً بيّناً في حركات الحاضرين: ففي جوانب القاعة، حيث يزيد عدد

النساء على الرجال ، كان يسمع هرج ومرج وتصفيق حاد ، بينما كان يشاهد في المقاعد التي يزيد فيها السادة على السيدات همس ولمز وهز بالرؤوس : حركات تساؤل واستهجان . وعلى رغم اني كنت اغتنمت فرصة سكون سنحت لتقديم خطيبتنا الثالثة السيدة هدى ...، وهي اكبر الخطيبات سناً ، فان اصغاء الحاضرين الى كلمتي لم يكن تاماً الا عقب ان تقدمت الخطيبة من المنبر فاتجهت الانظار اليها :

« سادتي وسيداتي :

« ما كادت السيدة هدى تنادي الجمهور مقدمة الرجال

**الخطبة الثالثة**

« بالذكر على النساء حتى ابرقت اساريرهم ، وشرعوا

« بالتصفيق الحاد استحسانا ؛ فكررت قولها :

« سادتي سيداتي :

« فطر الانسان على الملل من الحال التي هو فيها ، وجبل على حب الانتقال من حال الى حال ؛ ثم متى بلغ ما تمنى عاد للتأفف منه طالباً سواه . وهذا ما عناه الشاعر مستشهداً بآية قرآنية :

« يتمنى المرء في الصيف الشتا فاذا جاء الشتا انكره »
« فهو لا يرضى بحال مطلقاً « قتل الانسان ما اكفره »

المسلمة تعتقد ان اختها المسيحية اوفر منها حرية في الهيئة الاجتماعية ، وارفع مقاماً فتتبرم من حالها ، وتطمح الى بلوغ منزلة مواطنتها واستقلالها .

والمسيحية ، في بلادنا ، تتأسف على حالها كلما رفعت نظرها الى المرأة الغربية وتغبطها على تحررها ومكانتها ، وعلى مزاحمتها الرجل في المناصب والمعامل والاسواق. والواقع ان السعادة انما هي في القناعة ، وان السلامة في السير على سنة النواميس الطبيعية .

اما الاعتقاد ان المرأة التي نالت في الغرب حقوقها المدنية والسياسية تسنى لها ادراك السعادة التي تتوخاها فهو باطل الاباطيل . والحق الحق اقول لكن يا اخواتي ، ان الانظمة الاجتماعية هي بنت النواميس الطبيعية ؛ وهي لم تستقر على ما نراها الآن الا بعد ان اشتركت بتكوينها الاجيال ، ومشت على سنة تنازع البقاء وبقاء الانسب .

انه لقول فصل وما هو بالهزل : ان كل محاولة يراد بها تبديل النظام الاجتماعي

وفقاً لهوى الافراد ، تبديلاً فجائياً ، يعتبر ضاراً ، ويعد من قبيل معارضة نواميس الطبيعة .

ومن المعلوم ان النظام الاجتماعي قائم على قاعدة التفاوت في المراتب، وعلى توزيع الاعمال بمقتضى الاستعدادات الفطرية . نظرة بسيطة الى عالم الحيوان ترينا ان كل مقام يتبوأه واحد من انواعه ، او واحد من اجناسه ، إن هو الا حقه ، لا اقل ولا اكثر ، حقه الذي يؤهله له استعداده الطبيعي .

وعلى هذا يسوغ لنا ان نتساءل من بعد : ايكون التفاوت بين الرجل والمرأة في الخدمات العامة ، وفي المراتب الاجتماعية بدعة منكرة ؟ ام هو نتيجة نضال كوني عادل ؟

كلا يا سيداتي ليس تفوق الرجل ، وليست سيادته هما من اثار استبداد الرجل واستئثاره ، كما تزعم المتطرفات من النساء ، وكما يجاريهم في ذلك انصار المرأة . وانما هما نتيجة طبيعية لمواهبه واستعداده . وهذا ما نراه في سائر عالم الحيوان حيث الذكور سائدة متفوقة على الاناث .

ولقد ايد العلم واثبت العمل هذا التفوق الذي يتمتع به الذكور على الاناث في العقل والكفاءة ؛ ولتسمح لي عزيزتي الآنسة ماري ان أخالفها في زعمها ان لا علاقة للعقل بالدماغ . ألم تقرأ ما كتبه بيشوف Bishoff ، وما قاله فوكت K. Vogt ؟ اثبت الاول: ان « الدماغ مقياس العقل » ؛ واكد الثاني ان « العقل الكبير في الرأس الكبير . » واما الامثلة التي تشذ عن هذه القاعدة فلا عبرة لها .*

هذا الى ان التجارب ، في ميدان الحياة برهنت ايضاً على تفوق الرجل ، كما اثبتت عجز المرأة عن مزاحمته ، مزاحمة جدية ، في الاعمال التي جعلها الدهر من مقدوره وحده .

ارسلوا معي النظر الى المراة في الغرب تروها تحاول ان تتمثل بالرجل في ميادين العلم والعمل . ولكن من يدقق في النتائج يتأكد عجزها عن مجاراته ، انْ في الاعمال وان في العلوم التي تحتاج الى جهد جسدي ام عقلي . وما عدا

* لدى المقابلة بين الادمغة المتنوعة وجدوا ان متوسط حجم دماغ اكبر جنس من السعادين المسمى غوريلا يبلغ ٥٣١ سنتمتراً مكعب في حين ان اتساع اصغر دماغ للانسان يبلغ ١٥٠٠ سنتمتراً . وعدا ذلك لاحظ العلماء اتساعاً ممتازاً في أدمغة عظماء الرجال مثل دوك مورني وشيلر وكوفيه ولورد بيرون وتور كنيف .

افراداً نستثنيهم من النساء فانا نلاحظ ان جميع النازلات الى ميادين العلم والعمل يخترن الاعمال الخفيفة ، ويتخلين للرجال عن ما كان منها شاقاً : زاولت المرأة التأليف فاختارت منه الناحية الادبية على الاكثر. انها كتبت وخطبت في المواضيع الاجتماعية والتاريخ ؛ واما العلوم ، ولا سيما الرياضية منها والطبيعية ، فقد تركتها ، الا ما ندر ، للرجال . اضرب لكن مثلاً على ذلك علم الفلك ؛ فكم كتب فيه وحبّر من علماء الانكلوسكسون ؛ ومع ذلك فلم يشتهر في هذا العلم من نسائهم، في القرن التاسع عشر، غير مريم سومرفيل الانكليزية ومريم

ماري سومرفيل ١٧٨٠ – ١٨٧٢ Mary Somerville
رياضية فلكية انكليزية شهيرة بمؤلفاتها العديدة

ميتشل الاميركية ، ثم أمرفيل وكلارك وقليلات غيرهنّ ، ويقال مثل هذا في صدد علمي الحقوق والطب اللذين لم تبرّز النساء فيهما على الغالب .

وزاولت المرأة العمل للكسب وحاولت ان تزاحم الرجل في كل المرافق ، ولكنها لم تلبث ان حادت ، مضطرة ، عن الاعمال التي تحتاج الى مشقة واجهاد جسمي ؛ وانكبت على التربيـة والتعليم وعلى التمريض ووظائف المكاتب ، وما شاكلها من المهن والخدمات الخفيفة .

واما ما قيل عن تفوق الطالبات في المدارس على الطلاب، فهذا ، ان وقع، فلا يأتي دليلًا على ميزة المرأة على الرجل في الذكاء والنباهة ؛ بل يعزى الى خلة الصبر التي تتخلق بها الفتاة فتجعلهـا تتحمل متاعب الدراسة ، وتخضع للمدرسة اشد من الفتى ؛ هذا فضلًا عن ان نمو العقل في الفتيات يسبق نموه في الفتيـان فيساعد الطالبات على كسب هـذا التفوق ؛ ولكنه تفوق موقت لا يلبث ان يتلاشى بتأثير اطراد نمو عقل الفتى بمقدار اوفى من نمو عقل الفتاة .

« سيداتي وسادتي :

« وجعلنا بعضكم فوق بعضاً درجات » ، هذا ما جاء في القرآن الحكيم . وهو حكمة بالغة من حكم خالق الكون . اذ لو طبقت المساواة لاختل توازن الكائنات . وانت يا اختي وداداً ... ، قالت هذا وحولت وجهها الى الخطيبة الاولى ، نحن متفقتان على ما قاله الشاعر :

« ليت النقـاب على النساء محرم كي لا تغر ذميمـة انسانا »
« كم من فتاة في النقـاب مليحة تضني بحسن قوامهـا الفتيانا »

نحن متفقتان على ان الحجاب ليس طبيعياً ، وان تيار التمدن المعـاصر سيأخذه اخذ عزيز مقتدر ؛ ولكن التأهب للسفور ، قبل مباشرته ، امر مطلوب : لان رفع الحجاب يؤدي حتما الى الاختلاط ؛ وهذا لا تؤمن عواقبه ، ولا سيما قبل نضوج المرأة المسلمة ، وقبل ان تتدرع بالمناعة العلمية والادبية . هـذا فضلًا عن ان للسفور مغبات وخيمة بالنسبة لاعتباراتنا ومقاييسنا التي هي غير اعتبـارات الغرب ومقاييسه . وقد قال شوقي :

« ان السفور كرامة ويسارة لولا وحوش في الرجال ضواري »

وقال كنفوشيوس :

« اترك الزمن الكافي لصغير الزهر كيما يفتح وينور . ولا تعجل به الى الذبول بقطفه باكراً قبل اوانه كي تضعه على صدرك ظاناً ان حرارة جسمك كافية لان تفتحه . »

بقيت لي اخيراً كلمة اود ان اوجهها الى سادتي الرجال .

ايها السادة من هي المرأة ؟

— هي والدتكم وشقيقتكم وابنتكم ، هي حبيبتكم وزوجتكم ، فاذا احسنتم معاملتها فانما تحسنون معاملة ذويكم . المرأة هي هي الوردة الفواحة العطرة التي تستنشقون اريجها ، فارفعوها برفق الى صدوركم . وهل مقام الورود الا في الصدور ؟

* * *

ما كادت السيدة هدى تختم خطابها بتحية الرأس والانحناء قليلاً ، ثم تتراجع الى كرسيها ، حتى دوت القاعة بالتصفيق دوياً شديداً . وكان اوفر المصفقين بعض طلاب الجامعة ، ليس عن اقتناع بما قالته الخطيبة ؛ وانما قصد اذكاء النار التي اضرمتها في افئدة فريق يسير من الفتيات المستمعات .

ورغم اني تقدمت من المنبر لاعلن اختتام المؤتمر بكلمة اعرب فيها عن شكري للخطيبات ، وللحاضرين والحاضرات ، ولأدلي بحكمي على المحاضرات ، فان التصفيق المتواصل ظل يشتد حتى ايقظني من نومي ، ففتحت عينيّ فاذا انا مستلق على فراشي ، وليس هناك مؤتمر ولا حوار ولا تحكيم . وانما كان موضوع المرأة ، الذي اصبح حديث الناس ، قد استحوذ على مخيلتي ، واتخذها مسرحاً مثّل فيها ذلك المؤتمر ومناظراته وملابساته . وما كان ذلك الضجيج الذي ايقظني وقطع بيني وبين ذلك المنام اللذيذ الذي كنت اسبح فيه الا رعداً شديداً في ليلة عاصفة ، ولم املك نفسي عن معاتبته قائلاً : « يا رعد اما تريثت وتمهلت حتى ألهم الحكم بين الخطيبات ، فلعلي كنت اوفق الى الرأي الصائب ، فأسدي بذلك خدمة الى قومي الذين تضاربت اراؤهم ، بعد الحرب العامة ، في شأن المرأة ، واختلفوا في اختيار الوجهة التي يجب ان يولوا وجوههم شطرها .

« لقد اسأت يا رعد بايقاظي ، ولكني سأحاول ان اجعل المنام يقظة ، وذلك بان الجأ الى اهل العلم والفضل استفتيهم في ماذا يكون رأي كل منهم لو كان حكماً بين خطيبات المؤتمر . وهكذا نسترشد بهم في دور الانتقال الذي تجتازه الامة العربية بدلاً من الاقتصار على حكمي الفرد . »

# الفصل الثاني

## مختارات من الاجوبة التي وردت في سنتي ١٩١٩ و١٩٢٠

### على الاستفتاء

ربما ، لو وجهت الآن الاستفتاء ، بشأن وجهات نظر خطيبات المؤتمر الثلاث ، الى الذين تلطفوا بالاجابة عليه سنة ١٩١٧ ، لوردت اجوبتهم تختلف بعض الاختلاف عما سأدونه لهم ؛ وذلك نظراً للتطور العظيم الذي حدث في افكار العالم عامة ، وفي الشرق خاصة في موضوع المرأة ؛ ولكني اخترت اثبات الاجوبة كما وردت قبل ٣٢ سنة لتقدير التطور الذي حدث ، وتعيين مقياس التبدل في الافكار .

هذا ويؤسفني ان يصدر هذا الكتاب بعد ان فقدنا كلا من الآنسة مريم زياده والسيدة عفيفه كرم ، والسيدة ساوى سلامه اطلس اللواتي يزدان هذا الفصل بارائهن القيمة. فقد كانت الاولى زينة الادب في مصر ، كما كانت الثانية علماً من اعلام النهضة المهجرية في نيورك ، والثالثة ركناً من اركان الادب العربي في سان باولو (١) .

واما الاستاذ اميل زيدان ، احد اصحاب الاجوبة المثبتة في هذا الفصل ، فهو ، اطال الله عمره ، احد صاحبي دار الهلال في القاهرة . عرف كيف يذلل العلم لادراك النجاح ، فاصبحت دار « الهلال » في عهده وعهد اخيه وشريكه الاستاذ شكري ، فلكاً لبدر كامل في فضاء الادب الراقي .

**جواب الآنسة مي**

ان كلا من الخطيبات الثلاث مصيبة فيما ارتأته وجاهرت به لان كلاً منهن انموذج لطائفة من النساء وجدت في الماضي وستفتأ موجودة في المستقبل . ان الحقيقة لاتحتكر وان ادعى احتكارها كل احد . بل هي موزعة في كل مكان وكل رأي وكل

(١) السيدة ساوى اصدرت مجلة « الكرمة » ، سنين عديدة ، في البرازيل ، وهي حمصية المولد ، كما ان الآنسة مي والسيدة عفيفه هما لبنانيتان .

صواب . وهي كامنة تحت كل خطأ ظاهري . كذلك الحياة متنوعة في الصور من طبعها . ولما كان تنوع الصور واختلاف الطبائع بين بني الانسان مما لا بد

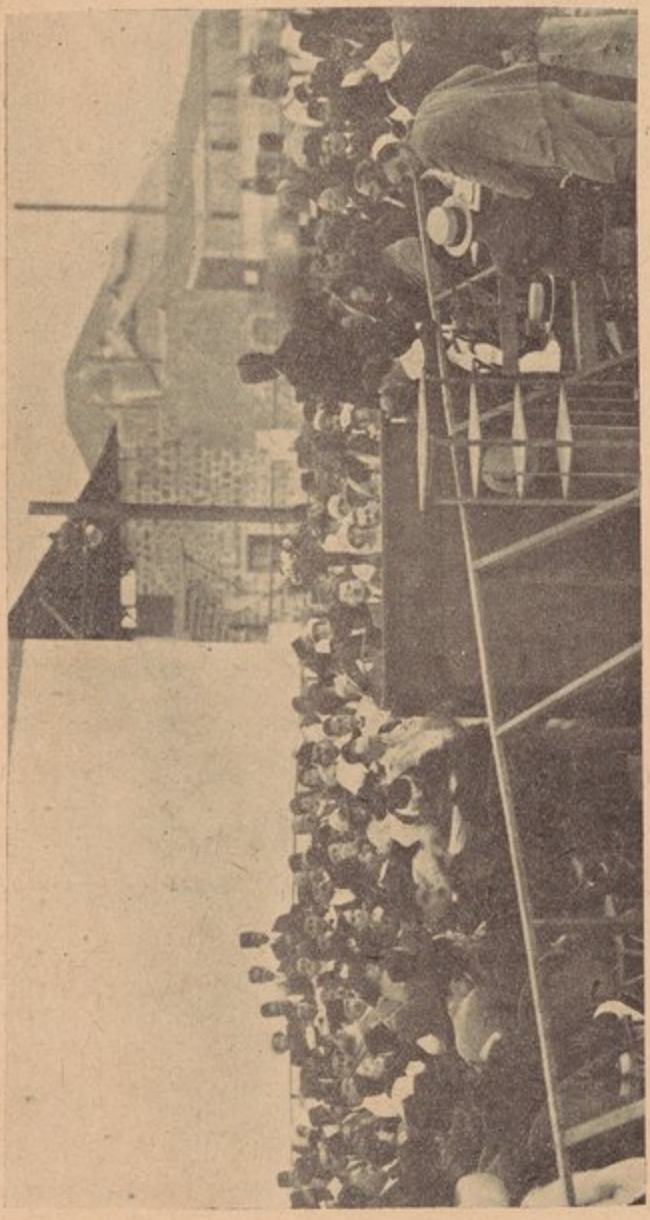

حفلة ادباء بيروت لتكريم الآنسة (مي) سنة ١٩٢٢ ، اثناء زيارتها الاولى للبنان ، وتظهر المحتفى بها في الصف الامامي ، وعلى رأسها قبعة سوداء ، والى جانبها القومندان (ترابو) حاكم لبنان العام . كما يظهر مؤلف هذا الكتاب واقفاً على منبر الخطابة بفتتح الحفلة

منه كانت هذه النماذج النسائية الثلاث ، ونماذج اخرى كثيرة ضرورية لتتفق منها المطالب مع النماذج المقابلة لها بين الرجال .

ان هذا الاختلاف بين الطبائع لما يستدعي الاعجاب بغنى الطبيعة البشرية .

وانما الاهمية الكبرى للحركة النسائية هي فتح باب الامكان في وجه المرأة المستعدة للسير نحو القمة ، وتنبيه القوى ، وايقاظها في نفس المرأة اللاهية الساهية لتنتج كل منهما اقصى ما تستطيعه طبيعتها من الانتاج ، ولتفعل اكثر ما يمكن من الخير . وهذا الامر العظيم ينشده الراقي من الرجال والنساء سوياً . »

**جواب الاستاذ اميل زيدان :** « كثيراً ما يستغرق الباحثون في جزئيات مباحثهم فيغفلون عن الحقائق الاساسية البسيطة في حين انهم لو استرشدوا بها لتوصلوا الى النتائج الصحيحة التي يمكنهم الاعتماد عليها .

وهذا ما حدث في مسألة المرأة : فلقد غفل الكثيرون عما توحي به الطبيعة ، وهي خير المرشدين ، من الحقائق البدهية الاولية ، واسترسلوا في تفاصيل ليست بذات شأن فضلّوا الطريق القويم . اما تلك الحقائق البدهية الاولية التي اشير اليها فهي ثلاث :

— ١ — ان الرجل والمرأة يؤلفان شطري الانسانية ؛ وهذا وجه تشابههما .

— ٢ — ان الرجل غير المرأة ؛ فقد اعد كل منهما لمهام معينة ؛ وهذا وجه اختلافهما .

— ٣ — ان الرجل والمرأة مكملان الواحد للآخر ؛ وهذا وجه ائتلافهما .

فلكون الرجل والمرأة متشابهين ينبغي ان يشتركا في اللذات المادية والمعنوية التي هي ميراث الجنس البشري . ولكونهما مختلفين يجب ان يتخصص ، كل منهما ، للعمل الذي جعل لأجله . ولكونهما مكملين الواحد للآخر يتحتم على كل منهما ان يرمي الى راحة الآخر وسعادته . فاذا ادركنا هذه الحقائق ، وادركنا نتائجها استطعنا ان نصيب بالحكم في شأن المرأة ومكانتها في الهيئة الاجتماعية : »

قبل التبسط في الكتابة أطرح هذا السؤال :

**جواب السيدة عفيفة كرم :** أللمرأة حق بهذا الكون كالرجل ؛ ام انها وجدت على وجه الكرة الارضية صدفة ؟

فان كان لا حق لها لا أرى للبحث فائدة ما ؛ لان ما خلقه الله لا يغيره انسان . وان كانت المرأة ذات حق في هذا الكون لانها مخلوقة على صورة الله مثل الرجل ، ولها من المواهب العقلية والعواطف الطبيعية كما له فالبحث في امورها واجب في وطن يظلمها وهو يدعي انصافها .

**المرأة كزوجة :** لا شك في رقيّ الرجل السوري في عصرنا الحاضر ، واستزادته دائماً من هذا الرقي عملاً بمقتضيات العصر . فهل ان زوجته كذلك ؟

ـ كلا ، لانها بنت الأمس ، وهو ابن الغد : افكاره ارقى من افكارها ، اذ هو متعلم وهي جاهلة . اخلاقه اسمى من اخلاقها لانه متمدن وهي نصف متوحشة!. مطامعه أبعد من مطامعها لان المطامع الراقية بنت المعرفة . عواطفه الطف من عواطفها لانه يعاشر في كل يوم امة جديدة ، فيحوم عقله كالنحلة فوق أزهار المعارف يجتني مادتها العسلية. اما هي فلم تزل تشعر بقلب جدتها ، وتتكلم بلسان خالتها ، ولا تعرف من العالم سوى احاديث جارتها .

فهل ان امرأة كهذه تصلح لان تدعي انها رفيقة الحياة ، وشريكة في سرائها وضرائها ؟ واية سعادة واية لذة باتحاد اثنين لا تتساوى اخلاقهما ، ولا تتجانس افكارهما ، وليس لقلبيهما ان ينبضا نبضة انسان واحد ؟

**المرأة كأم** : كان السوري(١) فيما مضى يربّي ولده ، ذكراً او انثى، تربية تتفق مع محيطه العتيق فقط. فكانت المرأة ، والحالة هذه ، قادرة على القيام بواجباتها تجاه ذلك الولد ، خصوصاً وان تلك الواجبات كانت محصورة بالاعتناء بجسده ، وتعليمه بعض ايات دينية . اما الآن ، وقد صار الرجل يعتقد وجوب مجاراة الامم والسير معها في مضمار الرقي ، فهل من مصلحة الاب والابن معاً ان يتربى الولد في حضن ام جاهلة خاملة ؟ وهل من مصلحتها اذا عاد الولد من المدرسة الى البيت ان يعود الى حضن تلك الأم ، وعقلها لا يمكن ان يسع افكاره الواسعة ، وقلبها لا يمكن ان يستوعب عواطفه الكبيرة ؟.

اي ظلم اعظم من ظلم هذه المسكينة التي تربّي طفلها بتضحية ملذاتها في اجمل ايام حياتها ، ثم حينما يتجاوز طور الطفولية يترفع عن اعتبارها ، فتضطر الأم لان تتسول حبه تسولاً ؟ .

**المرأة كشريكة تجارية** : ان الرجل قد لا يسلم المرأة قلبه مع يده ، اما بيته وماله فهما ، بحكم الشرائع، بين يدي المرأة. لنفرض ان الرجل صاحب اموال طائلة وتجارة واسعة وله اولاد وامرأة . فهل يرثه احد سواهم ؟ فاذا مات ذلك الرجل وترك اولاداً قاصرين، وكانت امرأته امية جاهلة لا علم لها بشؤون الحياة، ولا سيما بشؤون تجارة زوجها ، فماذا يحل بتلك الاموال والتجارة ؟ .

وبعد فهل من العدل ان تخنق مواهب المرأة الطبيعية بحجة الخوف من

(١) حينما وردت اجوبة الاستفتاء كانت كلمة سوري لا تزال تشمل ساحل بلاد الشام وداخلها على السواء، وذلك قبل ان تقسم سوريا التقسيم السياسي بمقتضى المصالح الدولية .

سقوطها فتذهب البريئة بجريرة المذنبة ؟ ان الطريقة الحديثة في كل عمل مفيد هي تضحية الافراد من اجل خير الجمهور ؛ فاذا ضحيت اخلاق بضع نساء اسأن فهم الحرية وذلك من اجل جميع النساء كان ذلك الف مرة افضل من ان نضحي الجنس كله خوفاً من تلك التضحية الزهيدة . فالاحجار الكريمة كثيراً ما يكسر بعضها تحت الصقل . فهل يقول عاقل بوجوب ابقائها في معادنها خوفاً من خسارة ذلك البعض ؟ »

**جواب السيدة سلوى سلامه اطلس** « لو كنت مكانكم على كرسي رئاسة ذلك المؤتمر لاعطيت حقاً لكل من الخطيبات الثلاث. فالآنسة محمصاني(١) (التي عرفناها خلال حجابها ـ وهل يخفى القمر؟) اجادت وابدعت ؛ وحق لها ان تداعي بحق المرأة المسلمة المظلومة منذ اجيال.

والآنسة ماري يني ، مثال الرقة ، قد اجادت بوصف استعداد المرأة واهليتها لكل عمل مفيد. واما السيدة هدى فلم تدع مزيداً لمستزيد ، وهي بعرفي احسن ممثل لدائنا ، واحسن واصف للدواء .

باختصار كلي الخص رأيي : الواجبات العائلية ومناغاة الاطفال تارة ، وبكاؤهم تارة اخرى ، وادارة البيت ، والاهتمام بشؤون رب العائلة كلها امور اولية تستوجب العناية ؛ او بالحري تتطلب الوقت كله ؛ ويليها اذ ذاك تحبير المقالات وادارة المجلة . ولو لم يقدر لي الحظ زوجاً المعياً يشاطرني النصب في تحرير المجلة وادارتها لكنت انصرفت عنها الى ممارسة شؤون بيتي فحسب ، والى العناية بملائكتي الصغار . وهذا يؤيد رأي الخطيبة الثالثة السيدة هدى : ان سعادة المرأة متوفرة ضمن مملكتها التي هي محدودة بالجدران ، ولكنها غير محدودة في العظمة والاتساع. فلا اصوات الموسيقى في الملاهي، ولا جمال الوظائف وفخامة الاحكام يمكنها ان تعوض على المرأة نغمات ملائكتها ، او جمال بيتها ، او فخامة ملكها.

فلتدع المرأة الانتخابات والاعمال القاسية والاشغال الشاقة لمن خلق لاجلها ؛ لتدعها للرجل لا عن عجز ، بل عن اعطاء كل ذي حق حقه . »

---

(١) توهمت صاحبة المقال ان وداداً الخطيبة الاولى هي الآنسة وداد محمصاني ، كما خيل لها ان ماري الخطيبة الثانية هي الآنسة ماري يني لاشتهار كل منهما ، في ذلك الوقت ، بين رائدات النهضة. والواقع ان ذلك المؤتمر كان خيالياً ، وانه لم يعقد، حتى ذلك الوقت ، اي مؤتمر نسائي،لان الرأي العام لم يكن ليسمح بمثل المساجلات التي دارت بين خطيبات المؤتمر . لذلك فقد حرصت على ان اصرح بها ، واجعلها مدار بحث بالاسلوب الذي وضعته .

# الفصل الثالث

## مختارات من الاجوبة التي وردت سنتي ١٩٣٣ و ١٩٣٤

### على الاستفتاء

من دواعي الالم ان تصدر هذه الاجوبة بعد ان طوى الموت اصحابها جميعهم ؛ غير اني لا انسى جميلهم ، ولا سيما جميل الاستاذ الزهاوي الذي لم تحل اوجاعه دون اتحافي برده ، وذلك بكتاب جاء فيه : « لما كنت قد اعتزلت الكتابة والنظم على توصية الاطباء لما أكابده من الاوجاع العصبية لم يسعني ان اوفي حق النقد ، فكتبت هذه العجالة امتثالاً لامر صديقي الحميم ، فعسى ان تكتفي بها ؛ والعذر عند كرام الناس مقبول . »

« لا مشاحة ان حالة المرأة الشرقية ، وحالة المرأة الغربية على طرفي نقيض : فبينا نعاين الاخيرة قد تطرفت في استعمال

**جواب الامير امين مجيد ارسلان :**

الحرية التي احرزتها نشاهد الاولى لا تزال تجاهد وتناضل لنيل حقوقها التي هضمها الرجل ، والحصول على حريتها الطبيعية التي سلبها اياها شريك حياتها . وكلتا الحالتين مشجوبتان ، وينجم عنهما الضرر الجسيم .

منذ مدة جرت مناقشة بيني وبين احدى الآنسات الاميركيات الراقيات بقضية « حرية المرأة » . وقد حاولت تلك الاديبة اقناعي بان للمرأة حق المساواة بالرجل قبل زواجها. فيحق لها ان تتلذذ بشبابها ، وتتمتع بصبوتها ، كما يحق للشاب قبل زواجه . فمن هنا يرى القارىء الى اي حد وصل تطرف المرأة الغربية في استعمال حريتها ، والمطالبة بحقوقها . تطرف اذا قوبل بضغط الرجل على حرية المرأة في معظم الاقطار الشرقية يردد مع الشاعر قوله :

« حب التناهي شطط خير الامور الوسط »

ان القضية المهمة التي طالما اثارت حرباً قلمية شعواء بين المشترعين والمصلحين هي : « هل المرأة مساوية الرجل ذكاء وتركيباً ؟ »

وقد انشطروا بسبب ذلك الى شطرين : شطر يقول بهذه المساواة ، وينسب الى المرأة الجدارة التامة للقيام بكل الاعمال التي بوسع الرجل القيام بها ؛ والشطر الآخر يقول بعدم هذه المساواة . ولكل من الفريقين براهين . الا ان الفريقين اتفقا على اختلاف جسمي المرأة والرجل تشريحياً وفيسيولوجياً ؛ وعلى القول بأن جمجمة البنت اقل نمواً من جمجمة الصبي(١). والاغرب ما قاله العالمان نيكولوس ودي بيلي ؛ قالا :

« انه خلافاً للاعتقاد العام فان حاستي الشم والذوق في المرأة أقل منهما في الرجل ، ولهذا السبب لا تستخدم نساء في التجارب التي تحتاج الى دقة في الشم والذوق كالتمييز مثلاً بين اصناف الخمر او الشاي او الصوف ، حتى ولا في « دوزنة » البيانو وسائر الآلات الموسيقية » .

الا ان المرأة اذا كانت قد فقدت هذه الميزات فهي تتفوق على الرجل برقة الشعور وشدة الاحساس . وعلى الرغم مما تقدم فانه كثيراً ما تتفوق طالبات العلم على الطالبين في المباريات العلمية والادبية التي تجري في الكليات والجامعات. ويقول الاستاذ كرشكوف الذي تعمق بدرس هذه القضية :

« انه اذا كانت المرأة قد اظهرت في بعض الاحايين نبوغاً في قوة الذاكرة والعلم فانه ينقصها الاستقلال في الفكرة والتعمق في الرأي . وهي اجمالاً اكثر قابلية للاخذ والاقتباس من الابتداع والاختراع » .

وقد قال فولتير العالم الفرنسي الشهير :

« اذا وجدت بين النساء عالمات او بطلات فلا توجد مخترعات ابداً » .

وربّ معترض يقول : « هل تستنتج اذن مما تقدم ان المرأة احط من الرجل؟» كلا لا يجوز هذا الاستنتاج ، اذ ليست المسألة مسألة رقي او انحطاط . بل مسألة تباين واختلاف، لان المرأة هي مختلفة اختلافاً تاماً عن الرجل في الجسم والعقل. توجد نساء عالمات وكاتبات وشاعرات، الا انهن على الرغم من ذلك لا يزلن نساء في علمهن وكتابتهن وشعرهن وأسلوبهن .

(١) تدل الدروس التشريحية والانتروبولوجية ان الطفل يكون عند الولادة اثقل جسماً من الطفلة ، وفي معظم الاحايين اطول قامة منها . وفي غضون السنتين اللتين تليان الولادة ينمو الطفل والطفلة نمواً سريعاً . وفي السنتين الثالثة والرابعة ينموان نمواً ابطأ ، ومن السنة الخامسة الى التاسعة يتفوق الصبي في النمو على البنت . ثم يكون نمو البنت في السنوات العاشرة الى الخامسة عشرة اسرع من نمو الصبي . ومنذ السنة الخامسة عشرة يصبح نمو الصبي اشد من نمو البنت . ولا ريب في ان قضية الذكاء في سن الصغر لها مساس شديد بمقدار نمو الجسم والعقل بين الجنسين .

ويقول العالم لا بروبير :

« ان المرأة لا تكتب ابداً نظير الرجل ، وهي تتفوق عليه بانتقاء عباراتها وفي رقة مشاعرهـا وعواطفها »

ويجدر بنا بهذه المناسبة ذكر ما كتبه العالم الالماني اميليو لودفيج عن مقابلته طاغية ايطاليا السنيور موسوليني. قال هذا العالم «لما سألت السنيور موسوليني اذا كان يرغب في منح المرأة المساواة بالرجل في الشؤون العمومية اجاب :

« يجب على المرأة الطاعة لانها Analitique no santatique » واضاف : « هل تمكنت المرأة منذ جيل حتى الآن من ان تهندس قبة كنيسة مثلاً ان لم نقل بناء شاهقاً ؟ انها تعجز عن تعلم الهندسة لان الهندسة خلاصه الفنون »

ويرتئي موسوليني وجوب ابعادها عن الامور السياسية ؛ ولكن بشرط ان لا تكون مستعبدة . وقد حظر على الطالبات درس العلوم الفلسفية .

ومن الغريب اتفاق رأي موسوليني ، مع رأي نابليون الاول الذي ابداه بحق المرأة يوم كان يضع المشترعون قانونه المشهور .

لقد اهتم كثيرون بدرس جمجمة المرأة دعامة لرأيهم بها ، او تفنيداً لرأي الآخرين . فلم يسفر هذا الدرس حتى الآن عن نتيجة يصح السكوت عليها ؛ اذ كان احياناً يسفر عن دعم رأي نصراء المرأة ؛ وآونة على تفنيده . ويليق بنا في هذا المجال سرد الفكاهة التالية :

صرح الاستاذ بيتشوف سنة ١٨٧٢ ان المرأة عاجزة عن القيام بكل الاعمال التي تتطلب جهداً عقلياً ، وقدم بينة على صحة رأية صغر دماغهـا ، وطلب من رفقائه العلماء ان يزنوا دماغه بعد موته. فلما وزن وجد انه اخف من دماغ المرأة !

وسواء اكانت المرأة مساوية للرجل ام غير مساوية اياه ، متفوقة عليه ذكاء ام منحطة عنه ، اكثر اهلية منه ام اقل ، فهي كما قال الكاتب النسائي الفرنسوي مرسيل بريفوست :

« مهما كانت ساذجة بسيطة فبوسعها الضحك على الرجل والتلاعب بعواطفه كيف شاءت »

ويجدر بي قبل ختم مقالتي هذه ، ان اتكلم بايجاز عن انتخاب المرأة عضواً في المجالس النيابية ، زيادة للفائدة . لا مراء ان شعوباً عديدة ، وبمقدمتهـا الشعب الانكليزي ، قد منحت المرأة حق الانتخاب . اما في فرنسا فقد عارض مجلس الشيوخ منح المرأة هذا الحق على الرغم من اقتراح مجلس النواب وجوب منحها هذا الحق .

– ترى ما هي الفائدة التي نالتها المرأة والهيئة الاجتماعية من احراز المرأة حق الانتخاب ؟

– في انكلترا ١٤ نائبة في البرلمان ، ومع هذا ، فلم نسمع عن احداهن انها امتازت بشيء ما . في باريس ١٥٠ امرأة نالت شهادة المحاماة . ومع ذلك ، فلم نسمع عن واحدة منهن انها تفوقت .

– يعزو الكثيرون من الكتاب السبب في عدم تفوق المرأة في العلوم والاختراعات ، الى كونها منذ نشأة العالم حتى الآن ، مستعبدة للرجل وللعيلة ، ولذا فلم يكن لديها متسع من الوقت ، نظير الرجل ، لتكريسه للعلم والدرس . وعلى هذا يجيب المعارضون : « ان المرأة منذ وجدت كان من خصائصها الخياطة والطبخ . ومع هذا فان خياطي الثياب النسائية الشهيرين في باريس ، مهد الازياء ، هم من الرجال . واشهر طهاة العالم هم من الرجال ، لا من النساء . ومنذ مدة شرعت الاسر ، حتى المتوسطة ، تعلم بناتها الموسيقى ، ومع هذا ، فلا نذكر ان امرأة الفت لحن نشيد ان لم نقل « اوبرا » او « اوبريتا » .

وصفوة القول ان قضية المرأة لا تزال بين مد وجزر : فمنهم من يؤيدها ويدافع عنها ؛ ومنهم من يعاكسها ويعزو اليها العجز عن اللحاق بالرجل . اما نحن فنرتئي ان على المرأة واجبات في هذه الحياة تختلف عن واجبات شريك حياتها ؛ وعلى كل منهما ان يقوم بما فرض عليه حق قيام لتتم الهيئة الاجتماعية سيرها بنظام وترتيب دون خلل او عرقلة . فاذا تأنث الرجال او ترجلت النساء فالى اية دركة من دركات التهور تصل الانسانية ؟ وان تخلت المرأة عن صولجانها في ادارة شؤون منزلها والاهتمام باسرتها وتربية صغارها ، رجال الغد ، وخرجت تجاهد في معترك هذه الحياة ؛ فمن يقوم يا ترى بمهامها الشريفة ؟ ومن يربي لها صغارها افلاذ كبدها ؟

وعندي ان امام المرأة الشرقية اليوم فرصة سانحة لاظهار استعدادها ومقدرتها واعطاء الرجال امثولة في الوطنية الحقة ؛ وهي شد ازر الصناعة الوطنية ، ومصادرة كل بضاعة اجنبية تصنع نظيرها المعامل الوطنية ، عاملة بذلك على استقلال الوطن استقلالاً اقتصادياً .

فهل تنهض المرأة العربية نهضة فعلية وتسعى سعياً حميداً في سبيل استقلال بلادها استقلالاً اقتصادياً ، وهو خير مؤهل للاستقلال السياسي ؟ سنرى .. »

**جواب الدكتور عبدالرحمن شهبندر**

ليست المدارس الكلية ، ولا دور الكتب الفخمة ، ولا الابنية الشاهقة ، ولا الشوارع العريضة ، ولا وسائل السير السريع، ولا غير ذلك من مستحدثات الانسان الحاضر ومنشآته ، عنوانا للحضارة ومقياساً لعلو كعبها بقدر نهضة المرأة ، والحالة الاجتماعية التي هي عليها . وفي ميسور كل ناطق بالعربية ان يقدر شأن القطر الذي يقيم فيه ، ويمنحه العلامة التي تدل على مرتبته بقياس مقام المرأة فيه بالنسبة الى الاقطار المجاورة الاخرى التي عرفها بنفسه ، او سمع خبرها من المصادر الوثيقة . وهذه سورية وتركيا وايران والافغان والعراق والحجاز ونجد واليمن ومصر وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش مفتوحة امامه للمقابلة . فالفرق بين حضارة تركيا والافغان مثلاً يقاس بما بين مقامي المرأة في البلدين من التباين .

وهذا المقياس مضبوط يعول عليه لانه قائم على الحساب الرياضي البدهي : فنصف امتنا هو من النساء تقريباً . فان هن تقاعسن عن العمل ، ولم يقدمن للمجتمع الشطر الخاص من الخدمات المطلوبة منهن ، كما يقدم الرجال شطرهم ، كان ذلك ادعى الى حدوث ذاك المرض المقعد الوبيل الذي يدعى في كتب العلم « الشلل الاجتماعي » النصفي . والامة المشلولة لن تستطيع ، في عصر التناحر والتناطح ، مجاراة الامم السليمة. والحياة ميدان لا يجلّي فيه الا ارباب الاطراف الخفيفة المتينة .

وقد لحظت فيما بعثت اليّ به ، ايها الصديق القديم ، من الخطب التي دبجتها يراعة الشعور بالحاجة الى الاصلاح الجوهري. ان الآنسة وداداً ليست مستاءة من الحجاب كما تستاء السيدة من المنزل الضيق فقط ، بل هي مكلومة الفؤاد منه لانها ترى فيه مذلة للجنس اللطيف؛ فلا عجب انها تحمل عليه هذه الحملة المنكرة. وفي الحق أنها تحاربه محاربة احرار سورية للاستعمار لان في الوصفين تشابهاً اساسياً من حيث تحكم فريق بفريق آخر ، وتسخيره لاغراضه الشخصية . وقد دل تاريخ النشوء الاجتماعي على ان تسخير الانسان ، بشقيه من ذكر وانثى ، واستخدامه للغايات الحقيرة عمل محفوف باعظم الاخطار . ذلك ان المسخَّر يفقد شيمة الحر ويتخلق باخلاق العبد فيصبح عاراً على الجمعية التي يعيش فيها ، وبؤرة فساد من الدرجة الاولى . ولعمري ان العبدة التي تتولى سيادة الاسرة لا تربي غير العبيد ، ولا

تزوّد المجتمع الا بمن فقدوا سمة الرجولة . واقل ما يقال في الحجاب انه واسطة اخفقت في تحقيق الغاية التي وضعت من اجلها . وهو قيد سواء كان من الحرير ام الحديد ؛ ويعيد ذكريات ما قبل التاريخ يوم كان يضرب على النساء نطاق خشية ان يختطفهن طرّاء اللصوص . وليت آنساتنا تخفف من غلوائهـــا قليلاً ؛ لا لأن الموضوع لا يستحق حماستها ، بل لان الانقلاب قادم شئنا ام ابينـا ؛ وان حضارة الامم القوية ، كما قالت في خطابها ، لا بد ان تتسرب الى الشعوب الاخرى وتتغلب عليها . ونحن قد رأينا ، بأم العين ، في غضون جيل واحد في امهات المدن الشرقية من هذا التدرج ما يدعو الى العجب العجاب . وحسبنا ان نقول ان زعماء الشرق ممن احدثوا اعظم الاثر في ديارهم ، امثال مصطفى كمال باشا وسعد باشا زغلول ، والملك امان الله ، هم من اهل السفور ؛ بل ان زعيماً عرف بنزعته الدينية اكثر من نزعته السياسية مثـل المرحوم محمد علي(١) قد ملأت صورة زوجه الصحف في المشارق والمغارب. وبالامس حضرنا حفلة الاتحاد النسائي في القاهرة فرأينا اشرف العـقائل وخير الاوانس ، ولم نسمع من احد تذمراً ولا دمدمـة . وما حصلت عليه القاهرة ستحصل عليه البلدان الشقيقة الاخرى . فالواجب يقضي علينا ، في مثل هذه الحال ، ان نقلل من الدعوة الى السفور ، ونكثر من تربية المرأة حتى اذا رُفعت السدود ، وتدفق سيل الحرية تكون السيدة مزودة بقارب النجاة.

لكن رفع الحجـــاب شيء وترجل المرأة شيء آخر . وتكون الآنسة « وداد » قد اتهمتني تهمة لا ارضاهـا لنفسي اذا ظنت ان انتصاري لها في السفور يعني انني من القائلين بترجل المرأة. وهنا استميح الخطيبة الثانية السيدة « ماري» عذراً لاقول لها انها تكون في عداد المعطلين الاجتماعيـين باصرارها على اخراج المرأة من الميدان الذي اختصتها الطبيعة به ، كما اختصت الرجل بميـدان آخر ؛ وعلى اشراكها المرأة في الاعمال العامة لبلوغ الاستقـلال الحقيقي ، والتمتع بالحقوق المنشودة . فمثل هذا الطلب هو القضـــاء على المجتمع ؛ لان المرأة متى تنازلت عن خِلقها ، واغفلت الصنعة التي حباها بها النشوء العضوي منذ ما انفصل الشقان احدهما عن الآخر في المرتبة اللاجنسية الاولى والنشوء الاجتماعي : منذ ما انفصلت المرأة عن الرجل في الجمعية البشرية الاولى ، تكون قد حرمت الحياة

(١) يعني محمد علي الزعيم المؤلف الهندي .

الاجتماعية من التخصص الذي هو سر الارتقاء . وقد يعيش البشر من غير اطباء وصيادلة ومحامين ومزارعين وسواقين وطيارين ، ولكنهم لن يعيشوا من غير الام ، وربة المنزل ، والمربية التي تؤنّس هذا الطفل المخلوق الذي يدعى « بشراً » لتجعله في الجيل القادم انساناً .

ويسرني جداً ان اذكّر الآنسة « وداداً » والسيدة « ماري » بان العالم قد نجا اخيراً من فكرة التعطيل ، او اللاتعاون الاختصاصي بين الجنسين . فاوربا الناهضة تحت علم الوطنية الاشتراكية في ايطاليا والمانيا لا تعرف بلاطاً للمرأة تضع فيه على رأسها التاج غير المنزل . والكافات الثلاث التي يبتدىء بها أسم الطفل ، والكنيسة ، والمطبخ ، في الالمانية هي في نظر النازي اليوم معقل النساء ؛ كما ان الحوانيت او المكاتب مثلاً هي معقل الرجال ، لافضل فيهما للواحد عن الآخر .

ومثل هذا الكلام لا يمنع المرأة النادرة ، التي في خلقتها كفاءة الرجل في الشؤون الاخرى ، ان تجاريه في ميادين العلم والعمل . فلتلبس اذا شاءت « المست والبابوج » ولتضع على رأسها العمة اذا وجدت في نفسها قابلية المشيخة وتعليم الفقه . لكن الشاذ لا يكون قاعدة عامة . والذين اسرفوا في وجوب مشاركة المرأة للرجل في ممارسة الشؤون السياسية بصورة عامة مثلاً كانوا اول من اصيب بالخيبة بعد الحرب العامة من هذا الاسراف . وقد يكون المستر انش . جي. ولز ، الكاتب الاجتماعي المعروف ، في مقدمتهم . ذلك لان الاحصاء قد دلّ على ان مرشح النساء في الانتخاب هو غير مرشح الرجال ، وقد يكون لشكل شاربيه وطراز بزّته وهندامه في نظرهن من الشأن ما لفصاحته وقوة عارضته وتمسكه بالمبدإ في نظر الرجال .

واود ان اشكر السيدة ماري على ملاحظة قيمة ابدتها في خطابها : فقد عاتبت فيها الآنسة « وداداً » على غبطتها المرأة المسيحية في الشرق لما نالته ، على زعمها ، من المقام الاجتماعي المحمود ، واعترفت اعترافاً جريئاً بان هذا المقام مظهر خارجي اجمالاً لا يعدو ان يكون مما يتلقطه الضعفاء من الاقوياء من غير جهد واعمال فكر ؛ وان الاثر القديم الراسخ في نفوس الرجال — اثر استعباد المرأة — ما فتىء مستحكماً حتى الآن .

بقيت الخطيبة الثالثة السيدة هدى فقد احسستُ ، لأول وهلة ، من اسمها ،

واستشعرت من تقدم سنها ، وقرأت في مضمون كلامها ، ما يستشم منه رائحة الرجعى والمحافظة على الشرقي القديم مهما كلفنا الامر . لكنني ما اتممت خطابها ، والحق يقال ، حتى تبين لي في كلامها الشيء الكثير من الذوق والفلسفة العملية . وما أصدق قولها عن شؤون العالم انها « ترتبت باختلاف الكفاءات وبتوزيع الاعمال بمقتضى الاستعدادات » وليت شعري هل تظن المرأة ، التي تزعم ان حالتها الحاضرة هي نتيجة استبداد الرجل ، ان مجرد نيلها الحرية يمسح من صدرها نهديها ، وينبت لها ، بدلاً منها ، شاربين معقوفين على خديها ؟

ثم اطلب من السيدة هدى الا تهتم كثيراً بتلك المساجلات السخيفة في التفاضل بين المرأة والرجل ، وما تجر اليه من جرح عزة النساء : فالرجل والمرأة ، كما سبق لي ان قلت في بعض مقالاتي ، عنصران يتمم الواحد منهما الآخر في تكوين المجتمع ، كما يتمم الهيدروجين الاوكسيجين في تأليف الماء . ولا اعرف كيماوياً ، بالغاً ما بلغ من السخافة ، يصرف قواه العقلية في المفاضلة بين هذين العنصرين . ثم اذا كان الرجل رأس البيت فالمرأة قلبه . ومن المحال ان يعيش مخلوق من غير قلب ولا رأس .

ولعل فيما أستشهد به في الختام من كلام السيدة « ألن كي »، وهي من اشهر من كتب في هذه الموضوعات ، ما يكون حجة للسيدة هدى على المتفرنجات منا ممن لا يؤمن بغير كلام الافرنج . فقد ذهبت الى وجوب جعل الامومة قطب الدائرة في حياة المرأة ، وان ينحصر عمل النساء فيما ينمي ابناءهن ويكسبهم القابلية ؛ فتصبح المرأة ، والحالة هذه ، شخصية سامية ذات قوة ونفوذ باحترافها أهم حرفة اجتماعية تمارسها بالفهم والنباهة ، وتكون قد زودت العالم باهم ما يحتاج اليه — قد زودته بالرجال والنساء الاصحاء النافذين الذين لا يعتمدون الا على انفسهم » .

**جواب الاستاذ جميل صدقي الزهاوي :** اني ارجح الخطيبة « ماري » على الخطيبتين الآخريين وان لم تكن قد وفت الموضوع حقه بالتمام . وقد اخذت على الخطيبة « وداد » قولها تخاطب الرجال : « احكمت تقييد اختك وحصنت سجنها وحجابها ، واما الطائر في قفصه الطليق فقد تركته يشترك معك في جمال الطبيعة ، وكأني بقلبك الضعيف الصلب اكثر ثقة بالحمام منه بشقيقتك

فاطلقت سراحه وقيدتها » . فان الطائر ليس طليقاً في قفصه ، بل هو مسجون مثل المرأة ، انما الفرق ان لسجن الطائر ( قفصه ) نوافذ كثيرة يطل منها الى الخارج ، وليس لسجن المرأة هذه النوافذ. فلا يناسب ان تقول: فاطلقت سراحه وقيدتها » .

الشاعر الحكيم جميل صدقي الزهاوي
في اواخر ايامه

واخذت عليها قولها « حيث ترى المرأة نفسها بمنزلة القصّر الذين يعتمدون على المؤدب في موازنة اعمالهم ، فلا تترفع عن اعمال الصغار » اذ لا تعتمد القُصر نفسها على المؤدب، بل توضع القصر في رعاية المؤدب . »

ووجدت بقية ارائها وحججها مصيبة ومتينة . ولم آخذ على الخطيبة الثانية

ماري شيئاً . واما الخطيبة الثالثة « هدى » فقد اخذت عليها قولها « كل محاولة يراد بها تبديل النظام الاجتماعي تبديلاً فجائياً تعتبر فشلاً » لان هذه القاعدة لا تنطبق على محاولة تحرير المرأة اذ ليس هذا التبديل فجائياً : فقد بدىء به في الشرق العربي قبل نصف عصر ؛ وقد تحقق منه قسم غير قليل . ألم يشف الحجاب حتى عدّ زينة ، واخذت الفتيات يتعلمن في مدارس خاصة كالفتيان بعد ان كان التعلم محظوراً عليهن . ولماذا لم يعتبر تبديل النظام فشلا يوم حررت المرأة في الغرب؟

واخذت عليها قولها : « وانتم ترون كيف ان ذكور الحيوان سائدة متفوقة على اناثه ، وعالم الحيوان صاف لا تشوبه تمويهات التصنع ؟ » فان قاعدة تفوق الذكور على الاناث ليست عامة : فان اناث الزنابير والنحل وفصيلتها ، واناث الطيور الجارحة كالنسر والعقاب والصقر ، وبقية هذه الفصيلة ، تفوق ذكورها .

واذا جاز للخطيبة ان تستدل لاثبات مدعاها بتفوق الذكور في الحيوان على الاناث فلماذا لا يستدل طالبو تحرير المرأة على مدعاهم بمشاركة اناث الحيوان للذكور في جميع اعمال الحياة مع وجود تفوق الذكور ؟

سلمنا جدلاً ان ذكور الانسان اقوى من اناثه ، وعقلهم ارقى من عقلها ؛ فهل يسوّغ هذا الامر ان نضيق على الاناث حتى لا يقوى جسدها وعقلها فتماثل الذكور؟

ان ضعف المرأة نتيجة عدم استعمال قواها منذ عصور بعيدة بسبب قهر الذكور لها على ذلك الاهمال . ولا يريد المحررون الا فك اغلالها لتساوي في مستقبل الايام الذكور ، وحينئذ يشفى نصف المجتمع من الشلل .

وقولها ان السواد الاعظم النسائي اختار من اعمال الكسب المهن الخفيفة فعني ، على الغالب ، بالتربية والتعليم في الدرجة الاولى . فان التربية والتعليم من اهم العلوم ، اذ كانت قيمة النشء في مستقبله تتوقف عليها . وهذا دليل على مقدرتها على خلق عقول جديرة بحياة المستقبل . اما تفوق الرجل في بدنه فنحن لا نريد من المرأة ان تجاري الرجل في الصراع والملاكمة .

ولو كان التفاوت بين المرأة والرجل سبباً لحرمانها من الحقوق الانسانية فان هذا التفاوت موجود ايضاً بين افراد الرجال ، وبين امة وامة . فلماذا لا تحرم الافراد والأمم الضعيفة حقوقها ؟. أم ترى الخطيبة ان الاستعمار امر مشروع ؟

وفي بقية اقوالها كثير من المغامز غير انها لا تستحق النقد . »

# الفصل الرابع

## رأي المؤلف في المساواة العامة بين الجنسين

جرت قضية المرأة في الشرق مجرى كل الاشياء من حيث التطور التدريجي ، فبدأت بالدعوة الى تعليم البنات العلوم الابتدائية والدينية ، ثم تقدمت الى معالجة السفور والحجاب لتتناول، من بعد ، مسألة التعليم العالي والمدارس المختلطة ، وبلغت في النهاية ، ميدان النضال لتقرير الحقوق العامة ، ولافساح المجال للمرأة للاشتراك في اعمال الكسب ، والمساهمة في شؤون الدولة .

والسادة والسيدات الذين نشرنا، في الفصلين السابقين، اجوبتهم على الاستفتاء في موضوع « اول مؤتمر للنساء في بيروت » وفوا البحث حقه فيما تناظرت به خطيبات المؤتمر ، وتناولوا جميع اطراف القضية النسائية ، فلم يغادروا صغيرة ولا كبيرة الا تعرضوا لها ؛ فكان عليّ ان اعقب على ارائهم القيمة بما لديّ من اجتهادات خاصة ، ولا سيما في موضوع المساواة العامة بين الجنسين التي اصبحت موضوع الساعة ، في الشرق العربي ، مذ قررتها هيئة الامم المتحدة باسم الدول المشتركة فيها(١) .

تطالب المرأة وانصارها

— ١ — **مساواة الجنسين في الفطرة والانسانية** بالمساواة بين الجنسين في المرتبة الانسانية على حدقول الشاعر :

« الناس من جهة التكوين اكفاء ابوهم آدم والام حـــواء »

وتطالب ويطالبون بان يكون قوام التفاضل بين الناس ، رجالاً ونساء ، العمل المثمر وفقاً لقول الرسول العربي الاعظم : « الخلق كلهم عيـــال الله ،

(١) في العاشر من كانون الاول ١٩٤٨ اقرت الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة ميثـــاق « حقوق الانسان » الذي قرر المساواة العامة بين الجنسين ؛ فضلاً عن العناصر والالوان . وصادقت عليه الدول العربية كافة ، اسوة بسواها ، وخصوصاً لبنـــان الذي كان له النصيب الوافي في وضع هذا الميثاق .

واحبهم اليه انفعهم لعياله » . ويعترض هذا المطلب الحق أمران : اولهما ما قرّ في النفوس خلال الازمان الكثيرة من الاعتقاد السائد بان الرجال يفضلون بجنسهم على النساء استناداً الى ما قررته الاديان . وثانيهما قيام الرجل فعلاً على المرأة لكونه اقوى منها جسماً ، واعلى مرتبة في الهيئة الاجتماعية ؛ فضلاً عن كونه المسؤول شرعاً عن النفقة .

وفي الواقع فان تقرير هذه المساواة في المرتبة الانسانية هو امر مهم جداً ؛ ذلك لانه اذا توفرت لنا القناعة بأن الرجال والنساء متساوون في اصل الخلقة والفطرة استطعنا ان نتوصل بسهولة ، على اساس هذه القنـــاعة ، الى حل سائر المسائل التي كانت ، ولا تزال ، مدار الجدل بين الباحثين في هذا الموضوع .

نحن لا نريد ان نتعرض لاحكام الدين ، كما اعلنا هذا منـذ ثلاثين سنة في مقدمة كتابنا « المرأة في التاريخ والشرائع » ، وقلنا ان اعتمادنا في اختيار الاصلح انما يقوم على القاعدة الشرعية . « تبدل الاحكام بتبدل الازمان » ، خصوصاً ، وان الاجماع هو من اصول الدين .

ولكن ما الحيلة ونحن نجـد انفسنا مضطرين هنا لان نبحث الموضوع على اساس ديني : لان ما استقر في اذهان الناس على اعتبار انه شرعي لا يزحزحه الا البرهان الديني . «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض » (قرآن) « لان الرجل ليس من المرأة ، بل المرأة من الرجل ؛ ولان الرجل لم يخلق من اجل المرأة ، بل المرأة من أجل الرجل . » رسالة بولس الى اهل كورنثوس .

بهذا يستدل القائلون بميزة ابناء حواء على بناتها . وانه ليصعب حقاً على اكثر الناس التسليم بمساواة الجنسين في الانسانية ، مـا زالوا يحسبون ان الشرائع السماوية اجمعت على ترجيح الرجل على المرأة ، وعلى منحه السيادة عليها .

والحقيقة ان الآية القرآنية الكريمة لا تنص على التفاضل بين الجنسين في اصل الخلقة ؛ وانما هي تشير الى واقع قائم قررته الاجيال وشروط الحياة البشرية في الازمنة المتوالية ؛ وهذا الواقع جعل لبعض الرجال رجاحة وسلطة عـلى بعض النساء . وتؤيد ذلك آية اخرى وردت في القرآن الكريم واعلنت الوحدة في الاصل بين الجنسين ، وهي : « ايها النـاس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها . »

هذا فضلاً عن ان الشريعة السمحـاء ، ما ساوت بين الجنسين في الواجب

والمثوبة والعقاب ، وما ساوت بينهما في الحقوق ، الا ما ندر ، عملاً بالقاعدة الشرعية « الغرم بالغنم » الا على اساس انهما سواء في الانسانية . واما التفاوت في المرتبة الاجتماعية بين الجنسين فلا علاقة له بهذه المساواة في الاصل .

وكذلك كان شأن الدين المسيحي: فان بولس الرسول ، وهو بمثابة المؤسس الاكبر للنصرانية ، استدرك في رسالته المذكورة الموجهة الى اهل كورنثوس، وقال :

« غير ان الرجل ليس من دون المرأة ، ولا المرأة من دون الرجل في الرب، لانه كما ان المرأة هي من الرجل ، هكذا الرجل ايضاً هو بالمرأة . ولكن جميع الاشياء هي من الله . »

وبعد ، فاذا كانت شروط الحياة في العصور الماضية ، افضت الى تقرير سيادة السادة على السيدات ؛ وذلك لأسباب كانت قائمة ، واهمها كون الرجل كان المسؤول وحده عن نفقة العيلة ، فهل من المنطق ان تبقى هذه السيادة مرعية في عصر اصبح فيه الرجل والمرأة مسؤولين عن تأمين الحياة الرغيدة لحياتهما المشتركة وحياة اولادهما ؟

هذا وقد قرأت من مدة طويلة كتاباً عربياً، لا اذكر عنوانه، الفه احد علماء المغرب في عهد المدنية الاسلامية، وتعرض فيه الى سكان جزيرة بريطانيا العظمى، في عصره وما قبله . ولما علّل المؤلف مصدر انحطاطهم عقلياً واجتماعياً رده الى برودة عقولهم من جراء برودة مناخهم . وحكم حكماً جازماً عليهم بأنه مقضي عليهم ان يستمروا على همجيتهم ما ظل جوهم على برودته القاسية !

ولو ان احداً من معاصري هذا المؤلف حملته الجرأة على ان يعلن رأيه ، ويصرح بان العرب ، اسياد العالم وقتئذ ، هم والانكليز سواسية كاسنان المشط في الانسانية ، وفي الكفاءة لخدمة المدنية لجعل نفسه عرضة لنقد الناقدين وسخرية الساخرين . إذ اي عقل كان بوسعه ان يقتنع بالمساواة بين قوم بسطوا ايديهم على البر والبحر ، واستخدموا الكون بعقلهم وعلمهم ، وبين آخرين كانوا لا يزالون اقرب الى الفطرة من الحضارة، يعتمدون على الصيد في معاشهم ؛ وعلى شريعة القوة في احكامهم ؟

ثم دار الفلك دورته ، فاذا الانكليزي يتناول علم الحضارة بينما يهبط العربي الى مهاوي الانحطاط حتى بلغ البون بينهما حداً لا تناسب فيه . ولو طرح احد مثل ذلك السؤال ، في القرن التاسع عشر ، على الانكليزي ، سيّد البر والبحر ،

لأنكر بكبرياء وانفة ان يكون متساوياً مع ابن جزيرة العرب. كيف لا وقد كان يبلغ به الغرور ، في ذلك الحين ، حداً يحمله على الاعتقاد انه من طينة غير طينة ابن برلين وباريس ، فضلاً عن ساكن واشنطون .

وهذا الغرور هو الذي يوحي للرجل، الذي اصبح بفضل عصور القوة مسيطراً، اوهامه البراقة ، ويحمله على انكار المساواة الطبيعية بينه وبين المرأة ، وعلى الاسترسال بالتالي في زعمه بأن المرأة عاجزة ، وستبقى عاجزة ، عن مجاراته في العلم والكسب والسياسة .

والواقع ان الانكليزي كما انه والعربي صنوان في البشرية ، وان التقدم والتأخر في النواحي الاجتماعية ان هما الا صبغات زائلة ، وصفات متنقلة ، فان الرجل والمرأة هما ايضاً صنوان في البشرية، وسيان في الاستعدادات لخدمة المدنية؛ كما وصفهما الحديث الشريف : « النساء شقائق الرجال » .

على ان التفاوت بين الجنسين في الثقافة والمال والمراتب هو عرض لامساس له في الجوهر ؛ وتجده قائماً ايضاً بين افراد الجنس الواحد : أليس بين الرجال حاكم ومحكوم ؟ ومع ذلك فهل يصح الحكم على الامير بأنه أعلى مرتبة في البشرية من سائق الحمير ؟

كلا ، بل ان هذا التفاوت بين الناس ان هو الا وليد حالات مكتسبة وموروثة ساعدت على بروزها لحيز الوجود مناسبات عارضة .

ولا بدع فقد أتى زمن كانت فيه المرأة تحتل مقام السيادة ، وهو عصر الامومة الذي تكلمنا عنه في كتابنا « المرأة في التاريخ والشرائع » . وقد يعيد التاريخ نفسه عملاً بالقول المأثور « الدنيا دار دول » .

**مساواة الجنسين في الحرية الذاتية :** ما زال الناس يغارون على حرية الافراد ، فتثور العواطف النبيلة فيهم اذا ما سمعوا باجحاف وقع على حرية احد منهم ، أو لحق به ظلم على غير حق. بل ان الانسان ليتألم ايضاً اذا ما شاهد حيواناً يتعدى على حيوان آخر . ولنا ، في كل يوم ، شواهد على ذلك تدل على ان هذه الحرية مقدسة في النفوس بالفطرة .

ومن المؤسف ان هؤلاء الناس ، الذين تقشعر ابدانهم حينما تمس حرية فرد منهم دون مبرر ، لا يزالون ، في اكثر بلاد العالم ، يتجاهلون الحيف الذي

يتعرض له نصف الهيئة الاجتماعية ؛ واعني بها حرية المرأة ! ويرونها « مسألة فيها نظر » . ولعلّ مردّ ذلك الى ان هذا الداء الوبيـــل هو داء مزمن ؛ ومثله لا يلفت الانظار .

حينما وقفت السيدة سوزان انتوني(١) الاميركية في شيكاغو سنة ١٨٥٤ ، للمطالبة بحرية المرأة قاطعها احد المستمعين بقوله « وهل تريدين بذلك ان يلبس النساء السراويل ؟ » ونحن إذ نطالب بمساواة الجنسين في الحرية الذاتية لا نبتغي، من وراء ذلك ، ان تصبح المرأة رجلًا ، ولا ان تلبس السراويل ؛ وانما نريد الحرية التي يتمتع بها الاحرار : الحرية المرخص بها في الشرائع والقوانين للبشر على السواء ؛ الحرية التي عناها الخليفة عمر بن الخطاب حينما أنب احد عماله بقوله:

« نراكم استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً »

نريد ان لا تبقى المرأة ، من جراء ثقل الضغط وقوة الاستمرار ، اشبه شيء بالفونغراف الحاكي تردد بلسانها ، وتفكر بدماغها ما يصدر عن فم الرجل ، وما يجول في خاطره ؛ لان هذا التوجيه الفاسد من شأنه ان يفقد البشرية نصف امكانيتها . نريد ان لا تظل المرأة محرومة من الشجاعة ، فلا تثق بالتالي بارائها واحكامها ؛ ثم هي لا تجرؤ ان تمدح او تذم الا بعد ان تتلفت نحو الرجل خشية ان يكون رأيها لا يتفق مع رأيه ! .

وبعد ، عجيب امرنا نحن المسلمين : فلطالما تغاضينا عن الرخص والسنن التي منحتنا اياها شريعتنا السمحاء لنتقيد بعادات وتقاليد دخيلة على الاسلام ، اخترناها لمجرد اننا وجدنا عليها اباءنا ، وانا على آثارهم لمقتدون .

وغريب حالنا نحن العرب : فلقد كان اجدادنا ، نساء ورجالاً ، عـــلى شيء كثير من الشجاعة الادبية ، وكانوا على شهرة واسعة في حرية القول والعـمل ، قبل الاسلام وخلال التمدن العربي . فما بالنا ، اصلح الله حالنا ، نفتقد الشجاعة في اوساطنا فلا نراها ، ونتحرى عن الحرية فلا نجدها ؛ ثم نحن هؤلاء نضيّق على اخواتنا النساء ، تضييقاً يفقدهن التفكير والتدبير ، ويجعل منهن خشباً مسندة — وبعد هذا وذاك نتساءل لماذا عُدنا بين المستضعفين ، ولماذا تعصف بنـــا اعاصير الاستعمار ؟

حقاً ان المرأة الشرقية لم تبق على ما كانت عليه عهـد المصلح قاسم امين ؛

(١) ولدت سنة ١٨٤٨ وتوفيت سنة ١٩٠٦ .

ولكنها ، مع ذلك ، ورغم المظاهر الخارجية التي تدل على التحرر ، لا تزال ، الا من رحم ربك ، تنظر بعين الرجل ، وتسمع بأذنه ، وتماشي ارادته . وليس سبب ذلك ان الرجل ما زال ، في الواقع ، مرجحاً على المرأة في ثقافته وكسبه وقوته فحسب ، بل لأنه هو يشاء هذا الاستئثار حتى ولو كانت المرأة اشد ادراكاً منه ، واوفر ثقافة ، واحدّ نظراً ؛ وهو يحرص على هذه السلطة استناداً الى ما له من حقوق الرجال المقررة في النفوس ، وبما عليهم حتى الآن من النفقة .

قال الحكيم جميل صدقي الزهاوي :

« وليس من قوة في الكون قاهرة تسطيع ان تقعد الاقوام ان نهضوا »

بلى ؛ وان الدول الجبارة ما كان بوسعها الا التحسس بهذا الشعور فشرعت من ثم ، تفتش عن حلول جديدة ترضي بها العناصر المستضعفة التي نهضت تطالب بحريتها . والان وقد خفت المرأة الشرقية للمطالبة بحرياتها المشروعة ، واستندت في هذه المطالبة الملحة ، الى نصيبها الوافر من التربية والثقافة ، فضلاً عن حقها الطبيعي ، فليس من قوة في الكون قاهرة تستطيع ان تقف في وجه حقوقها المنشودة . لقد قال العباس بن الاحنف في جيل ماض :

« يا بني آدم تعالوا تنادي انما نحن للنساء عبيد »

اما المرأة المعاصرة فهي ترد هذا القول إذ لا تطلب الا المساواة الحقة في الهيئة الاجتماعية : وترده ايضاً لانها لا تريد ان يكون في امتها عبيد وعبودية ؛ بل تشاء ان تكون امتها كتلة من الاحرار ، سواء في ذلك الرجال والنساء .

ولنكن نحن الرجال على مثل هذا الانصاف. أما اذا كنت ، يا اخي الرجل، تحرص كل الحرص على مركزك المرموق ، ولا تتنازل عنه البتة ، فلا بأس . ولا اخالك تفضل ان تكون راعياً لرعية مستعبدة على ان تكون سيداً بين سيدات فضليات يساعدنك على الكمال ؛ ويعاونك على مغالبة الزمان .

ولا تخف ، يا سيدي الرجل ، من اخلاء سبيل حرية المرأة المشروعة ، لا تخف على سيادتك التي تمرست بها ؛ لان الزمان خلق لسيادتك حصانة منيعة في نفوس النسوة ، ومناعة قديمة ترجع الى عصر القوة الجسدية ، ولان زمان القوة كوّن اخلاقهن تكويناً بحيث جعلهن يستسغن الرجولة وسلطتها .

لا تخف فاننا نحن نقرر حقيقة ، ونطلب حقاً ؛ واذا طالبنا بحرية المرأة

الذاتية فما نتوخى بذلك خروجها عن ارشادك ، ان كنت ارجح منها عقلاً و بل نريد أن يكون شأنك مع اهلك على غير طريقة الدول المنتدبة التي بدلاً من اعداد المنتدب عليهم للاستقلال تستأصل فيهم كل موهبة تؤهلهم للحكم الذاتي . »

**مساواة الجنسين في طلب العلم**

كان احمد عزة باشا العابد يشغل منصب المستشار الثاني في ديوان السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦ – ١٩٠٩ . ولكنه كان ، في الواقع ، صاحب القول الفاصل بين رجال الدولة ، وله اكبر نفوذ في السلطنة . وكان هذا الرجل الفذ سباقاً بين العرب الى التجدد ، والأخذ بالمدنية الحديثة . وكان ولده الشاب محمد علي بك ، الذي صار فيما بعد رئيساً للجمهورية السورية ، رأى في عناية والده ، بتعليم احدى بناته ، عناية زائدة ، اسرافاً لا لزوم له ، فعارضه بأدب ، وقال له : « حسبها يا أبت ما حصلت حتى الآن من علوم . أفأنت يا سيدي تعدّها لتكون وزيراً للداخلية ؟ » فابتسم عزة باشا وأجابه : « كلا يا ولدي انما انا اعدها ليكون ابنها رئيساً للوزارة » .

ولا نرى حاجة لايضاح القصد الذي اراد عزة باشا ان ينوه به ، وخلاصته ، ان فوائد تعليم البنات ، ولا سيما العلوم العالية ، لا تقتصر عليهن وحدهن ، وانما تشمل اولادهن ، ورجالهن ، بل تشمل قومهن ، على وجه عام ، وفقاً لما عناه الزهاوي حيث قال :

« ان اصلاحها اصلاح مملكة » « وان اهمالها موت وخسران »

وهذه قضية اصبحت الان بمنزلة ما هو مفروغ منه ، وكان بامكاننا الاستغناء عن بحثها ، خصوصاً وقد اصبحت العلوم العالية مشاعاً ، في امصارنا ، بين الجنسين . اجل كان بالامكان الاستغناء عن التطرق اليها لولا ان بعض البلاد الشرقية ما تزال تنكر على البنات حق طلب العلوم والمهن العالية . ولولا ان فريقاً من قومنا لا يفتأ يتوهم ان تعلم البنات ما يتعدى حاجة البيت هو فضول ومضيعة للوقت !

ومع ذلك فاننا نلزم الاقتصار في التدليل على ان هذا الحق هو مشاع للجميع ، مشاع للجنسين على السواء عملاً بقول الرسول الاعظم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . »

وبعد و لسنوات خلت اذاع الاثير نبأ الفوز الباهر الذي حازته الآنسة

لطفية النادي في مسابقة الطيران بمصر ، تلك المسابقة التي اشترك فيها نخبة من الطيارين الوطنيين والاجانب .

كان لهذا الفوز اثر طيب في وادي النيل ، ولا سيما بين الاوساط النسائية : وعدا كونه جاء مفخرة لمصر ، فقد كان دليلاً على كفاءة المرأة حينما يتاح لها حظ التعلّم . بل ان هذا الفوز كان خيراً من الف برهان على وجوب افساح المجال للمرأة لأن تتعلم ما توحيه اليها نفسها ، وتعمل بما يتفق مع استعدادها . ولو انهم حالوا بين الآنسة لطفية النادي وبين هدفها ، لحرموا مصر من مفخرة الفوز في هذا السباق ، وحرموا فتاة مصر ، دون مبرر ، من ان تحمل لقب ملكة السماء .

وما يدرينا ان يكون بين فتيات كثيرات من بناتنا مكامن لمثل هذه المفاخر في امور اخرى ، وفوائد لو حلنا دون تعليمهن العلوم العالية لخسرناها .

انه لا يجوز ان نضيق الخناق على مواهب نصف الامة ، ونخسر ، بالتالي ، ما هو مفروض ان نربحه اذا اطلقنا للجميع الحريات العامة المشروعة .

**مساواة الجنسين في العمل والكسب** هذا بحث فياض جدير بنا ان نلم به على وجوهه المختلفة ، خصوصاً وان العصر الذي نعيش فيه يعدّنا لقبول هذه المساواة بين الجنسين . لذلك نرى من المفيد تقسيم هذه الدراسة على الترتيب الآتي :

**١ — هل اعمال الكسب مقتصرة على الرجال ؟** ينزل بعض الاعراب بين مزرعتينا الزريقية وحوش الصالحية في ضواحي دمشق ، واكثرهم من عرب العقيدات . كنت اتحدث مع احدهم فسألته عن اعمال نسائهم في القبيلة ، قال : « يبعورن ويحطبن ، ويحلبن المواشي ، وينقلن الالبان ، ويبعنها في دمشق ، هذا عدا انهن يطبخن ، ويغسلن ، ويتولين شؤون البيت كافة ، ويتعهدن الخيم عند النزول ، وعند الرحيل . » فقلت له : « حسناً وانتم ، يا للعرب ، ماذا تعملون ؟ »

قال : « الرجالة يحضرون القهوة ، ويستقبلون الزائرين ، ويساعدون النسوة في بعض الاعمال ، وفيما عدا ذلك يدخنون السكاير ويتندّرون . » وبعد لحظات سكوت استأنف البدوي الكلام ، وقال : « وأيش تريد زود ؟ »

فقلت له جهراً: « ولا حاجة » ؛ ولكني قلت سراً في نفسي: « نعم المساواة !» ثم استعرضت اعمال النساء في الاوساط الزراعية منذ عرف الناس الزراعة ، وذكرت ان المشتغلين في العالم بالاعمال الزراعية هم ثلاثة ارباع البشر ؛ فانتهيت الى الاعتقاد ان النساء ، في الجملة ، هن من العاملات الكاسبات ؛ وان اعمال الكسب لا تقتصر منذ القدم على الرجال .

غير ان السؤال الذي هو عنوان هذا المقال وهو : « هل اعمال الكسب مقتصرة على الرجال»؟ هذا السؤال يمكن ان يرد ، مع ذلك، بحق القلة من الناس النازلين في المدن ، والذين يمثلون الحضارة في كل زمان . وهم على قلتهم نسبياً يظهرون بمظهر الوجه من العالم . فقد اتى على هؤلاء حين من الدهر كانت المرأة فيه منصرفة عندهم الى الاعمال المنزلية قانعة بتربية اولادها ، واكتساب محبة زوجها ، وهو معيل العيلة وحده ، راضية عنه على قدر بسطة يده وجوده .

على انها كانت ، مع ذلك ، تجابه احوالاً استثنائية تضطرها للكسب ، فتختار منها ما يمكن القيام به في المنزل كالخياطة والتطريز والغزل والنسج .

وكان يزداد الاقبال على هذه الاعمال الكسبية المنزلية على قدر ازدياد النفقات الخاصة ؛ لذلك فان الاديرة في اوروبا ما ان انصرفت الى تخفيف وطأة الحالة الاقتصادية ، منذ غرة التمدن الحديث ، حتى تحسن لديها ان تنشىء ضمن اسوارها مشاغل للبنات المحتاجات للكسب ، ولا سيما في بلجيكا ؛ كانت تعنى ، على وجه خاص ، بعمل المنسوجات الفنية : ( التناتن ) والتخاريم . وقد بلغ دخل هذه المصنوعات في ولاية كلفادوس بفرنسا ، في اواخر القرن الماضي ، نصف مليون ليرة ذهبية .

وراجت ايضاً هذه الصناعة في الشرق رواجاً شديداً ؛ وكان لبنان يصدر منها ، حتى حين، الى اوروبا واميركا جانباً كبيراً ؛ فكانت المرأة بذلك، سواء اكانت من البدو او من اهل الزراعة ؛ أم كانت من الحضر ، عضواً عاملاً في اعمال الكسب .

**٢ — الاسباب التي حملت المرأة على مغادرة المنزل سعياً وراء الكسب:** دار الفلك دورته فاذا المدنية الحديثة تحصر اعتمادها على الآلات الميكانيكية في جميع الشؤون الصناعية والزراعية ، فتقضي هذه الآلات على الايدي العاملة ،

وتبطل اعمال التناتن والتخاريم وشغل الابرة والسنارة ، كما تقف اعمال المغازل البيتية والانوال القديمة . ولم تحرم النساء ، من جراء ذلك ، من موارد كسبهن المنزلية فقط ، بل رأين بعض الرجال الذين اصبحوا عاطلين مثلهن، من جراء اعتماد العالم على الآلات الميكانيكية ، يزاحمونهن على ما كان من اعمالهن الخاصة ، فيمتهنون مهن الخياطة والتطريز والطهي والخدمة المنزلية وغيرها .

اضف الى هذا التطور المادي ، الذي رافق التمدن الحديث ، تطوراً آخر برز للميدان ، وكان له اشد الاثر في خروج المرأة من دارها لمزاحمة الرجل في اعمال الكسب . واعني به التطور المعنوي . فقد قضى التمدن الحديث على ما كان معروفاً ، في المدنيات السابقة ، من صلة الرحم ، وترابط افراد الاسرة ؛ واقام على انقاض ذلك مبدأ جديداً قوامه تعزيز الشخصية بكل وسيلة وكل واسطة ؛ حتى اصبح الوالد لا يرى نفسه مسؤولاً عن اعالة اولاده متى بلغوا سن الشباب ؛ فضلاً عن ان الاخوة لم يعودوا يكفلون اخواتهم، فضلاً عن قريباتهم. وصادف وقوع التفكك العائلي اثناء ما راج الاسراف بين الشعوب الى حد ان الرجل اصبح يرى قواه تنوء تحت اعباء اثقال واجباته المنزلية ، فيتسامح بالضرورة لامرأته ولابنته ان تخرجا للكسب في سبيل التعاون على نفقات العيلة.

وساعد انتشار العلوم والفنون بين البنات في التمدن الحديث ، على دفع المرأة لمزاحمة الرجل في الاعمال الخارجية ؛ ذلك ان بنات العصر ، المطالبات بحريتهن وبالمساواة ، أصبحن يأنفن من البقاء عالة على ذويهن ؛ على اعتبار ان قيام الرجل بالنفقة هو ما يكسبه حق السيادة، وان لا سبيل لتهديم هذه السيادة الا بالاستغناء عنه مادياً .

كل تلك التطورات المعنوية والمادية اهابت بالمرأة ، في هذا العصر ، لمغادرة بيتها الى الاسواق التجارية والمعامل الصناعية ؛ فضلاً عن الحقول الزراعية ، والخدمات العامة في سبيل كسب معاشها ، وتأمين رفاهيتها وضمان حريتها ، وفي سبيل التعاون مع زوجها على اعالة اولادها . وصار اهون على الكاتب ان يعدد الاعمال التي لم تقبل عليها نساء العصر ، ولا سيما في الولايات المتحدة ، من تعداد الاعمال التي زاولنها . على انهن لم يحجمن عن النزول الى اعماق المناجم ، وعن الغطس في البحار ، ولم يترددن عن الاقبال على مزاحمة الحمالين في الارصفة، والنوتية في السفن .

**٣ — وقوف الرجال في وجوه الكاسبات** : حقاً ان الرجل في الغرب تساهل كفرد في افساح المجال لامرأته وابنته لمغادرة الدار قصد الكسب والتعاون على الحياة ؛ الا انه من حيث المجموع انكر عليها ، اول الامر ، هذا الخروج ، واعتبره بدعة هدامة. وقد فصلنا ذلك في كتابنا « المرأة في التمدن الحديث ». ولحلّ هذه المشكلة حاولت الدول ، منذ اوائل القرن العشرين، ان تؤمن اعمالاً للنساء في بيوتهن، وان تعلم البنات صناعات يمكنهن مزاولتها في قراهن. ولكن اهتمامها جاء متأخراً وضعيفاً فلم تنجح ، بل استمرّ جيش النساء يزحف ، من القرى ، الى المعامل والاسواق . وتفاقم ذلك حتى كادت الارقام لا تُظهر فرقاً كبيراً بين الكاسبين والكاسبات في معظم الاعمال . وبلغ عدد الكاسبات ، في اوائل القرن الحالي ، في اربع عشرة دولة عدّدها « ماكس تورمان » اربعين مليوناً من ١٥٩ مليون امرأة فيها . ثم ازدادت هذه النسبة على كرور الاعوام.

ولما لم يوفق المعارضون الى صرف المرأة عن اعمال الكسب الخارجية ، تحولوا الى تخفيف ما يمكن ان ينتج عن ذلك من مشاكل ؛ ولا سيما على الحوامل والاولاد . فاقاموا الملاجىء والمستشفيات ودور الحضانة ؛ وانشأوا الجمعيات الخيرية للعناية بالاطفال وحماية العاملات ؛ فضلاً عن وضعهم الانظمة والقوانين لحماية الكاسبات والاطفال .

على ان بعض الحكومات ، وعلى رأسها الانكلوسكسونية ، لم تتردد ، اول الامر ، عن سن قوانين تمنع المتزوجات من مباشرة اعمال الكسب خارج بيوتهن ؛ ولكنها جعلت العلوم، ولا سيما العملية منها والفنية ، مشاعاً للجنسين في المدارس ؛ وقصدها بذلك ان تكون الفتاة ، التي اكتسحت ارادة الحكومة ونزلت الى ميدان الاعمال الخارجية ، غير محرومة من العلم ، ولا سيما العلم المهني كي يتسنى لها ان تتبوأ ما هو ارفع من مرتبة العمال .

وفي الفترة التي كان فيها موضوع « المرأة والعمل » موضع جدل شديد بين الانصار والمعارضين اندلعت السنة الحرب العالمية الاولى ، وسيق الرجال للقتال ، فاذا نساء العالم يبادرن الى الحلول محل الرجال في العمل ، ويحسن صنعا ؛ واذا هن يشاركنهم في خدمات الدولة على افضل وجه.(١) فالتهمت خدمات المرأة

(١) بلغت نسبة النساء العاملات ابان هذه الحرب في المانيا ٤٧,٥ في المئة من مجموع العمال ، وزادت هذه النسبة في النمسا ، كما فصلنا ذلك في كتابنا « المرأة في التاريخ والشرائع » . واما في الحرب العالمية الثانية فقد قدروا بعشرة ملايين عدد النساء اللواتي ساهمن فيها بشتى الوسائل .

الجليلة ، طيلة الحرب ، اقلام المعارضين ، وساعدت انصارها على ربح القضية.

ورغم ان الرجل ، عقب انتهاء هذه الحرب الضروس ، اخذ يتضايق ويتململ من مزاحمة المرأة له إذ رآها تغزو الاعمال والوظائف ، التي كان يشغلها ، فعلى رغم ذلك ما وسعه ، تحت تأثير عاطفة الاعتراف بالجميل ، الا العدول عن الاحتجاج والتذمر ؛ خصوصاً وان السنين القلائل التي خلفت الحرب كانت تتميز باليسر ووفرة الاعمال والمكاسب .

غير ان هذه الحالة كانت موقتة : اذ حدث رد فعل ، فكان العسر بعد اليسر ، وازداد عدد العاطلين ، سنة بعد سنة ؛ وحينئذ علت اصوات المعارضين ، وحملوا على المرأة حملة شعواء منكرين عليها حق مزاحمتها لهم في ميدان الاعمال .

ولم تلبث الظروف السياسية ان واتت هؤلاء المعارضين ، وذلك بقيام الديكتاتوريات ؛ ولا سيما في المانيا وايطاليا : فقد خف الهر ادولف هتلر لمعالجة الازمة الاقتصادية ؛ فرأى ان السبيل القويم لمحاربة البطالة هو ان تعود المرأة الى منزلها لتخلي اعمال الكسب الى الرجال . وجاراه السنيور بنيتو موسوليني في هذا الرأي، فاصطدمت قضية المرأة ، من جراء ذلك، بعقبة وعرة جداً كان لها اعظم دوي في الاندية السياسية . وقد تلقيت دعوة وقتئذ لمؤتمر عقدته المرأة في باريس كانت الغاية منه توجيه الاحتجاج على تدابير « سيد المانيا » ضد المرأة .

ولكن الحرب العالمية الثانية ، قضت على الديكتاتوريات ، وانقذت قضية المرأة من سيديّ المانيا وايطاليا ؛ وجاءت دليلاً ، للمرة الثانية ، على ان المرأة ذات كفاءة واقتدار على خدمة بلادها ، خدمات جلى ، حين الحاجة ، فأفسح لها المجال في الاعمال العامة .

**٤ — نساء الشرق يأتممن بنساء الغرب:** وعلى قدر انتشار الحضارة الغربية في الشرق ذاع مبدأ خروج المرأة للعمل . وربما كانت الحرب العالمية الاولى ، بما رافقها من تجنيد الرجال وسوقهم الى ميادين المرابطة والقتال ، وبما نتج عنها من غلاء الاثمان غلاءاً لا مثيل له ، هي التي افسحت المجال الاول لنساء البلاد العربية ، التي اشتركت في تلك الحرب الشعواء ، للنزول الى ميادين العمل وراء الكسب . فقد شهدت بنفسي تلك الحرب القاسية ، وقدّر لي ان اشاهد فيها عراك كثيرات من النساء ، من كل الطوائف ومن كل الطبقات ، في سبيل تأمين معاشهن ومعاش اولادهن وذويهن ، متحملات مشقات السفر بين بيروت

ودمشق ، غير عابئات بشروط حياة الحرب الاستثنائية . كما اني رأيت ، للمرة الاولى في الحياة ، فتاة مسلمة تشغل وظيفة في الحكومة : رأيتها في ادارة بريد بيروت وراء شباك الرسائل تقوم باعباء وظيفتها محتفظة بازارها ، وهي غير حافلة بتقاليد وعادات كانت ، الى ذلك الحين ، تحظر على امثالها الاستخدام خارج الدار .

ثم رافق نمو الصناعات في البلاد وما تلاها من افساح المجال للايدي العاملة ازدياد في النفقات العائلية العامة ، فضلاً عن التطورات الفكرية ، فنتج عن ذلك تهافت الفتيات المحتاجات للكسب على العمل حتى ان نسبة العاملات في معامل حل الحرير ، التي انشئت في لبنان ، قبل قرن تقريباً كانت اوفر من نسبة العمال . وقد نشر الاستاذان جورج حكيم وفؤاد ابو عزالدين مقالاً في مجلة العمل الدولية بجنيف عنوانه : « العمل الصناعي واوضاعه الراهنة في سوريا » قالا فيه : « لهذا لا نعجب كثيراً عندما نعلم بان من بين ٤٠٠٠ عامل يشتغلون في ٢٧ صناعة قمنا بمعاينتها في لبنان وجدنا ٤٤ في المئة من بين هؤلاء العمال نساء يقابلهن ٤٠ في المئة من الرجال ، و١٦ في المئة من الغلمان لا تتجاوز اعمارهم الاربعة عشر عاماً . »

غير ان كاتبي المقال عادا فاستدركا اذ عقبا على هذه الجملة بقولهما : « بيد ان هذه النسبة ليست بصحيحة في الصناعة بصورة مطلقة اذ اننا لم ندخل في معاينتنا صناعة البناء ، او المنافع العامة من الاعمال التي يزيد فيها عنصر الرجال كثيراً على غيره . »(١)

هذا وبينما كان نساء العامة في الشرق يخضعن مضطرات للتطورات العصرية فينزلن الى ميادين الكسب ، كانت نساء الطبقات الاخرى يتهافتن على المدارس العليا النسائية في بعض البلاد ، وعلى المعاهد المختلطة في غيرها ، ثم لا يكتفين بنيل الشهادات العالية ، بل ينتقلن الى التخصص في بعض العلوم والفنون ، سواء اكان ذلك في الجامعات القائمة بالشرق ، ام في معاهد اوروبا واميركا الكبرى . وكانت تدفعهن الى ذلك رغبة في اعمال الكسب هي وحدها تكفل لهن ، بالاضافة الى العلم ، المساواة والاستقلال .

(١) على ان بعض نساء الشرق لم يحجمن عن مزاحمة الرجال في مهن ما كانت لهن بها اية صلة في العهود السالفة : من ذلك مطالبتهن في تركيا الدخول لمدرسة قيادة السيارات سنة ١٩٢٧ . وقد وافقت هذه المدرسة على طلبهن بعد استشارة وزارتي الصحة والمعارف .

وقد تألفت في بيروت سنة ١٩٣٣ جمعية « نقابة المرأة العاملة »(١) وكانت غايتها حماية النساء الكاسبات وخدمة مصالحهن . وحسبنا الالمام بالمهن التي تزاولها عضوات ادارة هذه الجمعية لتقدير مشاركة المرأة في لبنان للرجل في الاعمال الحرة حق قدرها . وخير ناحية في هذه البادرة ما رافقها من تطور فكري عند بعض الاغنياء انفسهم : فقد أقبل هؤلاء على تعليم بناتهم بعض المهن الحرة حباً بالعلم نفسه ، واحتياطاً ؛ وليس عن حاجة مباشرة. اعرف تاجراً مسلماً في بيروت على شيء كثير من اليسر ادخل ابنته الى معهد الطب الافرنسي قصد ان تكون قابلة. وقد كنت أتخير لها مهنة ارفع . فقال لي : « انت تعلم ان ابنتي ليست محتاجة الآن لمهنة تؤمن لها مستقبلها ، وما اردت بذلك الا ان تزداد علماً ، ولا سيما في الشؤون الصحية. ثم ما يدريني ان اخسر اموالي، وتتزوج ابنتي من رجل يصبح، في يوم من الايام ، بحاجة ماسة لمساعدتها . وحينئذ تكون هذه المهنة خير أرث اخلفه لها. »

وزارني صديق من فلسطين ، قبل الكارثة التي شردت اهلها ، وكان رئيس غرفة تجارة احدى المدن الكبرى ، وعنده من المال ما يكفيه ، ويكفي اولاده من بعده. وقد أدى الحديث بيننا الى مكاشفتي بان ابنته تعلم في احدى المدارس. وكأنه شعر بتساؤلي ، في نفسي، عن السبب الذي من اجله احترفت ابنته مهنة التعليم على ما هو عليه من اليسر ، فقال : « انها بذلك تزداد علماً على علم ، وتكسب الخبرة في مهنة قد تحتاج اليها بعد الزواج . هذا فضلاً عن ان ابنتي ليس لها في منزلنا ما يشغلها ؛ ولما كان الفراغ مفسدة اردت ان تكون عاملة في الحياة غير عاطلة »(٢) .

وقد وقعت الواقعة من بعد في فلسطين ، ورغبة بتخفيف آلام اخواننا واخواتنا الفلسطينيين المهاجرين الى لبنان اسسنا جمعية غايتها كأسمها «تأمين العمل

(١) اعضاؤها المؤسسات : نازك العابد بيهم – زراعة – ادما ابو شديد – طبية – زاهية ايوب – استاذة – زينب مخيش – ملاكة – نظيرة زين الدين – مؤلفة – كترين سعد – استاذة – اولغا مشاطي – ملاكة – مادلين ارقش – مؤلفة – لبوة سلطاني – ادبية – سنيه حبوب – طبيبة – هالين صافي – طبيبة – فورتين ازرائيل – طبيبة – وداد حماده – قابلة – شفيقة غندور – قابلة = سامية بيهم – ملاكة – وكانت ترئس الجمعية ، نازك العابد بيهم .

(٢) والامثلة كثيرة على ذلك : ففي كلية الملكة زينة بعمان تدرس الفرنسية سعاد ابو الهدى كريمة السيد توفيق ابي الهدى رئيس الوزارة الاردنية ، لا رغبة في الكسب ، وانما خدمة للمبدأ .

للاجئي فلسطين »(١) وجعلنا لها ميتماً ومشغلاً ومدرسة، فكانت لي بهذه الواسطة خبرة في احوال المشردين. فاذا بي الاحظ ان الذين يحسنون منهم مهنة او صنعة، نساء كانوا ام رجالاً، هم الذين سهلت عليهم مزاولة الاعمال، وتأمين حياتهم وكرامتهم. واما الذين اعتمدوا على اموالهم فحسب، فقد خاب ظنهم إذ تخلفت عنهم اموالهم واملاكهم حينما داهمهم القدر، وحينئذ قدرت لصاحبي

احد صفوف مؤسسة « جمعية تأمين العمل للاجئي فلسطين »
الطالبات حول الآنسة ماجده دجاني استاذة التفصيل على الفن الحديث

الفلسطيني المشار اليه الذي رضي ان يدفع ابنته للمدرسة كي تعلّم وتكسب حينما لم تكن في حاجة للعناء في سبيل الكسب، قدرت له فطنته وحسن احتياطه، وفهمت، حق الفهم، معنى الحديث المأثور: « مهنة في اليد امان من الفقر ». هذا الحديث الحكيم الذي ينطبق على المرأة كما ينطبق على الرجل.

(١) اذكر اسماء اعضاء هذه الجمعية تنويهاً بالاعمال التي تقوم بها المرأة: الرئيسة نازك العابد بيهم. والاعضاء كاثم طباره، سرين الحسيني شهيد، ظافره سلطان جلاد، دنيا مروه، نعمة بيضون قرنفل، حبيبة شعبان يكن، منيا نقاش، رمزية خوجه، حليمه بربير، بشرى حص، احسان راشد بيهم، فاطمة قرنفل، اسعاف توفيق الهبري، زهرة محمد بيضون، زينب مخيش، دلال عابد براج، عائشة قرنفل، وداد طباره عانوتي. سلمى سهيل عامي. والمستشارون الدكتور ناجي بيضون، عبدالله ساره، محمد جميل بيهم.

**٥ — هل تستطيع المرأة مجاراة الرجل في اعمال الكسب ؟** الجواب على هذا السؤال يتوقف على معرفة تكوين المرأة جسمياً واخلاقياً ، والفوارق التي بينها وبين الرجل في التكوين .

ان كلمة العلماء لم تتفق ، حتى الآن، على ما بين الرجل والمرأة من التفاضل في المواهب والادراك ؛ غير انهم اتفقوا على ان المرأة الحاضرة اضعف في التكوين من الرجل ؛ وانها ، في خلقها وخلقها ، مؤهلة لتأدية وظيفة الامومة . واعترفوا جميعاً بأن هذا الضعف الذي طرأ على تكوينها هو علة اخضاعهـــا للرجل ، واستعباده اياها .

وهنا تتمثل امام اعيننا قضيتان :

١ — ان ضعف تكوين المرأه لا يردّ بأجمعه الى الطبيعة ؛ بل ان تحكم الرجل فيها ، خلال اجيال واجيال ، زاد في اضعاف جسدها ومواهبها .

٢ — ان شروط الحياة لا تطلب القوة الجسدية فحسب ؛ وانما يقوم النجاح على مواهب مختلفة تتمتع المرأة بقسط وافر منها .

« خلقت المرأة أماً ، فيجب ان تجاري الطبيعة وتخضع لسنة الامومة . » هذا امر لا مكابرة فيه . ولكن الامومة تترفع عن ان تكون صفة من صفات الضعف في المرأة ، او ان تكون وسيلة للخنوع واليأس اذا دعا الداعي للعمل في سبيل الحياة والكرامة . لقد حدثتني السيدة فورتينـه ازريال ، التي كانت طبيبة اسنان في بيروت ، وتقضي نهارها واقفة تعالج اسنان المرضى ، حدثتني انها لم تشعر باي عناء اثناء عملها الطبي حينما كانت مثقلة بحملها ، بل كانت تستأنف العمل اليومي ، كل صباح ، بنشاطها المعتاد .

هذا من جهة ، واما من حيث ضعف تكوين النساء ، ولا سيما في الشرق ، فيمكن ان يردّ الى التربية التي عملت على زيادة هـذا الضعف في بنية المرأة خلال الاجيال الغابرة ؛ هذه التربية التي اذا صلحت ووجهت وجهة صحيحـة ، سيكون بوسعها اعطاء المرأة القوة للكفاح في الحيـــاة الحاضرة في البيت وفي خارجه سواء . وآية ذلك ما نشاهد بين المرأة الشرقية وبين المرأة الغربية من الفرق البيّن في النشاط والحيوية، في حين انه لم يأت على تطور التربية في الاوساط النسائية الغربية الا نحو قرن واحد .

اجل ، ان الزمن الذي لاشى مواهب المرأة الحيوية بتأثير شروط الحياة الماضية ، واعتباراتها السخيفة ، بوسعه ان يعيد لهذه المواهب مكنتها الطبيعية غير منقوصة . ولا ادل على امكان تبدل صفات المرأة المكتسبة ، تبعاً للحاجة ، من حادثة شهدتها مدينة بيروت ، واكتشف سرّها بعد الحرب العالمية الاولى :(١) فقد اسرّ بعضهم الى الدكتور نجيب العرداتي ، وكان وقتئذ مديراً للصحة ، ان الشاب « يوسف ... » السائس في اسطبل البلدية ، المعروف بقوته الجسدية ، وبحيويته ونشاطه ان هو الا امرأة تتزيا بزي الرجال متخفية . فاستدعى المدير السائس وسأله سراً عن صحة الخبر ، فاضطرب هذا لافتضاح امره ، ولكنه لم يجد بداً من الاعتراف . وقد افضى الى متبوعه بالسر ، وذلك بصوته الخشن ، وحركاته المترجلة . قال :

« انني امرأة من لبنان مات زوجي ومعيلي اثناء الحرب وتركني واولادي الاطفال دون اي مورد . اردت ان احيا شريفة ، وان احاول كامرأة اعالة اولادي ، فوجدت الابواب موصدة امامي . ماذا افعل والجوع كاد يهلكنا ؟. فما وسعني الا ان استبدل ثوبي بلباس الرجال ، واخفي ملامحي ، وابدل اسمي . وبذلك استطعت ان ابقى حية ، وانقذ حياة اولادي . فرق المدير لحالها وقدر عملها ، وامر بان تستخدم كامرأة في مستشفى البلدية . »

وهذه القصة ذكرتني بما كنت سمعته عن الرجال المخنثين ، وبما يكسبه هؤلاء بمخالطة النساء الدائمة وعشرتهن من صفات الانوثة ، سواء كان ذلك بتصرفاتهم وحركاتهم ام باصواتهم ونغماتهم . ومنهم اولئك الصبيان الذين تقضي عليهم الظروف بأن ينشأوا خداماً في بيوت الدعارة بين النساء .

كل ذلك يبرهن على ما للتوجيه في التربية وعلى ما للاختلاط بين الجنسين من التأثير في نشأة المرأة . ويبرهن بالتالي على ان الضعف الحالي الذي يستحوز على جسد المرأة وعقلها ، ولا سيما في الشرق حيث سيطرت ، مدة طويلة ، عيشة « الحرم » ، يجب ان لا يكون دليلاً على قصورها بالفطرة عن مجاراة الرجل في الحياة الخارجية ، ومنافسته في طلب العلياء .

والى هذا فان تكوين المرأة ، ولو كان اوهى من تكوين الرجل ، واضعف فان هذا النقص النسبي في القوة الجسدية ليس من شأنه ان يكون حائلاً دون

(١) روت لي هذه الحادثة الآنسة فلومينا يازجي التي كانت مديرة للمستشفى المذكور ، واخبرتني ان هذه المرأة اكتسبت بالمعاشرة والممارسة قوة الرجال وصلابتهم حتى لم يكن احد يظن انها امرأة .

نجاح الجنس اللطيف في المباراة الحيوية . فكم من ضعاف البنية حصلوا في ميادين الاعمال على نجاح لم تتمتع به العمالقة ؟ ولقد احسن الشاعر حيث قال :

« ولو كانت الارزاق تأتي بقوة لما حصل العصفور شيئاً من النسر »

ذلك لان النجاح في كثير من الاعمال يحتاج الى الصبر والحيلة والمرونة ودقة النظر في الشؤون الجزئية ، وهي وامثالها صفات تتحلى بها المرأة اكثر مما يتحلى بها الرجل .

واخيراً فلنا عبرة بأناث سائر الحيوانات . انها كالمرأة خلقت اماً ، قبل كل شيء آخر ، ثم لم تحل الامومة دون نزولها الى ميدان الكفاح ، ولم تحطها الى مستوى العجزة والمقعدين .

**٦ — ما هي نسبة نجاح المرأة في مزاحمة الرجل ؟** : اثبتت التجربة نجاح النساء في ميدان الاعمال الخارجية التي مارسنها ، ولكن نسبة النجاح كانت متفاوتة في انواع هذه الاعمال . ولذلك اخترنا جعل الكلام مقسماً على الوجه التالي :

**في الزراعة :** تساعد المرأة الرجل في الاعمال الزراعية مساعدة قيمة وافرة في كل العالم ، سواء أكان ذلك في البلاد الراقية ام في البلاد المتخلفة . واثناء زيارتي لباكستان والهند في سنة ١٩٥١ تبين لي ان زراعة الشاي في الهند هي ، من حيث نسبة العاملين فيها ، تعتبر اكبر صناعة زراعية . ذلك لان عدد المشتغلين فيها يبلغ ٩٢٦،٤٦١ عاملاً . وقد عجبت إذ علمت ان ٤٥ في المئة من هؤلاء العمال هم من النساء .

والاعمال الزراعية توزع على وجه الاجمال في العالم بين الرجال والنساء على حسب استعداد كل منهما . ومع ذلك فان النساء لا يحجمن عن القيام بكل الاعمال الزراعية ، دون استثناء ، حين الحاجة . هذا فضلاً عن مشاركة المرأة الرجل في ادارة الأعمال الزراعية ، واستثمار الاراضي . واذا جاز لي ، في سبيل ايراد مثال على ذلك ، التحدث عن امر خاص نوهت بزوجتي ، ونجاح مشاريعها الزراعية : ذلك انه لما استتب الامر للفرنسيين في سوريا وبسطوا انتدابهم عليها بالقوة اضطرت السيدة نازك ان تغادر البلاد اسوة بسائر الوطنيين الذين كافحوا ضد الانتداب . ثم لم تسمح لها السلطة بالعودة اليها الا شريطة ان لا تتدخل

بالامور السياسية . واراد والدها المرحوم مصطفى باشا العابد ( والي ولاية الموصل سابقاً ) ان يصرفها عن الشؤون السياسية فحبب اليها التحول للزراعة ، وعهد اليها بفلاحة قرية له تعد من القرى الكبيرة في ضواحي دمشق ، تسمى حزرما ؛ فبذلت فيها مدة سنتين جهوداً مشكورة . وكأنها ارادت ان تكون جهودها ، من بعد ، مصروفة في ملك خاص بها فأقنعت والدها بأن يهبها مزرعة مجاورة ، لا شجر فيها ولا حجر ، سبخة التربة كان الناس يحسبونها لا تصلح للزراعة . وحاول اهلها ان يقنعوها بان ( الزريقية ) هذه ستستعصي عليها ، وهي فتاة ، خصوصاً وانها استعصت ، من قبل ، على جدها هولو باشا المشهور بحزمه وعزمه رغم ما كان عليه من الاهتمام بزراعة كل دونم من اراضيه . ولكن الفتاة الحت على والدها فنزل عند رغبتها ووهبها تلك المزرعة . وهنا تجلى عناد المرأة في تذليل الأرض العاصية : فلم تمر الا سنون قلائل على تلك الاراضي السبخة حتى أصبحت كجنة تتعالى فيها الاشجار ، وتجري فيها الانهار ، وترتفع فيها احواش السائمة الى جانب بيوت الفلاحين . ويطل قصر الخانم ( على تعبير الفلاحين ) على ما حوله من بساتين ومروج وبيادر ؛ وكأنه يقول « هذا اثر من اثار جهود المرأة »

وليست نازك خانم فريدة في هذه الناحية ، وانما هي واحدة من سيدات كثيرات عنين ، قديماً وحديثاً ، بالشؤون الزراعية ، فاحسنّ صنعاً : فان سيدة من آل العجلاني بدمشق كانت في الجيل الماضي تتولى بنفسها ادارة اراضي واسعة في قرية سعسع بحوران ؛ بينما كانت سيدة اخرى من آل الملكي تدير بكفاءة زراعتها في الزريقية نفسها في حرج الغوطة .

وفي بداية هذا القرن كانت السيدة ام فخري بك البارودي بدمشق تتولى ادارة قريتهم الجربا بمعاونة كريماتها ، كما تتولى السيدة زهنية نابلسي زراعة آل النابلسي الفسيحة في البقاع .

ورغم تطور العصر فلا تزال المرأة السورية حتى الآن تدلي بالامثلة على كفاءة المراة في الاعمال الزراعية . فالسيدة عادلة بيهم الجزائري لم يؤخرها قيامها بجملة مشاريع اجتماعية في دمشق عن العناية بادارة قرية الكفرين في مرج الغوطة ؛ كما أن الاميرة زهرة ، حفيدة الامير عبد القادر الجزائري ، اختارت الاشراف على زراعتها في قريتها الكفرين في الغوطة على حياة بيروت الاجتماعية الزاهرة .

وهنا مجال للتنويه بصورة خاصة بسيدة جمعت بجدارة بين العلم والعمل ،

اعني بها الاستاذة ملك كباره(١) بدمشق . فان اعمالها الناجحة في المحاماة امام المحاكم الشرعية لم تحل بينها وبين ادارة زراعتها في قرية ميدعا . وكان الفلاحون اول الامر ، قد استخفوا بها ، استخفافهم بالمرأة ، وثاروا عليها وحطموا سيارتها ؛ غير انها عرفت كيف تؤدبهم وتروضهم حتى اصبحوا طوع بنانهـــا ، وحتى صار لها من النفوذ هناك ما لا يتمتع به اولو البأس من الرجال .

فهذه الامثلة الكثيرة ، وهي جزء من كل، جديرة بان تجعلنا نؤمن بأن المرأة ليست هي دون الرجل في الكفاءة بالاعمال العامة ، ولا سيما في الزراعة ؛ وانه من الخسارة حرمان الهيئة الاجتماعية من خدماتها حين تدعو الحاجة .

**في الصناعة :** عنيت المرأة ، منذ اكتسى البشر ، ببعض الصناعات المنزلية تزاولها الى جانب اهتمامها باولادها، كالغزل والنسج والخياطة وكافة اعمال الابرة. على انها لما اضطرت الى مزاحمة الرجل في المعامل والمناجم والشوارع وغيرها لم تجد بداً من الخروج، الى ميادين العمل ، على نسب متفاوتة ، تبعاً للضرورات ، سواء كان ذلك في الغرب ام في الشرق . وترجح لدى الناس انها لن تستطيع صنعاً ؛ ولكن التجربة جاءت على خلاف هذا الظن . شهد بذلك بول آكر حيث قال : « ان اصحاب المعامل في المانيـا اصبحوا يعتقدون ان المرأة خير من الرجل في خدمة المعامل » .

والواقع ان الصناعات ليست من الشؤون الخاصة بجنس دون آخر : وكما ان الطهاة من الرجال زاحموا ، في عصرنا هذا ، النساء في هذه المهنة ؛ وقد يبذّ بعضهم بعضهن في الطهي وتحضير الاطعمة ؛ وكما ان الخدم من الرجال اخذوا وظائف النساء في البيوت ، خلافاً للقول الشائع ان الرجال لم يخلقوا للمطابخ ولخدمة المنازل ، فان الجنس اللطيف مفروض فيه ان لا يكون دون الجنس الآخر استعداداً للتفوق في معظم الصناعات الخارجية . غير انا وان كنا من انصار اطلاق الحرية للنساء في مزاولة الاعمال الخارجية حين الضرورة، الا انّا،

(١) الاستاذة كبارة هي شقيقة الوزير الصحافي الاستاذ سامي كباره . تزوجت من الدكتور حلمي وولدت ابنة ، ولكنها مع ذلك لم تكن قد ارتوت من مناهل العلم ، فالتحقت بكلية الآداب في جامعة فؤاد بمصر لتحصيل العلوم الميتة ، بينما واصلت الدرس في الجامعة السورية في قسم الحقوق . وكانت وهي ام تنتقل بالطائرة ما بين القطرين لمتابعة دروسها حتى نالت الشهادتين . فانعم بها من سيدة جمعت بين العلم والعمل .

وقد تحولت الصناعات الى معامل ، لا نرحب بترك الفتيات قراهن للعمل فيها ، ولا نتسامح بأن ترتادها المتزوجات ، خصوصاً لما يتأتى عن ذلك من الاضرار في الاجنة والاطفال . فقد لاحظ احد المؤلفين ان بين كل ثلاثة قبور في مدينتي روبيه Roubaix وتوركوان Turcoing بفرنسا الصناعيتين قبر طفل لم يتم العام ، قتله اهمال امه ، او قضي عليه تسمم لبنها من التعب الشديد .

**فى التجارة :** ليس التوفيق في التجارة موقوفاً على العلم والذكاء ، ولا مرتبطاً بالقوة والجنس. كلا فكم تقدم فيها الجاهل على العالم ، والغبي على الذكي ، والبليد على النشيط ؟. ان التجارة تطلب ، الى جانب بعد النظر في امورها الخاصة ، الاقدام مع الثبات والصبر ؛ وتستدعي ، الى جانب المسايرة والمصانعة ، اكتساب الثقة ؛ وهي صفات لا تعجز عن تأمينها النساء ؛ بل ربما كانت المرأة اقدر من الرجل في اقناع الشارين ، واستجلاب الزبائن ، والصبر اثناء الازمات . ومع ذلك فان النساء ، لم يستطعن ، حتى الآن ، مجاراة الرجال في ادارة المؤسسات التجارية الكبرى ؛ وقد ارجعت سبب ذلك الدكتورة انيتا موهل ، في فصل نشرته بأحدى الصحف ، الى تراث الماضي الذى لا يزال بارزاً في الجنسين قالت : « واذا كان عدد النساء اللواتي يفشلن في الحياة التجارية اكثر عدداً منه في صفوف الرجال فما مرد ذلك الى ان عوائق المرأة البدنية هي اشد من عوائق الرجل ، بل لان التجارة ما تزال ، في الواقع ، بيد الرجل يتحكم فيها كيف يشاء » .

على ان الدكتورة موهل ما كان بوسعها ان تغض الطرف عن بعض الصفات التي ما زالت مستحكمة في الجنس اللطيف ، فردت فشل بنات جنسها في التجارة الى افتكارهن المتواصل بالتزين والتبرج ؛ هذا عدا انهن يتحلين بصفات رقيقة لا تصلح للذين يتولون الاعمال الكبرى : كالرأفة بالمستخدمين ، والميوعة في معاملتهم ؛ على حين ان التجارة تستدعي الحزم والمبادرة ومراعاة المصلحة المادية قبل الامور العاطفية .

**فى السياسة والرئاسة والوظائف :** تقلدت عدة نساء في اوروبا واميركا المناصب السياسية العالية ، وانخرط فريق كبير منهن في سلك الوظائف الحكومية ، ولا سيما في الولايات المتحدة حيث كثر عددهن في التشريع والنيابة والقضاء والتمثيل السياسي . وجرت بعض دول الشرق مجرى الغرب في الاعتماد على

المرأة ، بعض الاعتماد ، في مناصب الحكومة والتمثيل السياسي . وفي مقدمتها دولة الهند ؛ ولقد اتاحت لي الفرصة ان ارى في نيودلهى في شهر مارس سنة ١٩٥١ الاميرة امريت كور وزيرة الصحة في حكومة الهند ، وان الم ببعض خدماتها لوطنها وذلك في المهمة التي انتدبت لها. كما ان الدول العربية شرعت تجري مجراها فكانت هذه التجربة ناجحة على وجه عام ، خصوصاً في ناحية التشريع اذ تغيرت ، باشتراك المرأة في العمل الحكومي ، انظمة دول كثيرة ، ونقحت دساتيرها. وربما كان نجاح المرأة في الاعمال السياسية مرجعه للاسباب التي اوردها المسيو هنري ماريون الفرنسي حيث قال : « ان المرأة في الطبقات العالية كثيراً ما تتفوق على الرجل ، وتبدي من البراعة والنباهة ما يعجز عنه . »

ولا نطيل هنا البحث في هذه الناحية لأنا وفيناه حقـــه في فصل تال حيث الكلام عن حقوق المرأة السياسية .

**في المهن الحرة والفنون** : هبطت المرأة من قصرها العاجي الى ميادين الاعمال الخارجية ؛ فكانت مهنة التعليم اولى المهن التي استهوتها ؛ ولكن ما ان دخل القرن العشرون ، وتفتحت فيه ابواب الجامعـــات امام الطالبات ، حتى حدث انقلاب كبير في صدد خروج النساء لاحتراف الاعمال المختلفة . وساعد على ذلك اختراع الآلة الكاتبة الذي فتح باباً فسيحاً للفتيات ، فانفردن تقريباً في الضرب على هذه الآلة .

وظلت مهنـــة التعليم تحتل المكانة الاولى في نظر السيدات طالبات العمل للكسب ؛ وخصوصاً في الولايات المتحـدة تلك البلاد التي لا تضاهيها بلاد في الاعتماد على النساء في التعليم (١). ولكن المتعلمات هناك ، على وفرة عددهن لا يشغلن غالباً وظائف ادارية ؛ وربما كان ذلك لان المرأة ، على وجه عام ، تفضل من

(١) لاحظت ، اثناء زيارتي لاميركا سنة ١٩٣٨ – ١٩٣٩ وجود اثر من اثار العهد الماضي هناك من حيث الاستخفاف بمنزلة المعلمات : فقد رأيت في اوتيل بلازا بمدينة سنسيناتي فتاة لا تفتأ منزوية كئيبة . فشاقني ان اعلم السبب : فاذا بها تقول انها غادرت بـــلدها ممفيس memphys هرباً من الخصام الدائم القائم بين ابيها المهندس وامها المعلمة . ويظهر ان الفتاة كانت تؤيد نظرية ابيها فعلقت على هذا الحديث بعبارة تريد ان تقول فيها عن امها : « ومن تكون ؟ انها شقفة معلمة » . فدهشت ان يظل في الولايات المتحدة ما في الشرق من مثل هذه الاعتبارات ، على حين ان مهنة التعليم في نظر الطبقة المختارة هي من اشرف المهن .

الاعمال الخارجية ما لا يتطلب ادارة مستقلة عن الرجل .

وتأتي مهنة التمريض في الدرجة الثانية عند المرأة بعد مهنة التعليم ؛ كما ان الصحافة والموسيقى والرقص والتمثيل تكاد تكون جزءاً من طبيعها . وقد نجحت ، في الجملة ، في الفنون المذكورة ، بينما ان التجربة دلت على ان المرأة قد فشلت اثناء مزاولة مهن اخرى وشرعت تتراجع عنها كالمحاماة والهندسة وطب الاسنان والصيدلة .

ويبدو هذا التراجع جلياً في شرقنا العربي ايضاً: وكما ان سوق المحاماة لم يكن رائجاً بين نساء لبنان، ولا سوق الصيدلة ، وطبابة الاسنان، والهندسة ، فان من يراقب نسبة الطالبات في فروع الجامعة السورية بدمشق يرَ جلياً امثلة على هذا التراجع: كان عدد طالبات الحقوق في الجامعة السورية، عام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ الدراسي، يبلغ ١١٧ طالبة، فاذا بهذا العدد يسقط تباعاً حتى بلغ في السنة الجارية ٥٤ فقط ؛ بينما زادت نسبة الطالبات في كلية الاداب زيادة تقدر بست اضعاف عما كانت عليه قبل اربع سنين . هذا فضلاً عن ان الاقبال على الهندسة والصيدلة وطب الاسنان كان ولا يزال قليلاً جداً.

**٧ — هل يستطاع منع النساء من مزاحمة الرجال في الكسب ؟** انه لصواب قولهم : « ان المرأة غير الرجل وان الرجل غير المرأة » .

وصواب ما يقال بان من الحكمة قيام كل منهما في خدمة العيلة بمقتضى استعداده الفطري .

ولا ريب في ان المنزل احفظ لكرامة المرأة من السوق والمعمل . واضمن لصحتها وصحة صغارها .

كل ذلك حقيقي ، ولكن هذا التمني ، خلال التمدن الحديث ، اصبح في عداد النظريات التي لم يبق بوسعها ان تتحقق على الصورة التي كان بالامكان تحقيقها في القرون الوسطى ، وفي المدنيات السابقة . وليس ذلك للاسباب والعلل التي اوردناها في فصل سابق فحسب ؛ بل لأن المنزل لم يبق ، بنظر المرأة الحديثة ، ذلك الحدر التي تطمئن اليه بكل جوارحها ؛ كما انه لم يعد، كما كان من قبل ، مصدر دخل للمرأة المحتاجة الى الكسب. خصوصاً وان المعامل الكهربائية والميكانيكية حطمت ، في العصر الحاضر ، المغازل والسنانير والانوال ، وسائر

الادوات اليدوية ؛ واستطاعت ان تقدم لرب الدار ما يحتاج اليه من مأكل وملبس ورياش باثمان ارخص مما يكلف المرأة صنعها في خدرها .

هذا الى ان البيت كان ، في العصور السابقة ، مشغلة للمرأة يأخذ كثيراً من اوقاتها في تربية اولادها وتدريبهم منذ الولادة حتى المراهقة ؛ وكان الوالدان يستعينان احياناً بمعلمين يأتون للدور ، ام يستقبلون تلاميذهم في امكنة اخرى . اما الآن فقد القيت مهمة التربية على عاتق المدارس التي يؤمها الاولاد منذ الطفولة ؛ وصارت عند بعض الحكومات موكولة الى معاهد خاصة تحتضن الاولاد منذ يرون النور ، ثم لا يخرجون منها الا للسعي وراء الكسب الذاتي .

وكان البيت في الماضي ايضاً ملهى الاسرة ومنزل سلواهم ، فيقيمون فيه الافراح ؛ ويخلقون لها المناسبات . اما الآن فقد صار البيت ، على وجه عام ، مأوى فحسب ، تبعاً لشروط الحياة الحاضرة : فبينا صار الناس يقتصرون على عقد الاجتماعات في الاندية ، ويقيمون الافراح والمآتم في نزل عامة تبنيها البلديات في المدن الكبرى ، اهمل الرجل والمرأة دارهما وخرجا الى المسارح والقهوات ودور السينما والبارات واضرابها ، فضلاً عن الجمعيات والاندية . فلهذه التطورات التي اصابت البيت ، بالاضافة الى التطورات التي بدلت شروط الحياة العامة ، اضطرت المرأة لمغادرة الدور الى ميادين الاعمال التي تملأ جيبها ، وتشبع روحها .

ولم يخل هذا الانقلاب الاجتماعي من مفاسد ومضار ، لذلك قامت مجادلات كثيرة لاعادة النساء الى خدورهن ؛ ولكنها كانت عقيمة : وقبل هتلر وموسوليني حمل الامبراطور نابليون الاول على المرأة ، وزعم ان الزواج وحده هو امنيتها . وعلى هذا الاساس سن قوانين صارمة تقيدها ، وتحط من منزلتها ؛ ثم حذا حذوه الوزير البريطاني تشمبرلن ، وكذا روزفلت الاول رئيس الجمهورية الاميركية ، وذلك على قدر ما يسمح لهما به العصر الحاضر : فضيقت لندن حرية العمل على المتزوجات ، وحظرته عليهن واشنطن ؛ كما ان كلاً من فرنسا والنمسا وروسيا بذل في هذا السبيل ، منذ غرة القرن التاسع عشر ، المساعدات المالية لتنشيط المهن البيتية منعاً لهجرة القرويات الى المدن . وما ان استتب الامر للحكم الديكتاتوري في المانيا وايطاليا ، عهد الفر هتلر والسنيور موسوليني ، حتى رجعت القضية النسائية القهقرى نحو نصف جيل ؛ ليس في المانيا وايطاليا

فحسب ، بل في العالم كله ؛ الذي لم يسلم من عدوى تشبثات العاهل الالماني . ولكن روح العصر الثائرة اكتسحت ، من بعد ، بقوة معاقل شريعة نابليون ومبادئه ؛ كما حطمت قيود الرئيسين تشمبرلن وروزفلت ، وداست انقاض الديكتاتورية المنهزمة ، فاذا النساء يخرجن في الغرب ، دون قيد او شرط ، الى العمل ؛ يخرجن قسراً على حين ان السواد الاعظم منهن كان يتمنى لو تتوفر له الاسباب للبقاء في المنزل .

والجدير بالذكر هنا ان في جملة العوامل التي تحمل المرأة المعاصرة على حب العمل هي رغبتها في المحافظة على مكانتها في الاسرة ؛ على اعتبار ان الرجل انما يستند في تقرير سيادته العائلية الى قيامه وحده بالنفقة . وكانت السيدة الينور عقيلة الرئيس فرنكلين روزفلت اقترحت، قبل بضع سنين ، على ما روته جريدة « باري سوار » الفرنسية ، ان يقرر الشرع الاميركي تعويضاً للزوجة من ارباح بعلها بدل قيامها في خدمة البيت، وذلك على اساس الشراكة بين اثنين يتولى كل منهما ناحية في خدمة ورفاهية العلة . واقترحت ايضاً ان تستوفي البنات اجوراً لقاء خدماتهن في المنزل . وهكذا فلا يبقى للمرأة عذر لمغادرتها الدار في سبيل الكسب بغية المساواة التامة .

وقد أتاحت لي الفرصة اخيراً ان استفسر من السيدة روزفلت عن صحة هذه الرواية فأكدتها ، وشرحت لي حجتها ؛ وخلصت الى القول أنها انما تقترح هذا الاقتراح بحق الام والبنات اللواتي ليس لهن مورد آخر .

على ان هذ الاقتراح لم يرق في حينه للزعيمة المرحومة هدى شعراوي باشا ، فسفهته في الصحف بحجة ان العلاقة الاجتماعية بين الرجل والمرأة تقوم على التعاون لا على الاستخدام . والواقع ان هذا الاقتراح لا يقوم على مبدأ الاستخدام ، وانما القصد منه تقرير حق الام والبنات في مورد الرجل على اساس التعاون وقيام كل من الفريقين بما يحسن . وان الشريعة الاسلامية التي تعتبر الزوجة غير مسؤولة عن الخدمة في بيتها، حتى ولا ملزمة بارضاع اولادها، قد لا تتعارض مع هذا الاقتراح الذي يتوخى تأمين هدف من اهداف المرأة المعاصرة ، وحفظها في خدرها ، خصوصاً وان الاسلام اوجب على الرجل النفقة ، سواء اقامت المرأة في خدمة البيت وارضاع الاطفال ، ام لم تقم .

هذا وقد نص قانون الزواج في الاتحاد السوفياتي على مبدأ المساواة التامة بين

الزوجين في جميع العلاقات الزوجية . اما الممتلكات فما كان منها يخص احدهما قبل الزواج يبقى له وحده، وما يقتنيه منها الزوجان بعد الزواج تعتبر مشتركة بينهما، وفي حالة فسخ الزواج تقسم بينهما على السواء. ذلك لان السلطة السوفيتية تعد عمل الزوجة في خدمة المنزل وتربية الاولاد عملاً يتساوى ، في الاهميـــة ، مع عمل الزوج خارج البيت . ويعتبر القانون الوالدين مسؤولين عن اولادهما حتى ولو وقع الطلاق بينهما .

في الحفلة التي اقامتها جمعية الشابات المسلمـــات للسيدة الينور روزفلت وذلك في نادي الجمعية مساء يوم ١١ – ٢ – ١٩٥٢ يتحدث مؤلف هذا الكتاب الى المحتفى بها . ويبدو بينهما السيدة جيبة يكن رئيسة الجمعية مهتمة في الموضوع ، كما تبدو الدكتورة سنيه حبوب صاغية وهي الى جانب السيدة روزفلت .

---

ولعل هذا المبدأ يأتي بنتيجة طيبة من حيث تخفيف حـــدة المزاحمة بين الجنسين في الاسواق والمعامل والوظائف ؛ وذلك بعد ان عجز الغرب عن دفع

تيار هجرة النساء الى المدن في سبيل الكسب . وان ما عجز عنه الغرب المتبوع لن يقوى عليه الشرق التابع .

**٨ — هل من الصالح خروج المرأة الشرقية للعمل ؟** عالج الاستاذ قاسم أمين هذا الموضوع في كتابه « المرأة الجديدة » حيث برهن على ان الشرق العربي مسوق بقوة ، لا يستطيع مقاومتها ، الى اقتفاء آثار الغرب . وخاص من ذلك لدعوة قومه الى العناية بتعليم البنات ، وخص بالذكر اولاً صناعة تربية الاطفال وتعليمهم ؛ وثانياً الطبابة ، وانتهى الى القول : « نتج من كل ما تقدم ان للمرأة حقاً في ان تشتغل بالاعمال التي تراها لازمة للقيام بمعاشها . وان هذا الحق يستدعي الاعتراف لها بحق آخر : وهو ان توجه تربيتها الى الطرق التي تؤهلها الى الانتفاع بجميع قواها وملكاتها . وليس معنى ذلك الزام كل امرأة الاشتغال باعمال الرجال ؛ وانما معناه انه يجب ان تهيأ كل امرأة للعمل عند مسيس الحاجة اليه » .

وقد قابل الرأي العام المصري هذا التصريح بالنكير ، وقامت قيامة المحافظين على الاستاذ قاسم امين ، وخطبوا وكتبوا ضده ، وسفهوا اراءه . ولكن واحداً منهم لم يحاول مقاومة الاسباب التي كانت تحمل المرأة المصرية على الخروج للعمل وراء الكسب . فذهبت كتاباتهم سدى . أجل وبينما كانوا يشتغلون في تبيان المضار التي تنجم عن مزاحمة النساء للرجال ، كانت المصرية ماضية في سبيل الاعتماد على نفسها : فاما ان تقبل على التخصص ببعض المهن والفنون ، واما ان تسعى الى احتلال الوظائف والمصانع تتلمس الرزق . وانتهى الأمر الى ان المصريات لم يقفن عند الحد الذي رسمه نصير المرأة الامين ، بل تجاوزن الى كل فن ومهنة ؛ وتعدى هدفها اديم الارض حتى زاحمت المصرية اخاها في الطيران .

ومثل هذا وقع في الشرق العربي ، بل في جميع الشرق ، نتيجة لاخذه بالتمدن الغربي ، ولشيوع الاسباب نفسها التي حملت نساء الغرب على مغادرة الدار للعمل والكسب . ثم لم يسع الحكومات . ومنها لبنان ، الا الاعتراف بالامر الواقع وسن قوانين تختص بعاملات المصانع والمعامل والعمال .

اما وقد اصبحت النتيجة ماثلة امام انظارنا فلم يعد يجدينا نفعاً الاعتقاد المجرد بالضرر الذي يقع عن مغادرة بناتنا الدار للعمل . بل يجب ان نربيهن تربية

تتلاءم مع الزمان الذي خلقن له . فاذا احتاجت احداهن للاستفادة مما تعلمت ذكرتنا ذكراً جميلاً ، والا فانها ستعرف كيف تربي اولادها على حب الجهاد والعمل ؛ وعلى الفوز في معترك الحياة .

يجب ان تكون القاعدة العامة للانسان ، رجلاً كان ام امرأة ، قائمة على اساس تمتع الجنسين بالحرية التامة في التخصص ، والمساواة في هذه الحقوق ، بحسب استعداد كل منهما ؛ وليس بمقتضى جنسه .

هذا وبعد ان ذكرنا رأينا من حيث القاعدة يحسن بنا ان نجاوب على السؤال الذي جاء عنواناً لهذا المقال : « هل من الصالح خروج المرأة الشرقية الى ميدان الاعمال الخارجية ؟ »

— أجمع المصلحون المجددون في الشرق امثال غاندي (١) ، وفيصل الاول ، ومحمد علي جنه ، وسعد زغلول ، وعبد الرحمن شهبندر ، وهم غير طبقة رجال الاصلاح المحافظين ، على انه ليس من صالح الشرق ان يفسح المجال لنسائه لكي يخرجن من خدورهن الى ميادين الكسب .

وهو الصواب عينه ، لان المرأة التي تنصرف الى الاعمال الخارجية تخسر بيتها وزوجها واولادها من الراحة المنزلية على قدر ما تربح من المال خارج المنزل . ذلك لان الزواج يخلق للمرأة واجبات لا تستطيع الخادمات ، مهما كن حاذقات ، سدّ فراغها . هذا اذا بقي في المستقبل خادمات . وان العالم الغربي في اوروبا واميركا لا يكابر في هذا الموضوع ؛ بل انه لا يزال يجنح عملياً الى فكرة لزوم المرأة دارها . حتى ان نسبة النساء اللواتي يقتصرن على الشؤون المنزلية في الولايات المتحدة ، وهي اكثر البلاد تطرفاً في حرية المرأة ، لا تزال تبلغ رقماً عالياً .

والى هذا فان الاعمال الاجتماعية والانسانية لا تقبل عليها هناك الصبايا اللواتي تلقى على عواتقهن الواجبات : فقد تساءلت مساء يوم في واشنطن عن اسباب اقبال جمهور كبير من السيدات الراقيات على بهو « ماي فلور اوتيل » ، حيث

(١) رد الزعيم غندي على سؤال وجهته جريدة باريسية له بحديث جاء فيه : « نعم يجب الا تنزل المرأة عن عرشها لكيلا يتهدم نظام الاسرة . وكيف تجد السعادة مأوى في بيت تشتغل صاحبته على الآلة الكاتبة كل النهار ، وتتناول غذاءها في المطاعم ، وتذهب الى البيت لتنام فقط ؟ ومن ذا الذي يعني بالاطفال ؟ ثم ما قيمة البيت بغير الاطفال الذين هم زينة الحياة ، واللؤلؤة الساطعة في احقر الاكواخ ؟ .

كنت انزل ، وليس بينهن صبية واحدة ، وربما ولا كهلة ايضاً . فقيل لي انهن على موعد لمؤتمر ، وقيل لي ، وقد افتقدت الصبايا ان هذه الاعمال في اميركا انما يتفرغ لها المتقدمات في العمر ، ذلك لانهن يمسين اقل ارتباطاً من سواهن بالواجبات العائلية والمنزلية .

وجدير بالذكر الاشارة هنا الى انه حتى النساء اللواتي قضى عليهن الزمان بمغادرة المنزل وراء الكسب غلب عليهن الالم والندامة لهذا المصير. واكبر دليل على ذلك الاستفتاء الذي قام به معهد غالوب في اميركا ، من مدة قريبة ، وهو معهد موثوق به ، مهمته الاستفتاءات العامة لتحديد اتجاهات الرأي العام . قام باستفتاء عام في جميع اوساط الولايات المتحدة بصدد تعيين رأي النساء الكاسبات في صدد العمل . واذا هو ينشر الخلاصة التالية :

« ان المرأة متعبة الآن ، وبفضل ٦٥ في المئة من نساء اميركا العودة الى منازلهن . كانت المرأة تتوهم بانها بلغت امنية العمر . اما اليوم ، وقد ادمت عثرات الطريق قدميها ، واستنفذت الجهود قواها فانها تود الرجوع الى عشها ، والتفرغ لاحتضان فراخها . »

ولا يصدقك مثل خبير . على ان هذا التراجع ظهر ايضاً في الاوساط الاميركية السياسية اذ تناقص ، على التوالي ، عدد عضوات الكونكرس الى ما يشبه العدم .

كان عدد الممثلات الاميركيات في مجلس النواب والشيوخ سنة ١٩٢٦ يبلغ ١٠٨ امرأة ثم تصاعد هذا العدد في الانتخابات اللاحقة الى ١٣١ . ولكن الزهد الذي استحوذ ، من بعد، على نساء الولايات المتحدة في هذه الناحية جعل هذا العدد يتراجع حتى لم يبق في الكونكرس الاميركي الآن الا تسع نائبات فقط ، على ما قرأت .

وخلاصة القول ان خروج النساء لمزاحمة الرجال في اعمال الكسب له اضرار لا مكابرة فيها ، وان إعداد بناتنا اعداداً يذلل لهن الاعمال ، فيما اذا اضطرهن المستقبل لممارستها ، امر له فوائد لا جدال فيها . فلنستعد اذن كما تستعد الدول للحرب في زمن السلم ، خصوصاً وان الحياة كلها كفاح ، وكل كفاح له سلاح ، ومن البلاهة ان نستبقي للنضال في عصر الذرة السيوف والرماح .

**مساواة الجنسين في الوظائف والخدمات العامة :** مصدر الحقوق الاجتماعية امران: التملك وخدمة المجتمع، ويشترط ان تتوفر الكفاءة في طالب هذه الحقوق .

ترى هل هذه الامور متوفرة في شخص المرأة الشرقية التي تطالب بالمساواة في المناصب والخدمات الاجتماعية ؟

هذا ما سنحاول التدليل عليه في هذا المقال .

ان كانت خدمة المجتمع والكفاءة جديرتين بالبحث في الموضوع الذي نعالجه فحق التملك لا يحتاج الى تعليل ، ذلك لان المرأة عندنا لا تختلف عن الرجل في حق التملك؛ سواء أكان ذلك في الارث ، او بالشراء او بطريقة الهبة . فلنحصر دراستنا إذن بخدمة المجتمع والكفاءة .

وتكاد البراهين على خدمة النساء للمجتمع يضيق عن استيعابها هذا الكتاب : ففي الماضي ما نهض نبيّ او مصلح الا وكانت المرأة اول من لبى دعوته، وسارع الى نجدته ، وخير من حماه ، واكرم من ضحى في سبيل مبدئه . وحسبنا ان نزور كنيسة القيامة ، في القدس ، ونستعرض تلك الرسوم التاريخية التي تزين جدرانها حتى نشاهد امثلة كثيرة على عطف النساء وحدبهن على السيد المسيح في اوضاعه المختلفة. وحسبنا ان نتلو سيرة نبينا محمد ، منذ بدء الدعوة ، حتى نرى امثلة اخرى متعددة على نصيبه من نصرة المرأة ، وتأييدها له منذ بدء الرسالة .

هذا من ناحية الاديان ، واما في ناحية الاوطان ، فالتاريخ القديم ، ومثله التاريخ الحديث ، طافح بالادلة على التضحيات التي ادتها المرأة لبلادها ؛ وهناك كتب مثل كتاب مدام افريل باللغة الافرنسية احصت هذه الادلة الكثيرة . ولكنا لا نتعرض لها ؛ بل نكتفي بالاشارة الى الخدمات الحديثة التي بذلتها نساء العالم لامهن في الحربين العالميتين : هذه الخدمات الجلى شاهدناها ، وهي لا تزال ماثلة امام اعيننا ؛ ولا سيما تلك التي بذلتها نساء البلاد العربية المعاصرات في سبيل استقلال الاوطان . على ان خدمات المرأة في نواحي العلم والتعليم والتربية والتوجيه فهي أجل من كل شيء آخر ؛ وحسبنا التنويه بكتاب روبيير(١) الذي أشاد فيه بجهود النساء في حقلي العلوم والفنون ؛ وحسبنا الاشارة الى

(١) A Rebiers. la femme dans la science

فضلهنّ بتنشئة العظماء . وكم من عالم وعظيم مدين للمرأة بعلمه وعظمته؟(١)

واما في النواحي الانسانية فحدث عن المرأة ولا حرج ؛ فهي فضلاً عما بذلته في الايام العصيبة من الخدمات ، لا تزال تتولى معظم المؤسسات الخيرية . وهل ننسى جهودها المبرورة في سبيل مناصرة الامم المظلومة ، ومحاربة الموبقات ؟ وهل ننسى نضالها في سبيل مكافحة الحروب وتأمين السلام ؟ وهل ننسى جهود نسائنا العربيات في تخفيف الآلام الانسانية في كل حين ؟ .

بقي علينا ان نعرف اذا كانت المرأة تتمتع بالكفاءة لنيل المناصب المدنية . وقد اخذ السير أو. لودج Sir O. Lodge على عاتقه الجواب على هذا السؤال بالايجاب ، وذلك بكتاب معلل يستند في احكامه الى التاريخ . كما ان المسيو ارنست لكوفه E. Legouvé أيد كفاءة المرأة مستشهداً على ذلك بالنجاح الباهر الذي احرزته مؤسسات الراهبات في القرون الوسطى ، وما بعدها .

على انا لسنا بحاجة الى الرجوع الى القرون الوسطى للتدليل على كفاءة المرأة في الاضطلاع بالمسائل الاجتماعية العامة ، وبالمناصب المدنية . بل ان الاعمال التي وفّتها حقها ، ولا سيما في نواحي التربية والتعليم والشؤون الصحية والمؤاساة ، هي بالاضافة الى شهادات عظماء الرجال ، افضل برهان على هذه الكفاءة .

اما وان المرأة تتمتع فعلاً بالصفات التي تؤهلها للمساواة في الحقوق الاجتماعية والمناصب المدنية ؛ واما وانها تؤدي مثله للانسانية وللهيئة الاجتماعية الخدمات العامة ، وتتوفر لديها الكفاءات التي تؤهلها لهذه المناصب ؛ فلماذا اذن تحرم عملياً من هذه الحقوق ؟

سؤال تردد كثيراً في اندية المدنية الحاضرة خلال القرن الماضي ، وترددت الامم في الجواب عليه بالايجاب تحت تأثير قوة الاستمرار ؛ ولكنها لم تلبث ان استكانت امام الحق ، ففتحت هناك للمرأة ابواب الوظائف الادارية والعلمية والفنية ، فضلاً عن السياسية ؛ ولما اصدرت ولايات كثيرة في اميركا ، سنة

(١) ولد لنكولن فلاحاً من اب قروي ، ولكن تربية امه اهلته لان يتبوأ منصب رياسة الجمهورية الاميركية مرتين ( ١٨٦٠ و ١٨٦٤ ) وقد قال : معترفاً بهذا الجميل : « فضل نجاحي عائد لوالدتي لانها احسنت تربيتي في الصغر . » — وقال المستر ماكدونلد رئيس حزب العمال ، الذي الف الوزارة الانكليزية قبل بضع سنين : « اني مدين بكل شيء لامرأتي ولولاها لبقيت شخصاً مجهولاً قابعاً في زاوية من « أيكوسا » . وجاراه في هذا الاعتراف للزوجة كل من اللورد سنودن ، ومستر لويد جورج وغيرهما من اعاظم الرجال .

١٩٤٣ ، قوانين تسمح للنساء بان يكن محلفات في المحاكم تمت لنسائهم بذلك جميع الحقوق المدنية .

اما في الشرق ، ولا سيما في الشرق العربي ، فمن المؤسف ان دوله لا تزال تتردد كثيراً في الاعتراف للنساء بالحقوق المدنيـــة والاجتماعية : فلا نعرف بلاداً هنـــا سمحت للمرأة ان تكون عضوة في المجالس البلدية ، او في الغرف التجارية والزراعية والصناعية ؛ او ان تكون عضوة في المجالس الصحية ؛(١) والقضائية ،(٢) او في النقابات العامة ، إسوة ببلاد الغرب .

وان اسفنا ليتضاعف كلما ذكرنا تخلّف البلاد العربية عن سواهـا في منح النساء هذه الحقوق الاجتماعية بينما ان التقاليد العربية بالاضافة الى الشرع الاسلامي كان لها فضل السبق في هذا الميدان ؛ وذلك قبل اربعـــة عشر قرناً تقريباً : فالشرع كما اجاز للمرأة الولاية على الاوقاف والوصاية على الايتام ،(٣) فقد سمح لها ان تتولى القضاء والتدريس والافتاء ومبايعة الامام . ولا نعلم ان الاسلام ميز الرجل في الحقوق العامة الا بالخلافة والامارة . ثم لم تبق هـذه التعاليم في حدود النظريات . بل خرجت الى حيز الفعل . فقد روى ان عمر بن الخطـاب ولى امرأة على الاسواق ، وهي من اعمال « البلديات » في العصر الحـــاضر . وروي عن النبي قوله: « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » ، ويعني بها زوجته

(١) سبق للاتحاد النسائي العربي في لبنان ان تقدم الى الحكومة باقتراح تشريع يمنح السيدات حق الدخول في المجالس البلدية ، ولكن طلبه هذا ذهب ادراج الرياح على حين ان هذا الاتحاد كان له اثر محسوس في كثير مما اتخذته المجالس البلدية من تدابير صحية . ولبعض السيدات من اعضائه اياد بيضاء في الخدمات العامة، كزيارة السجون والعناية بالسجينات والاطفال الموقوفين، وكزيارة بيوت البغاء لانقاذ بناتها اللواتي يظهرن ميلاً للتوبة . اياد بيضاء تقدرها الحكومة بما تبذله لهن من التشجيع والمساعدة، ويقدرها الرأي العام . وهنا مجال للتنويه بخدمات السيدة ادليت ريشاني التي كانت تنوب عن الاتحاد النسائي في القيام بهذه الاعمال الانسانية .

(٢) كانت الآنسة ايوبي المسلمة الاولى في مصر التي نالت شهادة الحقوق قبل بضع سنين . ولكن حكومة القاهرة بدلاً من ان تعينها في القضاء بحسب اختصاصها فقد عينتها معلمة في المدارس الثانوية . وقد قابل انصار المرأة هذا التصرف بالاحتجاج على اعتبار ان هذا التعيين يعتبر تراجعاً في سير النهضة النسائية .

(٣) لا تزال المرأة المسلمة تمارس هاتين الولاية والوصاية دون سواهما من الحقوق الاجتماعية: فزهرة خانم العابد كانت وكيلة وقف آل اليوسف ، وعقيلة حقي بك العظم مارست هذه الوكالة على وقف آل العظم. كما ان زهدية خانم نابلسي كانت لها الولاية على اوقاف آل النابلسي. وجميعهن من اسر دمشق المشهورة .

السيدة عائشة بنت ابي بكر . فكانت هـــذه الدعوة بمثابة البادرة الاولى لقيام نساء كثيرات ، فيما بعد، بالتدريس والافتاء. حتى اصبح عدد العلماء المدينين بعلمهم الى بعض السيدات يكاد لا يحصى . هذا فضلاً عن الخدمات الجليلة التي اضطلعت بها نساء الاسلام ، ابان نهضته ، سواء في السلم ام في الحرب .

معاوية بن أبي سفيان ، والى جانبه ( سبتي ام الحرام)، يركب البحر غازياً قاصداً الى قبرص [ بريشة الاستاذ مصطفى فروخ ]

ولدينا في بيروت شاهد خالد حسي على اشتراك المرأة في صـدر الاسلام ، اشتراكاً فعلياً ، في سبيل رفع كلمة قومها ودينهـا ، واعني به مزار الصحابية

« ستي ام الحرام » على لغة البيروتيين . وكانت السيدة ام الحرام ( الرميصاء بنت ملحان ) قد رافقت الحملة التي جهزها معاوية بن ابي سفيان لفتح قبرص ؛ واستشهدت اثناءها، ودفنت في هذا الثغر. وكم بين المجاهدين في سبيل رفعة العرب من شهيدات امثال ستي ام الحرام ؟

وبعد فهل يجوز ان تتخلف المرأة العربية والاسلامية عن ركب الحضارة المعاصرة مع ان تقاليدها القومية ودينها الحنيف قد سبقا هذه الحضاره الزاهرة مسافة اربعة عشر قرناً في ميدان تقرير حقوق النساء المدنية ؟

كلا . وقد قال احد رجال المجمع العلمي الافرنسي « اذا اردتم ان توثقوا بين عواطف الافرنسية وبين مصالح فرنسا فلا تكتفوا بتقرير واجبات المرأة ؛ بل يقتضي ان تقرروا ، قبل ذلك، واجباتها نحو فرنسا : ذلك لان محبة الوطن تحصل على قدر الخدمات التي بذلها الانسان نحوه . »

فعلينا اذن ان نشرك المرأة في القيام باعباء شؤوننا الاجتماعية حتى تقاسمنا حقاً آمالنا وآلامنا ؛ وحتى تشاطرنا محبة الاوطان، وتربي اولادنا على حب الاوطان.

**المساواة في الحقوق السياسية**

هذه هي الامنية التي تشغل نساء الشرق في الوقت الحاضر ، اشد من كل شيء آخر . وذلك بدافع الغبطة التي يشعرن بها من جراء تمتع اخواتهن في الغرب بهذه المساواة ، هذا فضلاً عن استناد نسائنا الى الكفاءات التي توفرت لديهن ؛ لذلك فاذا اسهبنا قليلاً في هذا البحث ، وجعلنا له توطئة تاريخية ؛ فانما تشفع لنا بذلك الرغبة الصادقة في ايفاء البحث حقه .

**عصر البعث الاسلامي** ثورة روحية نشبت قبل اربعة عشر قرناً في جزيرة العرب، كان بطلها محمد بن عبدالله ، الذي اعلن الحرب على آلهة قومه ، وسفه عباداتهم ، ودعا الى الايمان بأله واحد لا رب سواه .

ثورة روحية اثارت عليه اهل الجزيرة الاشداء ، وفي طليعتهم اهله سدنة الكعبة وخدمة الاوثان ، وعشيرته التي كانت تتفيأ باظلال هذه الاوثان ؛ ولم يبق، خلال ذلك، الا حديث محمد ؛ ثم لم يبق بين الناس الا فئتان: فئة تناصره وتتحمل الاضطهادات في سبيل عقيدته ، وفئة تتألب عليه وعلى صحبه ، وتتآمر عليهم جميعاً بغية القضاء عليهم ، واستئصال شأفتهم .

وبين الفئة القليلة التي كانت تلتف حول محمد نسوة كن اشد الناس حدباً عليه وحماساً لدعوته ، لا يبالين بالتعذيب . نسوة آمن بالنبي وبالأله الواحد الذي دعا اليه النبي، مثلما آمن الرجال ، وبايعن الرسول، كما بايعوا ، ونشطن الى نشر دعوته وحمايتها بالارواح ، كما نشطوا ، وهاجرن فراراً من القتل والتعذيب، كما هاجروا(١) .

ولما عني محمد بالتشريع ز جعل المرأة والرجل سواسية في التبعات ، وفي المثوبة والعقوبة ومنحها حقوقاً في دنيا الناس لم تكن تتمتع بها : منحها كما اسلفنا ، حق مبايعة الامام ، واجاز لها ، على رواية ابن رشد عن الطبري ، ان تكون حاكماً على الاطلاق. فهل يكون من الصواب ان يحجب المسلمون المعاصرون عنها الثقة، وان لا يعترفوا لها ، من ثم ، بحق التمثيل في المجالس البلدية والبرلمانية ، وفي الاندية السياسية ؟

أيستكثر عليها الاشتراك في التشريع بينما ان محمداً جعل من المرأة مرجعاً دينياً قبل اربعة عشر قرناً حينما دعا صحبه للأخذ عن زوجته عائشة ؟ وحينما ترك المجال للنسوة بعدها يعقدن حلقات الدروس ، ويعلمن الناس آداب الدين والدنيا ؟. بل ان النساء اللواتي رباهن محمد ، وصحب محمد ، على حقيقة الدين لم يشتركن مع الرجال في مهام الحياة وسياستها ابان السراء وفي الحياة العادية فحسب، وانما ساهمن في الحروب مذ خف المسلمون لنشر الدين في العالم واعلاء كلمته؛ واظهرن من الشجاعة والبسالة اثناء الفتوحات ما اثار الاعجاب. وحسبنا الاشارة الى خولة بنت الازور التي ادهشت ببطولتها خالد بن الوليد المشهور بالحزم والعزم والاقدام(٢) ، والخنساء التي ما زالت تبث روح التضحية في اولادها ، ولما جاءها نعيهم في معركة القادسية (العراق) قالت «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم.»

ثم لما انقسم المسلمون بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، الى طائفتين كان للمرأة في ميدان هذا الانقسام السياسي دور يلفت الانظار ز ولقد كانت عائشة زوجة النبي على رأس احد الحزبين ، ومعها طلحة والزبير وعبدالله بن عامر وكثيرون غيرهم من الصحابة . وحين دعا الداعي لقتال الامام علي بن ابي طالب

(١) اشترك النساء في الهجرتين الاولى الى الحبشة والثانية الى المدينة .

(٢) قال المؤرخ ادوار جيبون في كتابه « تاريخ الامبراطورية الشرقية » : « ان الشجاعة التي اعربت عنها المرأة المسلمة في موقعة اليرموك ، واثناء حصار دمشق ، لأعظم مما يتناوله التقدير .»

زعيم الحزب الآخر ، لم تبق هذه الزعيمة رهينة الخدر ؛ بل خفت، في الطليعة ، الى لقائه ؛ وخاضت المعركة بنفسها على جمل ، في جوار البصرة ، وظلت تحضّ صحبها على الثبات حتى صار هودجها كالقنفذ لكثرة ما استقرّ فيه من السهام .

على ان علياً ، الذي انتصر على عائشة وردها الى المدينة ، كان اقرب الى قلوب النساء من زعماء الطوائف الاخرى : فان جمهوراً كبيراً من الجنس اللطيف ظاهره على حزب عائشة ، ثم على معاوية بن ابي سفيان الذي نهد بعدها الى زعامة الحزب المعارض، وظل هذا الجمهور ثابتاً على الاخلاص للامام طيلة الحياة . وحسبنا التنويه بسودة ابنة عمارة الهمدانية ، وبكارة الهلالية ، والزرقاء ابنة عدي ، وام سنان ، وام جشمة ، وعكرشة بنت الاطرش ، ودارمية الحجونية ، وام الخير بنت حريش ، وأروى بنت الحارث بن عبد المطلب .

كانت الزرقاء تمتطي جملاً أحمر يوم « صفين » تحضّ اصحاب علي على الثبات والاقدام؛ وكان من قولها: «ان خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء.»

وكانت عكرشة بنت الاطرش تتقلد حمائل السيوف ، وتنادي اصحاب علي نداءً يثير الحماس والاستماتة . ومن قولها : « يا معشر المهاجرين والانصار أمضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيمتكم . فكأني بكم وقد لقيتم اهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البعير . »

اما امّ الخير فكانت كأنها السهم تحت راية الامام ، سيفها مصلة في يدها ، وصوتها يلعلع في الفضاء ، قائلة: «جاهدوا قبل ان تبطل الحقوق، وتعطل الحدود، ويظهر الظلم . »

ولقد انتهت تلك الحروب بفوز معاوية بن ابي سفيان واستخلاص الخلافة لنفسه ؛ ولكن اخلاص النساء لعلي، ثم لولده الحسين(١) لم ينته في السراء. بل كاد ان يكون اعظم منه في الضراء . وكم وفدت منهن على معاوية واحدة تلو واحدة ، من نصيرات آل البيت لشكاية عامل له ، او للانتصاف من منتقم

(١) ناصرت المراة الحسين كما ناصرت اباه علياً ، ومن شهيرات المشايعات له أم وهب وزينب الكبرى، وزوجتا كل من مالك بن نسير وخولي بن زيد اللتان رفضتا زوجيهما احتجاجاً على مشايعتهما ليزيد بن معاوية واشتراكهما في مقتل الحسين .

لاجله ، فلم تخف تحزبها ، ولم تنكر عصبيتها(٢)

حدث كل ذلك اثناء ما كانت العروبة صافية ، وابان ما كان الاسلام اسلاماً ، فكان النساء صنو الرجال يبايعن الامام ، وينبن عنه في الاحكام ، ويتزعمن الاحزاب السياسية ، ويشتركن في القتال من اجل الفتوحات ، او من اجل تأييد الاحزاب ، ويرئسن الوفود . ولكن ما ان اختلط العرب بالاعاجم ، وما اصطدم الدين بتقاليد هؤلاء ، وامتزج باساطيرهم حتى حدّ الناس نشاط المرأة باسم الدين ، وجعلوها تنكمش على نفسها في خدرها باسم الدين ، وحولوها الى العوبة ومتعة باسم الدين ، وصيروها تشعر ، شعور الرجل ، بانها خلقت من اجله ، وان وظيفتها تنحصر في جلب المسرات لنفسه ، وولادة الاولاد لتأمين نسله !

**في التمدن الحديث :** دار الفلك دوراته ، ودالت الدنيا دولاتها ، فاذا علم الحضارة الخفاق ينتقل الى الغرب ، واذا التمدن الحديث يقوم على دعائم تتعدى المعنويات ، وترتكز على المادة قبل كل شيء آخر فتحمل النساء على الاشتراك في الاعمال العامة مع الرجال ، واذا هذا الاشتراك بين الجنسين في اعمال الكسب يطمع النساء بالمساواة العامة . ثم بعد نضال طويل خرجت المرأة الغربيّة من هذه المعركة منتصرة رافعة الرأس . كما فصلناه تفصيلًا في كتابنا المرأة في التمدن الحديث .

وجدير بالذكر ان دول اوروبا الشمالية كانت في طليعة الدول التي اعترفت للمرأة بحقوقها السياسية : بدأت بذلك الاسكندينافية ، وتلتها جارتاها في العدوة الجنوبية : الدانمرك وهولندا . وبينما كانت الدول الكبرى لا تزال تباعد بين

---

(٢) وفدت سودة بنت عمارة على الخليفة معاوية بن ابي سفيان ، بعد ان استتب له الامر ، غير حاسبة لماضيها تجاهه اي حساب ، وقالت له شاكية : « هذا ابن ارطاة (عامل معاوية) ، قدم بلادي ، وقتل رجالي ، واخذ مالي ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة . فأما عزلته فشكرناك ، واما لا فعرفناك » . ولما امر معاوية بان يكتب لها بالانصاف لم يرق لها تخصيص شخصها ، فقالت : « ألي خاصة ام لقومي عامة ؟ » ، قال : « وما انت وغيرك ؟ »، قالت: « هي والله اذاً الفحشاء واللؤم : ان كان عدلاً شاملًا ، والا فيسعني ما وسع قومي . » فأعجب معاوية بحرصها على قومها ؛ وامر ان يكتبوا لها بحاجتها كاملة .

ووفدت على معاوية عكرشة بنت الاطرش من العراق ، وهي التي كانت في الامس تصفه وتصف جماعته بالحمر الناهقة ، وشكت من استئثار حكومته بصدقات قومها دون فقرائهم ، فما أبه معاوية الماضي القريب ، بل أكرمها وأمر برد صدقاتهم فيهم وانصافهم .

الجنس اللطيف وبين جهاز الدولة ، وندواتها السياسية كان في المجلس النيابي الهولندي ، ٢٥ نائبة سنة ١٩٠٨ م .

على ان المرأة الانكلوسكسونية، وان نالت بالتالي هذه الحقوق، الا انها لم تفز بها الا بعد عناء شديد ، ولا سيما في الولايات المتحدة : فلما انتهت الحرب الاهلية الاميركية التي افضت الى منح العبيد حقوقهم المدنية وحق الانتخاب ، نشطت السيدة سوزان انطوني ( ١٨٢٠ – ١٩٠٦ ) للمطالبة بمثل هذه الحقوق لبنات جنسها ؛ وفي يوم من الايام، واثناء ما كانت تخطب في الموضوع، اعترضها نائب ولاية « ماساتشوستس » وقال لها بخشونة : «اننا على ثقة من العبيد في التصويت، واما النساء فلسنا على ثقة من امرهن . » كما ان جيمس جوردون بنيت، صاحب جريدة نيويورك تيمس ، حمل حملات شعواء ، في القرن التاسع عشر ، على ما اسماهن « المسوخ المتنكرة في ثياب النساء » .

ولكن الاميركية صابرت وثبتت وقد أعطى الثبات أكله بعد قليل حينما منحت منطقة « ديومنج » حق الانتخاب الكامل للنساء ، فكانت مثلاً صالحاً لسائر الولايات التي اقتدت بها تباعاً . واما في بريطانيا العظمى فيرجع الى القانون الصادر في عام ١٩٠٢ أمر الاعتراف للمرأة في بعض الحقوق الاجتماعية ؛ ذلك القانون الذي ظل يخضع للتعديل حتى سجل لها الحقوق السياسية كاملة . ولما اقرّ في السنة الماضية مجلس اللوردات الحق لحاملات الالقاب بأن يدخلن عضوات في هذا المجلس اكتملت ، في انكلترا ، حقوق المرأة السياسية حتى لم يبق اي فرق بين الجنسين .

واثناء النجاح العظيم الذي كانت تصيبه المرأة الغربية ، في صدر القرن العشرين، وابان اقتداء الدول اللاتينية بالدول الانكلوسكسونية ، اصطدمت بعقبات كأداء كادت تعيدها ، كرة أخرى ، الى ما كانت عليه قبل نصف قرن : فقد اتيح لرجلين عظيمين ان يبسطا سلطتيهما على امتين كبيرتين تعتبران مركز الثقل في السياسة الاوروبية، واعني بهما الفوهرر هتلر والدوتشي موسوليني ؛ وكانا مثل اكثر الديكتاتوريين في التاريخ عدوين للمرأة . وقد عكفا على تقليص ظلها في ميادين الاعمال العامة ، وعلى ردها الى خدرها لخدمة البيت ، ورعاية الطفل. وكان من تأثير ذلك نشاط خصوم المرأة في العالم كله ، بما في ذلك البلاد الانكلوسكسونية ؛ وكان من تأثيره ايضاً تراجع الدول المترددة عن الاعتراف

للمرأة في الحقوق السياسية : وبينما اخذت حكومة شوشنيك في النمسا تضيق ، تضييقاً عظيماً ، على حرية المرأة ، حتى في نطاق تحصيل العلوم ، ومزاولة الاعمال الخارجية ، وتخص بهذا التضيق ذوات الازواج رفض مجلس الشيوخ الفرنسي الاقتراح القاضي بمنح الافرنسيات الحقوق السياسية .

ولكن هذه الحالة الاستثنائية لم تلبث ان تلاشت بتلاشي احلام هتلر وموسوليني ، وعادت قضية المرأة سيرتها الاولى بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك بتأثير الجهود الجبارة التي بذلتها النساء خلال تلك الحرب الضروس ؛ فاعترفت فرنسا للمرأة بحقوقها السياسية ، واقرّ اخيراً مجلس الشيوخ الايطالي ( شباط ١٩٥٢ ) حقوق المرأة على قدم المساواة التامة .

وخلال هذا العراك في سبيل الاعتراف بالحقوق السياسية، الذي كان يتمشى على طريقة الكر والفر، كانت الغربية تتقدم لاحتلال بعض مناصب الدولة المرموقة منذ بداية القرن العشرين : فبكرت الدانيمرك في تعيين احداهن وزيرة للمعارف ؛ ثم شغلت سيدتان منصب الوزارة في واشنطن سنة ١٩٣٢ ، فكانت احداهما وزيرة للمعارف ، والثانية وزيرة للعمل والاقتصاد ؛ وذلك فضلاً عن الف سيدة أخرى شغلن وظائف عالية في جهاز الدولة الاميركية . واما في الكونغرس فبينما بلغ عدد الجنس اللطيف فيه ١٠٨ واحدة سنة ١٩٢٦ ، تعدى ذلك في الانتخابات التالية الى ان ادرك ١٣١ سيدة ؛ كما ان وزارة الخارجية البريطانية عينت عدداً كبيراً من النساء في مناصب رئيسية في السلك السياسي ، فضلاً عن ثلاثين موظفة في ديوان الوزارة نفسها ، احرزن مناصب لها اهميتها . ناهيك بروسيا التي اعتمدت على المرأة في المهمات السياسية الداخلية والخارجية : ففي انقره تعمل بعض السيدات والآنسات في السفارة الروسية ، بينما تتولى سفارة روسيا في السويد سيدة متضلعة في السياسة الدولية . والى هذا فقد اقبلت الاف الفتيات على الانتظام في سلك الجندية ، كن يحاربن جنباً الى جنب مع الرجال اثناء الحرب الاخيرة. وكانت قيادة الجيش لا تفرق بين المرأة والرجل في طراز المعيشة.

على ان بعض البلاد الشرقية وثبت ايضاً وثبة جبارة في هذا السبيل ، ونخص بالذكر منها هندستان . فقد عينت شقيقة الباندیت نهرو سفيرة لها في الولايات المتحدة . فكان اسمها يعادل بين السفراء اسم سير اوليفر فرنس سفير بريطانيا العظمى . ثم لما تولت في فترة مّا رياسة الوفد الهندي في هيئة

الامم تركت بين الوفود اطيب الذكريات حتى فضلتها بعض الصحف على مسز روزفلت . هذا فضلاً عن ان الهند تمشت ، من بعد ، على طريقة اشراك النساء في ندواتها السياسية ، ووزاراتها .

هذا وكما كانت عصبة الامم قبل الحرب العالمية الثانية تضم مندوبات لكل من بريطانيا العظمى ، واوستراليا ، وأسوج ، ونروج ، والدانمارك، ورومانيا ؛ كن مستشارات فنيات للوفود ، وعضوات في اللجان ، فان هيئة الامم تضم في الوقت الحاضر ٢٢ سيدة يمثلن ١٣ دولة . وقـــد لعبن دوراً هاماً في الدورة الاخيرة بباريس . ذلك ان وفود الدول عدا انها كانت حافلة بالجنس اللطيف ، فقد كان بعضهن يحتل الصدور في هذه الوفود :

فالسيدة فاكرتوفا كانت رئيسة للوفد التشيكوسلوفاكي ، كما كانت السيدة ليونس أسي نائبة لرئيس الوفد النروجي . ومن الجدير بالتنويه ان دولتين شرقيتين اختارتا سيدتين لنيابة الرياسة في وفديهما ، واعني بهما السيدة بديعة افنان عن العراق ، والآنسة ارتاتي سود بروغو عن اندونيسيا .

على ان هيئة الامم المتحدة قدرت ، في هذه الدورة ، المرأة قدرها حينما انتخبت السيدة أنّا فيغوروا ، من الوفد الشيلي، رئيسة للجنة الثقافية الانسانية ؛ وعندما انتخبت ايضاً كلاً من السيدة بديعة افنان ( العراق ) ومسز ليونس آسي ( النروج ) عضوين في هذه اللجنة .

والواقع ان انتخاب السيدة فيغوروا المشار اليها لرياسة احدى لجان الهيئة كان بادرة طيبة ؛ اذ هي المرة الاولى التي تنتخب فيها سيدة لمثل هذا المنصب السامي في هذه المؤسسة الدولية .

**في الشرق الادنى** برز في الشرق الادنى بعد الحرب العالمية الاولى دكتاتور آخر ، بيد انه لم يكن على رأي الدكتاتورين السالفين في قضية المرأة ؛ واعني به مصطفى كمال باشا .

ظهر اتاتورك اثناء ما كانت المرأة التركية تلزم خدرها ، وتحافظ على حجابها وتقنع بمنزلتها ؛ فنسف الاوضاع الاجتماعية ، كما نسف الاوضاع السياسية . وان المرأة التركية ، التي بذلت جهوداً جبارة ابان الجهاد من اجل جلاء اليونان عن ازمير وضواحيها ، حتى انها كانت تشترك في جر المدافع الى ميادين القتال، كان لها النصيب الاوفى من اصلاحاته، وذلك اعترافاً لها بالجميل . فقد اعتبر (الغازي)

ان الدستور التركي ، الذي كان يخول كل عشرين الفاً حق انتخاب نائب عنهم لمجلس الامة ، يجب ان يشمل الجنسين . غير انه مراعاة لحالة المرأة التركية وقتئذ ارجأ تطبيق هذا الاعتبار ، واقتصر ، في بداية الامر ، على منحها حق انتخاب اعضاء مجلس الامة ، وعلى اشراكها في بعض الوظائف الرسمية . وظل ذلك جارياً الى سنة ١٩٣٤ حيث أعلن حقوق المرأة كاملة ، فتبوأت ، من ثم ، مقاعد المجلس النيابي . ويضم هذا المجلس، في الحين الذي نكتب فيه هذا الفصل، ست مندوبات ، كما تضم مجالس ومناصب أخرى عدداً غير قليل من الممثلات والموظفات . وقد علمنا من وفد تركي نسائي زار لبنان وسوريا في شهر تشرين الثاني ١٩٥١ ان رياسة بلدية مرسين اسندت الى سيدة .

واما الاقطار العربية فقد منيت بعد الحرب العالمية الاولى بشيء كثير من الجمود في الحركة التقدمية النسائية . ذلك لان الانتدابات ، التي بسطها عليها الحلفاء بالاضافة الى الحمايات ، صرفت الناس عن كل اهتمام بالاصلاح ، وساقتهم، رجالاً ونساء ، الى الكفاح ضد الاستعمار المبطن . ومع ذلك فان المرأة لم تهمل قضيتها خلال الحربين العالميتين ، كما اوجزنا ذلك في مقدمة هذا الكتاب ؛ وكما فصلناه في كتاب خاص سنصدره تخليداً لذكرى العاملات من النساء ، والمناضلات في سبيل المساواة .

هذا وقد اتيحت ظروف خاصة لسوريا جعلتها السباقة في هـذا النضال ، وقدوة لسواها من بلاد الشرق : ذلك انها شهدت ، خلال استقلالها القصير : عهد الملك فيصل ، ثورة روحية رافقتها عاصفة من النشاط الاجتماعي والسياسي لا مثيل لها الا في الفترات التي ترافق مطلع عهد تحرر الامم من الاستعباد، عاصفة من النشاط جعلتها تحاول القيام بالاصلاح من جميع نواحيه ؛ فاذا الشيخ سعيد مراد الكرمي ، نائب غزة في المؤتمر السوري ، يثير قضية المرأة ، ويقترح على المجلس الاعتراف بمساواة الجنسين في الحقوق السياسية . وكان لبنان ممثلاً في المجلس المشار اليه رغم معارضة الفرنسيين المنتدبين وتهديداتهم ، وكان لي حظ تمثيله عن بلدي بيروت ، فأيدت الشيخ الكرمي ، وطلبت ان يحقق اقتراحه بصورة تدريجية .

ولكن الانتداب الفرنسي لم يلبث ان اكتسح سوريا ؛ وبين ليلة وضحاها امسى الناس هناك يرون انفسهم محرومين من الحقوق السياسية ، فانصرفوا الى

مكافحة الانتداب دون اهتمام باي شيء آخر . وقد ثبتوا وصابروا ٢٣ عاماً ، كانوا يذوقون خلالها عذاب الهون ، حتى نالوا استقلالهم .

وفي عهد الاستقلال المبارك برزت ظروف استثنائية خدمت قضية المرأة : فان انقلاباً عسكرياً قام به الزعيم حسني الزعيم في اذار ١٩٤٩ قلب جهاز الحكم في سوريا ، وجعله ديكتاتورياً رغم بقائه دستورياً في الظاهر . ومن الانصاف الاعتراف لذلك الحكم بانه ساعد على تحقيق اصلاحات كثيرة كانت الحكومات الدستورية تتردد في تنفيذها ، او تعارضها ؛ من ذلك الاعتراف للسورية بحقها في ان تنتخب ممثلي الشعب في الندوة النيابية . فكانت وثبة غير مرتقبة اثارت عواطف نساء العالم العربي، وحملتهن على التطلع الى حقوقهن كاملة.

ومن الطبيعي ان يكون لهذا الحدث في لبنان اشد الاثر نظراً لصلة الجوار بينه وبين سوريا ؛ خصوصاً وان الجهاد ، في سبيل التحرر والمساواة ، كان مشتركاً بين نساء ساحل بلادالشام وداخلها ؛ ومذ دعا الداعي،كان يمشي في الطليعة سيدات لبنان الى الامام . فاذا الاتحاد النسائي اللبناني العربي(١) ينشط الى العمل عوداً على بدء . فقد كان الاتحاد رفع الى الحكومة في صيف ١٩٤٣ مذكرة طالب فيها بحقوق اللبنانية السياسية . وتبنى هذا الطلب عشرة نواب قدموا سنة ١٩٤٤ اقتراحاً الى المجلس النيابي بمنح المرأة حقوقها الانتخابية والتمثيلية كاملة . ولكن المجلس لم يكن حينئذٍ على استعداد لقبول هذا الاقتراح فرفضه. وشاء النائب الاستاذ جوزف ضو ان يستجيب لالحاح الاتحاد والجمعيات النسائية ، فكرر هذا الاقتراح سنة ١٩٤٩ ، بيد ان نصيبه في المجلس لم يكن ، في هذه المرة ، خيراً من قبل .

على ان الجمعيات النسائية في لبنان لم يفت في عضدها هذا الموقف الذي وقفه المجلس النيابي ، بل تكتلت وثابرت على انتهاز كل فرصة للمطالبة بالمساواة بين اللبناني امرأة كان ام رجلاً . وقد بدأت هذه الجهود تعطي ثمراتها آخر الامر حينما اقترحت اللجنة التشريعية في المجلس النيابي الاعتراف بحقوق المرأة السياسية بصورة تدريجية ، على ان تستهل هذه الحقوق ( بالتصويت ) للمجالس البلدية .

(١) تأسس الاتحاد في لبنان في ١٤ حزيران ١٩٢١ ، وعقد مؤتمرات عدة اشترك في بعضها السوريات ، ودخل في الاتحاد النسائي الدولي سنة ١٩٣٥ ، وفضلاً عن قيامه بخدمات اجتماعية كثيرة ، وجه عنايته لتأمين المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، ولا سيا في الناحية السياسية .

غير ان هذا الاقتراح قوبل باحتجاج شديد من قبل الهيئات النسائية : وبمظاهرة كبيرة في اذار ١٩٥١ احاطت بالبرلمان . وقد دخل وفد يمثل الاتحاد النسائي الى المجلس ، تتقدمه الآنسة ابتهاج قدورة رئيسة الاتحاد ، وسلمت مذكرة الى رئيس المجلس تتضمن الاحتجاج الشديد على هذا الاقتراح الابتر . وحيال جهود المرأة وثباتها لم ترَ الحكومة بداً من الاذعان ؛ فصدق مجلس الوزراء ، في عام ١٩٥١ ، برياسة الاستاذ عبدالله اليافي مشروع قانون ينص على المساواة كاملة بين الجنسين في الانتخاب والتمثيل . ورغم ان لجنة الادارة والعدلية البرلمانية تبنت هذا المشروع فلا يزال يلقى معارضة قوية تجعله يطوى بين المشاريع المؤجلة للدرس . ولا تزال اللجنة التنفيذية(١) المنبثقة عن الهيئات النسائية المطالبة بحقوق المرأة السياسية تعمل ، في شتى السبل ، للتأثير على حكومة لبنان وندوته السياسية قصد التصديق على هذا المشروع .

**هل تستحق المرأة المساواة في الحقوق السياسية ؟** يتوقف الجواب على معرفة ما اذا كانت المرأة متساوية والرجل في احكام القوانين المرعية ، واذا كانت احكام هذه القوانين تسري عليها كما تسري على الرجل في المغارم والمغانم . ويتوقف الجواب على معرفة ما اذا كانت الهيئة الحاكمة تبسط سلطتها على السيدات ، كما تبسطها على الرجال دون تمييز ، وتجبي الضرائب والمكوس من النساء ، كما تجبيها من الرجال دون استثناء .

فاذا كانت القوانين لا تفرق بين الجنسين ؛ بل تسري على المرأة كما تسري على الرجل ؛ وتقتص منها اذا خالفت ، وتحاسبها على الصغائر والكبائر ، فلماذا تحرم المرأة ، ويحرم بالتالي معها نصف الهيئة الاجتماعية ، من حق وضع هذه القوانين الشاملة ؟ لماذا تبعد عن المجلس التشريعي وتترك مصيرها لغيرها ؟ وهل من جور اشد على الانسان من ان يرضخ لارادة سواه ، ويعمل بمشيئة غيره ؟

واذا كانت موارد الدولة تجبى من الجنسين على السواء ، فلماذا لا يكون للمرأة حق في ان تساهم بالحكم وبالرأي في تصريف هذه الموارد ؟

واذا كانت سلطة الحكومة تشمل الجنسين على السواء ، الجنسين اللذين يقول

(١) تتألف اللجنة التنفيذية من الآنسة ابتهاج قدوره ، والسيدات: لور ثابت ، واملي فارس ابرهيم ، والدكتورة جمال كرم .

الله في كل الاديان انه خلقهما من نفس واحدة ، فلماذا نتعسف ونجري على سنة القوة فنجعل الجنس القوي حاكماً والجنس اللطيف محكوماً ؟

١ – المرأة مواطن يترتب عليه جميع واجبات المواطن فمن حقها ان يكون لها رأي في وضع القوانين والانظمة والمراسيم التي تخضع لها . ويحرم المواطن من هذه الحقوق اذا كان مجرماً . وهل من جرم اقترفته المرأة ، حين خلقها الله انثى ، حتى يسوغ حرمانها من هذه الحقوق ؟

٢ – ان المرأة اكفأ من الرجل في حالات معينة ، ولا سيما ما كان منها يتعلق بالامومة وبالطفل ، وبالعاملات والكاسبات من بنات جنسها ؛ فهل من مصلحة المجموع اقصاؤها عن التشريع والحكم ، وخسارة مواهبها الطبيعية التي كثيراً ما رجحت على مواهب الرجل في بعض النواحي ؟

٣ – تتحلى المرأة بصفات طبيعية تتصل بتكوينها الفسيولوجي لا يجاريها فيها الرجل : فهي تتميز بالدقة والضبط والمصابرة وطول الاناة ، كما تتميز برقة الشعور والاحساس والحرص على الاموال ، وحب السلام . وان كثيراً من المشاكل الاجتماعية ستظل دون حل الى ان تشارك المرأة الرجل في حلها ؛ وسيبقى السلام متأرجحاً مهدداً حتى تصبح كلمة السيدات نافذة ؛ اجل ستبقى الحروب، التي تقشعر منها ابدان الامهات، كسيف ديموكليس مصلت فوق رؤوس البشر حتى تتولى الامهات مكافحتها .

٤ – المرأة سياسية بالفطرة ، وما كان لها سبيل الى قلب الرجل ، وما كان لها سبيل لتأمين سلامتها وسعادتها ورغد عيشها الا بأن تسوس ابا او خاطباً او زوجاً، وبأن تسوس الطفل. فالسياسة إذن ، التي لا تشغل الا شطراً من حياة الرجل، انما تشغل حياتها قاطبة .

٥ – المرأة انسان كامل ؛ وهي كثرة في المجتمع ؛ وهل من الانصاف تحكيم القلة في الكثرة وحرمان نصف المجتمع بل اكثر من النصف ، من ابداء رأيه واستعمال مواهبه فيما تتعرض له الأمة من المشاكل؟ واي ديموقراطية هذه التي تتحكم فيها القلة بالكثرة ؟ وتتحكم حتى في المسائل التي تتعلق بالشؤون الخاصة بهذه الكثرة ؟

٦ – الديموقراطية اصبحت في هذا العصر موضع فخر الجبهتين المتخاصمتين : الغربية والشرقية . وقد اجمع كبار المتشرعين ، امثال روسو وروبسبيير

وبيسون ، على ان الحكم لا يكون ديموقراطياً متمتعاً بشروط الصحة الا اذا اشترك فيه اكبر عدد من افراد الامة . وقد قالت لي السيدة كوريث اشبي رئيسة الاتحاد النسائي الدولي اثناء زيارتها بلاد الشام سنة ١٩٣٤ : « اني لأستغرب كيف يجوز لكم اطلاق اسم الديموقراطية او الجمهورية على البلدان التي لا يتمتع نساؤها بحق الاقتراع » ولم تتردد في القول ايضاً « ان ديموقراطيتكم ناقصة ، وستظل جمهورياتكم مجرد تسمية الى ان يتمتع الجنسان في الحقوق السياسية ، ويعملان معاً في سبيل الانسانية » .

٧ — القوانين المدنية المرعية هي من وضع الرجل ، وقد دعم فيها سيادته خلال العصور المظلمة . اما الآن ونحن في عصر النور : العصر الذي حارب العبودية وحرر العبيد فهل ثمة مسوّغ ليبقى هذا الاجحاف قائماً ، ويتفرد الرجل في التشريع في حين ان المرأة لم تضن على وطنها بدمها ومالها ؟

٨ — تقوم دعائم الحكومات الدستورية على الحرية والمساواة والعدالة ، فأين الحرية اذا ظللنا نحرم المرأة حق ابداء رأيها ؟ واين المساواة اذا ثابرنا على الاستئثار بامتيازات نخص انفسنا بها دون المرأة ؟ ثم أين العدل اذا كنا نسلب هذا الإنسان الكامل حقه الطبيعي في التشريع والحكم ؟

٩ — ان بين الرجال طلاباً وتلامذة يتلقون علومهم على بعض المعلمات والعالمات ، وذلك مثلما تلقوا اداب السلوك عن امهاتهم . وان بين الرجال خدمة وموظفين عند السيدات ؛ فهل من العدالة والانصاف ان يكون للطالب والتلميذ والخادم والابن حق في اختيار ممثلي الامة ، واصحاب نصيب في تمثيل الامة ، بينما لا يكون للأم وللاستاذة وللمتبوعة مثل هذا الحظ في الهيئة الاجتماعية ؟ وهل من اصالة الرأي حرمان العاقلة والمثقفة والعاملة وصاحبة الثروة والمعمل والمصنع لمجرد انهن نساء بينما يتمتع الغبي والجاهل والمعدم والفاسق بحقوقهم كاملة لمجرد انهم رجال ؟

١٠ — ان النساء اللواتي اتيح لهن تولي الشؤون السياسية في هذا العصر برهنّ على كفاءة بنات جنسهن في معالجة المشاكل العامة . وكما ان الفضل في انتظام امور الاستفتاء الذي اجري في السار ، قبل بضع سنين ، يرجع الى سيدة ، فان مشروع الانعاش الذي طبقه الرئيس فرنكلن روزفلت على جميع الولايات المتحدة هو من وضع المسز بيركنز وزيرة العمل ؛ ناهيك بما حدث في الدوائر

الحكومية والمجالس عقب دخول المرأة اليها ، من تدميث الاخلاق والتجمّل ، حسبما صرح به القاضي الاميركي لنجمن .

كل هذه الاسباب تحملنا على القول بوجوب الاقبال على الاعتراف بحقوق المرأة السياسية كاملة دون تردد .

اما المعارضون فانهم يدفعون ذلك بحجج يدلون بها، اهمها ما يلي :

١ ــ المرأة لا تستطيع ان تشرك بين مملكة المنزل ، ومملكة السياسة، في حال من الاحوال، ما لم تضطر الى اهمال احدهما ؛ وليس اخطر على المجتمع الانساني من اهمال المرأة الوظيفة التي خصتها بها الطبيعة .

٢ ــ ان المرأة ستحتاج حتماً الى لزوم بيتها اواخر ايام الحمل وايام النفاس؛ وهذا ما يعطل الاعمال التي تشارك المرأة فيها الرجل .

ولنترك الجواب على هذه الحجج الى سيدتين من سيداتنا العاملات الراقيات: قالت الآنسة ابتهاج قدورة رئيسة الاتحاد النسائي العربي في لبنان :

« ان النيابة ليست وظيفة ولا مهنة، وهي في الحقيقة ليست سوى انتداب. فكما ان النائب لا يتخلى عن اعماله اثناء تمرسه بالنيابة ، فالمرأة كذلك لن تتخلى عن عملها في البيت اثناء تمرسها بالنيابة . ان المرأة لا تتنازل عن مركزها في البيت مطلقاً ، ولا تتخلى عن واجباتها عندما تحاول ان تخدم بيتها الاكبر اجتماعياً وسياسياً . »

وقالت السيدة حبيبة شعبان يكن رئيسة الشابات المسلمات في لبنان :

« يجب ان يكون مفهوماً ان المساواة التي نطلبها لا تعني ان تتقدم كل امرأة للنيابة والحكم لان هذا من المحال ان يحدث ، فالترشيح سيقتصر في الوقت المناسب على من يتوفر استعدادها لها من السيدات ذوات الكفاءات ، وذوات الظروف الملائمة ، وهن قليلات ولا ريب »

وهذان جوابان راجحان ، يطيب لنا ان نعلق عليهما بأن رجال الاقطاع والارستوقراطيين ، في القرون المظلمة ، كانوا يتخيلون بأن نظام الكون يوشك ان يختل فيما اذا منحت الطبقات الاخرى حقوق الانسان ، وافسح لها المجال في الحكم والتشريع . ثم نالت هذه الطبقات حقوقها قسراً ، وبدلاً من الاختلال المزعوم اصبحنا نرتع في عصر امتاز بالاشعاع حتى اطلق عليه « عصر النور » .

# الفصل الخامس

## المساواة في الحقوق الاجتماعيـــة

### حديث « الزريقية »

كانت زوجتي تتفقد الانعام في صبـــاح يوم من ايام الربيع ، وذلك في مزرعتنا « الزريقية » على مسافة ١٧ كيلومتراً من دمشق ؛ فاذا صوت امرأة تستغيث بألم ، وتستجير بصراخ . امرأة في مضارب البدو النازلين في مزرعتنـا كان ينهال عليها زوجها بالضرب المبرح حتى يسيل دمها .

موقف تقشعر منه الابدان، ولا سيما النساء رقيقات الشعور ؛ فصاحت زوجتي يا ابراهيم : وهوخادمها الزنجي الامين، بصوت يرتجف، وقالت له: «اسرع اسرع الى المخفر ، واستدع الدرك ...» وكأن ابراهيم اراد ان يتجاهل السبب ، فقال لها ببرودة وهدوء : « لاي شيء سيدتي ؟ »

قالت : « ألا ترى هذا الوحش الضاري كيف ينهال بالعصا على امرأته دون شفقة ؟ انني اريد ان يلقى جزاءه من الحكومة . اسرع . »

قال ابراهيم ، والبرودة لا تزال تلازمه : « ما في شهود ستي ! »

فقالت السيدة ، وقد اشتد غضبها : « وكيف ذلك ؟ وانا وانت اثنان سنشهد عليه ؟»

فقاطعها تابعها بقوله جاداً : « انت نصف ستي ! » ويريد بذلك ان شهادتها لا تتوفر لان سيدته ذات نصف شهادة فقط . وحينئذ انصرفت افكار السيدة عن البدوية المظلومة الى التفكير ببنات جنسها قاطبة ، وهي تتسائل كيف يسوغ اعتبارها بمقدار النصف من ابراهيم امام القضاء ، على حين انها تخرجت في المدارس العالية ، وهو عبد امي لا يحسن الا خدمة الاسياد ؟

هذا وكان في ضيافتنا بالمزرعة بعض القريبات والصديقات ؛ فخففن لاستقبال

« نازك خانم » عند باب الحديقة ، وذلك بالمرح المعروف الذي يضفو على نساء الشام؛ ولكنها لم تقو على اخفاء ألمها فحدثتهن بحديث البدوية، وجواب ابراهيم . ولم تكد حتى ثارت الاعصاب، وذكا الحماس، وظل هذا الموضوع حديث النهار. ولما امسى المساء، وجلسنا حول مائدة نتسامر عادت السيدات الى حديث الصباح؛ وكان الجميع آذاناً صاغية الى « إلفة خانم » حينما جاء دورهـــا في الكلام : قالت :

« لا شك في ان للشرع الشريف القول الفصل في هذا الموضوع. وكان من الحكمة ان لا تمنح المرأة الثقة الكاملة عنـد اداء الشهادة ايام كانت على شيء كثير من الجهالة ، فضلًا عن ارتباطها وقتئذ بارادة سيدهـا الرجل ؛ فاقتضت حكمة الشارع ان تجتمع امرأتان عند اداء الشهادة « لتذكر احداهما الاخرى » .

**المساواة في الشهادة:**

اما الآن، وقد اتيح للمرأة المعاصرة ان تتعلم ، كما يتعلم الرجل؛ وان ترافق التطور في الحياة مرافقة تامة فتحيط بصغائر الامور وكبائرها ؛ وهي الى ذلك قد اعتمدت على نفسها، وعرفت مكانتها الخاصة ، فهل بوسعها ، من بعد ، ان ترضى بان تبقى ناقصة في نظر المحاكم ؛ ليس لشيء الا لانها خلقت انثى، بينما ان عمالها واتباعها الجهلاء يتمتعون بالشهادة الكاملة امام القضاء ؟ »

وهنا رأينا « نجاح خانم » تنتصب واقفة كأنها تريد ان تخطب . وقفت بدافع الحماس لبنات جنسها ، وقالت : «حيا الله غاندي : لقد انتبه بنورانية بصيرته الى الاجحاف الواقع على بعض ابناء الهند المعروفين بالمنبوذين ؛ فشرع يصوم ويخطب وينصح من اجل المساواة بين طبقات الهنود؛ ثم قتل في سبيل هذه الدعوة الانسانية وامثالها . فمن لنا ، نحن النساء المسلمات ، المنبوذات في اكثر البلاد بمثل غاندي يطالب بالمساواة بين الجنسين في الحقوق الاجتماعية كافة ؛ حتى اذا كان لابد من التمييز في اداء الشهادة امام المحاكم فأن هذا التمييز يقوم على اساس المعرفة ، وليس على اساس الجنس ؟»

فأخذت الكلام ليلى خانم ، وطمأنت السيدة نجاحاً بقولها : « ان الشرع واسع ، ومثلما ان الجمهورية التركية وبعض الامصار العربية ساوت بين الرجل والمرأة في الشهادة امام المحاكم المدنية فلن يطول الوقت حتى تتقرر هذه المساواة في سائر بلدان الشرق ، وفي سائر المحاكم تبعاً لتغير العرف والعادة. »

وما ان لزمت « ليلى خانم » السكوت حتى كأن شيئاً

**المساواة في الارث:** من الطمأنينة غمر النفوس ، غير ان الحديث كانت له ذيول، على انها لم تتجاوز موضوع المساواة بين الجنسين. فتحولت الي « ناديا خانم » ، وطلبت مني ان أبين الحكمة في التشريع اذ جعل حظ الرجل في الارث مثل حظ الانثيين . وقد حاولت التنصل بغية ان ابقى في عداد السامعين ، ولكن لم استطع الى ذلك سبيلاً من جراء الحاح السيدات . فقلت:

« كانت اثينا تحرم البنات من الارث ، وجرت مجراها روما ، وظلت كذلك الى عهد الامبراطور يوستينيانوس : ويروي المطران فوتيوس خوري ، في كتابه الحق العائلي ، انه جاء في المادة ٣٠٠ من قانون يوستينيانوس ما يلي : « لا تمييز بين الذكر والانثى في الميراث ، ولا بين الورثة ذوي القربى عن طريق الاناث » .

على ان الاوروبيين ظلوا يحرمون البنات من الارث حتى الثورة الافرنسية ، ومن تشاء منكن التفصيل في هذا الموضوع فارجوها ان ترجع الى كتاب لكوفه (١).

اما الشرع الاسلامي فقد كان من السباقين في توريث المرأة ، وما جعل نصيبها في الارث نصف نصيب الرجل الا مراعاة لشروط الحياة الاجتماعية في صدر الاسلام . ذلك ان الابناء كانوا يخلفون اباءهم على رياسة العيلة بمقتضى النظام الاجتماعي الموروث ، ويقومون بتمثيلها وحدهم ، وبحمل الاعباء الاقتصادية والمنزلية ، فكان للرجال ، بمقتضى سنة التعويض ، حقوق لقاء هذه الواجبات ، خصوصاً وان اخواتهن سيندمجن بالزواج في أسر اخرى ، وسيكون لكل منهن حق واجب في اموال ازواجهن ؛ وذلك دون ان يكون للزوج مثل هذا الحق في مال زوجته .

والجدير بالذكر ان الشرع الاسلامي ، مع مراعاته هذه الشروط الاجتماعية، لم يحرم الانثى من الميراث ، بل جعل لها فيه نصف نصيب الرجل المسؤول وحده مالياً امام العيلة. واذ كان الضمان الجماعي متيناً، في ذلك الحين بين الاسرة، كما بين الحمائل والقبائل، على نسق ما نراه الآن بين البدو ، فكان هذا التضامن العيلي كفيلاً للمرأة بان تقاسم اهلها اليسر والعسر ، ان عادت لبيتها الاول ، سواء توفر لديها المال ام لا » .

(١) Ernest Le Gouvé. Histoire morale des femmes. P. 60 — 80

وكان الجميع اذاناً صاغية لحديثي ، وربما كان بعضهن يود لو يستزيد من هذه المعلومات . ولكن سلمى خانم ما ان رأتني اتوقف عن الكلام حتى تناولت البحث ، وقالت :

« اما الآن يا استاذ فقد تبدل الموقف ، وتغيرت شروط الحياة الاجتماعية ، كما تغيرت اعتبارات الناس حتى في شرقنا العربي : لقد خفت الفتاة الى المدارس والمعاهد العلمية ، والعالية ، في سبيل طلب العـــلم ، ولما جارت اخاها في هذا الميدان تمردت نفسها المثقفة ، وأبت ان تبقى بمنزلة ، دون منزلته ، في الهيئة الاجتماعية.

تساءلت فتاة العصر : « كيف العمل ما زال العلم وحده لا يجعلها في مرتبة اخيها طالما هي باقية عاله علية ؟ »

وخلصت الى الاعتقاد ان لا سبيل الى المساواة بينها وبينه الا بمشاركته في النفقات المنزلية ، ولا سبيل لتأمين هذه المشاركة الا بالكسب ، فغادرت الفتاة بيتها الى العمل . وكلما تقدمت هذه الاعتبارات في شرقنا ، مع مرور الايام ، أعدته لان يكون كالبلاد الغربية في هذه الناحية مزاحمة النساء للرجال في اعمال الكسب.

هذا الى ان الشاب الذي يريد ان يتزوج قد اخذ يشعر بثقل اعباء الحيـــاة العائلية ، وشرع يتأنى ريثما تتاح له فرصة يدرك فيها زوجة ذات ثروة يتعاون واياها على نفقات البيت والاولاد والمجتمع .

كل ذلك قد حدث في العصر الذي اسميتموه ، يا استاذ بيهم ، في كتابكم « المرأة في التمدن الحديث » عصر الذات . فتقطعت اوصال الروابط العائلية التي كانت وثيقة في العصور الماضية ، وتهدمت اركان العواطف المتبادلة بين الاسرة ، بعد ان كانت قائمة على اسس من التضامن قوية ، حتى لم يعد الشقيق يهتم بشقيقته ، فضلاً عن سائر ذويه وارحامه .

ان هذا الانقلاب في شروط الحيـــاة ، وفي الافكار التي غمرت عصرنا من شأنه ان يحملنا على وجوب الاخذ برخص الاسلام . وقد سبق لدولة الخلافة : « الامبراطورية العثمانية » ان استعانت بهذه الاعتبارات والرخص حين وضعت القوانين المدنية . وساوت بين الذكور والاناث في ميراث الاراضي غير المشجرة. كما ان تركيا الحديثة ما ترددت عن اقتحام ميدان هذا الاصلاح : فقد اصدر اتاتورك قانون العيلة الذي ساوى بين الذكور والاناث في الحقوق الاجتماعيـة ، وعلى رأسها الميراث . هذا فضلاً عن ان مصر تعرفت ايضاً الى ناحية من نواحي

الارث بشيء من الاصـــلاح ، وذلك حينما اصدرت قانوناً جوزت فيه توريث الاولاد من جدهم ، اولئك الذين مات ابوهم في حياة ابيه ( اي جدهم ) ، وتوفي جدهم في حياة اعمامهم . »

وكانت أميمة خانم تلزم الصمت والاصغاء ، ولكن حديث سلمى اثار فيها الحماس ، وحبّب اليها الكلام ، فانبرت لتأييدها قائلة: « حقاً ان نفقات العيلة ، ولا سيما نفقات الزوجة اصبحت في عصرنا هذا كثيرة ، وكثيرة الى حد ان الراغب في الزواج صار يحسب لها الف حساب ؛ وحقاً ان شغف المرأة المعاصرة بالمساواة اخذ يحملها على اختيار تحمل مشاق العمل الخارجي على البقاء في خدرها كيلا تكون عالة على احد . فلعل اصلاحاً كالذي وضعته تركيا في الارث يأتي بثمرات طيبات في ناحيتي الاقبال على الزواج، والتزام المرأة بيتها. لعل الشاب الذي يتردد في امر الزواج يقبل عليه اذا ايقن بان شريكة حياته ستضم مالها ، غير منقوص ، الى كسبه في سبيل رفاه العيلة وتربية اولادهما تربية تتفق مع الزمان . وعسى ان المرأة التي تتحمل، بخروجها للكسب ، عذاب الهون تختار بيتها المحبوب ، من بعد ، اذا اتيح لها الحصول على النصيب الكامل في الارث كأخيها ؛ بحيث تستطيع ان تتعاون مع زوجها في النفقات العامة ، فتشعر من ثم شعوره بانها هي ايضاً سيدة الدار ؛ وليست سيدة بالاصطلاح الشعري فحسب. »

وما ان انتهت أميمة خانم من كلامها حتى اطلق المستمعات الحرية لأكفهن فراحت تصفق ، تصفيق الاستحسان ، حتى دوى البيت . غير ان فائزة خانم ، وكانت ، على ما اعتقد ، غير مقتنعة بهذه الافكار ، اظهرت استنكارها لهـــذا التصفيق المتواصل ، ووجهت اليهن رجاء حاراً بالتزام السكوت ؛ ولما آنست زوجتي منهن هدنة استنجدت بي للانتقال بالبحث الى جو آخر : الى جو يغمره المرح والأنس تحسباً من ان تكون هذه المواضيع الجدية قد جلبت الملل الى بعض النفوس ؛ وحاولت ان تحدثهن عن عرس سلمى وعماد ، وما كان له في دمشق وبغداد من الاثر الطيب ؛ ولكن شابات الجلسة ، اللواتي كن يستطبن الاسترسال في استعراض المسائل الاجتماعية ، اقتبسن من موضوع العرس بحثاً جديداً ، فالتفتت الي سامية خانم ورغبت الي ان اشرح لهن شيئاً عن المهر والبائنة ؛ وما كان لي الا النزول عند ارادتها ، وارادة الضيفات ، اللواتي ايدنها فاستأنفت الكلام، وقلت:

« عادة اداء المهر عادة قديمة ترجع الى ازمان

**المساواة في المهر والبائنة:** بعيدة ، ايام كانت المرأة بمثابة القنية التي يملكها الرجل ويتصرف بها، كما يملك الانعام، ويتصرف بها وفقاً لصالحه ، وعلى حسب مشتهاه . وكانوا يساومون على مهور الحرّاث كما يساومون على اثمان الجواري ؛ وما كان الفرق بين الحالتين الا من حيث ان المساومة على الحرائر كانت تقع في جلسات عائلية ، بينما المساومة على الجواري كانت تجري في الاسواق .

وكانوا يتبادلون النساء بطرق اخرى اشهرها المقايضة ؛ وذلك بأن يمنح وليّ المراة حق الزواج منها الى رجل آخر على ان يصطفي لنفسه، او لشخص آخر امرأة غيرها يمون عليها ذلك الرجل ؛ ولا تزال هذه العادة جارية حتى الآن عند البدو ، وتعرف بالبدايل ، ام بكلمة عامة عندهم « شوشة بشوشة » .

وقد ورد ذكر المهر في التوراة بمناسبة خطبة يعقوب لراحيل من ابيها لابان؛ كما ورد في الاوديسة ذكر المهر ، وذلك حينما شاء فولكان التخلي عن زوجته فانس ، فطالب اباها ان يعيد اليه المهر الذي كان اعطاها اياه .

واما العرب فقد كانت لهم قبل الاسلام انكحة مختلفة الاشكال، استعرضناها في كتابنا « المرأة في التاريخ والشرائع » . وكان بينها نكاح المهر ؛ فاعتبر الشرع الاسلامي تلك الانكحة كلها سفاحاً الا نكاح المهر ؛ فقد اقره ، ورفع من شأنه ، اذ اصبح معروفاً في الاسلام بالصداق رمزاً للصداقة ، وموسوماً بالهدية تأييداً للتحابب .

اما تعريف بعض الفقهاء المهر بأنه : « بدل ما يستولي عليه الرجل من المرأة ويتمتع به ». أو بعبارة اخرى « بدل البضع »؛ فهذا تعريف لم يرد في القرآن ، ولم يرد في الحديث الصحيح ؛ فضلاً عن انه تعريف يحط من شأن المرأة ، ويتعارض مع قول الرسول في صدد المهر : « التمس لها ( اي للخطيبة ) ولو خاتماً من حديد». ولعل الرسول عين الخاتم دون سواه قصد الاشارة الى ان تلك التي تحمله هي متزوجة وفقاً للعادة التي لا تزال مرعية حتى الآن . هذا ولما كان الخاتم من حديد ، او ما هو بمعناه لا يعادل بدل البضع ، الذي ذكره هؤلاء الفقهاء ؛ كان التعريف الذي اصطلحوا عليه للمهر غير موفق .

على انا نعرف شريعة واحدة هي شريعة مانو الهندية انكرت عادة المهر زيادة

في الحفاظ على كرامة المرأة : فقد جاء فيها ما يأتي : « محظور على الولي ان يقبل هدية مّا من خاطب فتاته ، كيلا تعتبر تلك التقدمة بمثابة ثمن لها(١) » .

واما البائنة (الدوطة) فلم تتعرض التوراة لها ، وانما ورد ذكرها في انباء اثينا واسبارطة على اشكال مختلفة : فقد كانت في البداية بمثابة الجهاز الذي تنقله الزوجة الى بيتها العتيد . ثم تطور شأنه حتى صار بائنة ، يساوم عليها وتسجل لديهم . ورافق هذا التطور عند اليونان شرط جديد . ذلك بأن الطلاق صار حقاً من حقوق المرأة على اعتبار انها ، وقد اصبحت تعطي ، جديرة بأن تتطلب الانفصال حين تشاء(٢) .

وكانت روما لا تعنى ، اول الامر ، بالمهر ولا بالبائنة ، ولكنها لم تلبث طويلاً حتى اقتدت باثينا ، وغالت في امر البائنة ، و جعلتها حقاً من حقوق الزوج يتصرف به كيفما طاب له الهوى . الا ان يحل عقد الزواج فتعود البائنة الى الزوجة .

وترددت اوروبا في القرون الوسطى في امر اختيار احدى العادتين : المهر ام البائنة. ورجحت كفة المهر ابان تغلب التمدن العربي على العالم ، ولكن البائنة لم تلبث ان قامت مقام الصداق في اوروبا مذ استفحل شأن التمدن الحديث ، وظل امرها على شيء كثير من الفوضى حتى تناولها القانون الافرنسي كود نابليون وقيّد حقوق الزوج فيها .

وهكذا فقد كان كل من المهر والبائنة اصطلاحاً قديماً اختارت كل امة احدهما وفقاً لاوضاعها الخاصة . وفضل الاسلام المهر على غيره من الاصطلاحات التي كانت شائعة . »

وكانت مسرة خانم ، تلقي النكتة اثر النكتة خلال الحوار الذي كان يجري في المواضيع الاجتماعية ، و كأنها رأت آخر الامر حاجة للمشاركة في الابحاث الجدية ، فرغبت الى الجمهور ، باسلوبها المرح ، ان يعيرها الاصغاء ، وقالت : « نحن النساء لا نريد الا المساواة ، فاذا تزوجت واحدة منا لا نريد لها ان تأخذ مالاً يعتبر ثمناً لها ، ولا ان تعطي في سبيل استغواء الرجل ليأخذها .

(١) Loi de Manou. T. I. P. 5 et T. V. P. 57

(٢) Revue de Legislation — Organisation de La famille a athéne Octobre 1845 .

اجل فان المسلمة لا تقبل ان يكون هناك مهر يفسرونه بأنه بدل الاستمتاع، وثمن قضاء شهوة ، او يصبغونه بصبغة البيع والشراء .

والمسيحية لا ترضى بأن تحرم من ارث والديها وذلك لقاء « دوطة » يقدمها والدها الى الزوج ليرضى بالزواج منها .

ثم ان المرأة تنكر، على وجه عام، تلك الفوضى التي تغلبت على المهر والبائنة حتى اصبحا يقفان عقبة كأداء دون الاقبال على الزواج . فكم من شبان اقعدهم غلاء المهور عن الزواج ؟

وكم من فتيات بقين عانسات كل الحياة لفقدان الدوطة ؟

— فماذا تطلب المرأة اذن ؟

— انها ترى في عقد النكاح متسعاً لا حد له : يتسع لايراد الاتفاق الذي يقع بين الخطيبين مهما بعد مداه : فقد يتفقان على ان يتبادلا خاتمين من حديد ام فضة فحسب ، وقد يتراضيان على ان يؤدي احدهما للآخر قنطاراً من الذهب .

اما الاصطلاحات التي ترجع الى عهود قديمة ، الى قبل المسيحية والاسلام ، فما شأنها في تقييد ارادة الفريقين ؟

ان المرأة المعاصرة تريد ان تكون الحرية التامة بين الخطيبين هي وحدها رائدهما، تريد ذلك حتى لا تبقى اية عقبة دون التزاوج الذي دعت اليه الاديان.

اما ان يكون الزواج قائماً على بدل من المال ، يعطى او يؤخذ ، فالمرأة لا ترضاه، لان معناه، في الحالتين تأييد عبوديتها. وكيف تقبل بذلك وهي قد جاهدت في سبيل تحرير العبيد ، وتناضل الآن في سبيل تحرير الامم المستضعفة ؟

واما ان يعتبر المهر وتعتبر الدوطة من قبيل الهدايا فما تنكرهما المرأة . — ومن احق بالعروسين من تبادل الهدايا ؟ — ولكن الذي تبتغيه ان يكون التهادي في هذه المناسبات اختيارياً ومتبادلاً ، لا ان يكون مفروضاً على واحد دون آخر ، ولا شرطاً لصحة الزواج . »

وكان التصفيق لمسرة خانم ليس عاماً فقط ، بل يرافقه بعض الاهازيج ، وكان يتكرر ، وبين الكرة والكرة ، تنثر فكاهات لا تتعدى نطاق المهر والدوطة . واخيراً تحول الهزل الى جد فقام حوار بين ضيفاتنا ، اشتركت فيه زوجتي ، كان شبه جدل فيما اذا كان الشرع يجوز تحقيق هذه الرغبات التي اسميتها اصلاحية ام لا . واتفقت على ان اقول كلمة في الموضوع . وكان لا بد

لي من الاعتذار والاصرار على الاعتذار لان الافتاء بمثل هذه الاحكام الشرعية ليس من اختصاصي . ولكن اعتذاري قوبل بالرفض التام حتى لم يبق لي مناص من الامتثال . هذا ولقد بسطت لهن معلوماتي القليلة ، وانا ارجو ان اكون قد لزمت حد الصواب . قلت :

**المؤلف يعلق على الاحاديث :** « لما كنت ألزم الاصغاء التام للاحاديث القيمة التي ادليتن بها ياسيداتي في هذه السهرة اللطيفة تبادر الى خاطري تعليق احد علماء اوروبا على الآية الكريمة: « وجعلنا الرياح لواقح » حيث قال: « ان العرب سبقونا ثلاثة عشر قرناً في صدد معرفة التلاقح بين الاشجار . »

ذكرت هذه الشهادة بمناسبة تفكيري، خلال احاديثكن المفيدة، بان العرب والمسلمين سبقوا ايضاً المدنية الحديثة مدة كهذه في منح المرأة حقوقها الاجتماعية. واستعرضت ما سبق لي ان بسطته ، في كتبي المنشورة وغير المنشورة ، من الادلة على صحة هذا القول، وما اجملته في مقال نشرته مجلة الهلال بمصر سنة ١٩٢٢ .

واما وان الشريعة قد جعلت في الارث «للذكر مثل حظ الانثيين» ، وفرضت على الرجل المهر ؛ وقضت بان تستشهد اثنتين « حتى تذكر احداهما الاخرى » فهذه نصوص اقتضتها حكمة الشارع مراعاة لشروط الحياة في عهد التشريع وما خلفه، ومراعاة لقاعدة التطور في الاصلاح . اجل فان هذه النصوص تعتبر اصلاحاً عظيماً اذا اخذنا بعين الاعتبار ما كانت عليه المرأة في تلك الاجيال من العبودية ؛ ولكن الشريعة جوزت مع ذلك تبدل الاحكام بتبدل الازمان ، وجعلت اجماع الملة على حكم اساساً من اسس التشريع .

ولا خلاف بين الفقهاء على جواز تعديل الاحكام الشرعية، المبنية على اجتهاد الفقهاء وتبديلها ؛ اما الاحكام المنصوص عليها في القرآن الكريم ، والاحاديث الصحيحة ، فان جمهور الفقهاء قالوا بعدم جواز مخالفتها الا في احوال الضرورة ، وذلك عملاً بالقرآن والسنة ، اللذين اباحا المحظورات عند الضرورات .

واما في غير احوال الضرورة، فقد اختلف الفقهاء : فقال بعضهم بعدم جواز تبدل الاحكام المنصوص عليها مطلقاً ؛ وقال بعضهم بالجواز في حالتين : اولاً عند زوال علة الحكم الشرعي ؛ على اعتبار ان الحكم الشرعي المبني على علة يدور مع علته وجوداً وعدماً ؛ وثانياً عند تغير العرف والعادة . والواقع ان الزمن

قد تطور ، واصبح العرف فيه غير العرف، وزالت بعض العلل التي كانت مصادر للاحكام ؛ فاذا نحن نرى المرأة تساهم مع الرجل في اعالة البيت ؛ وستساهم بذلك في البلاد المتخلفة ؛ ونراها تحمل التبعات الاجتماعية ، وستحملها ايضاً في الامصار المتأخرة ، ونرى عقد الزواج قد اصبح عقداً بين شريكين ليس يرضى احدهما ان تكون منزلته فيه دون الآخر ، وسيصبح كذلك في الاقطار اللاحقة ؛ واذا نحن نجابه مطاليب تلح المرأة في تحقيقها على قاعدة المساواة التامة ؛ لذلك كله فانا نضع امام اهل العلم الذين تتوفر فيهم شروط الاجتهاد البتّ في هذا الموضوع ، وهم اعرف منا فيما اذا كان ما حدث من تبدل في الاذهان ، وتغير في العرف والعادة ، ومن تطور في العلل يجوّز تبديل الاحكام الشرعية .

لقد كان السلطان عبد الحميد الثاني ، كلما اعترضته مشكلة دولية مستعصية الحل يقول: «سأستعين عليها بالزمان». ونحن يا سيداتي علينا ان نستعين بالزمان على حلّ مشاكلنا الاجتماعية ، وادراك امانينا الاصلاحية. وقد قيل: «من طلب الشيء قبل اوانه عوقب بحرمانه» .

قلت هذا وقمت الى غرفتي، بينما كانت فائزة خانم تشيعني بقولها : « أحسنت أحسنت » . واما الصبايا ؛ فلا ادري ، ما وجهنه اليّ من تهم الرجعية حينما خلوا الى بعضهن البعض ؛ ولكني أسامحن على كل حال .

# الفصل السادس

## الانقلاب خلال ربع قرن في عالم المرأة

كانت اجوبة الاستفتاء على محاضرات المؤتمر في سنتي ١٩١٩ و١٩٣٣ و١٩٣٤ بمثابة شبه اجماع على وجوب الاحتفاظ بقاعدة توزيع الاعمال بين الرجل والمرأة وفقاً لمؤهلات كل من الجنسين الطبيعية والفسيولوجية. فتبقى المرأة زوجة واماً ضمن نطاق البيت ، بينما يظل الرجل يتحمل تبعات الشؤون الخارجيـة ، ومنها السياسة والرئاسة .

ولكني على رغم مشاركتي لهم في هذا الرأي الصائب من حيث فائدة توزيع الاعمال وفقاً للمؤهلات جنحت الى وجوب تقرير المساواة العامة بين الجنسين في الفصلين السابقين بما في ذلك الحقوق السياسية ، وذلك استناداً الى الحقوق الطبيعية التي يتمتع بها كل انسان ، ذكراً كان ام انثى ، وقصد ان نترك المجال مفتوحاً الى اللواتي يؤهلهن استعدادهن الطبيعي للعمل في الحقل الخارجي ، او تضطرهن ظروفهن الخاصة لان يخترن بين الكسب الحلال وبين الذل والهوان .

وربما يبدو موقفي هذا لبعض الناس من قبيل المكابرة ، لا سيما وان اصحاب الاجوبة على الاستفتاء هم من اولي الرأي الصائب والخبرة الراجحـة . والواقع انني ، كما اشرت ، لا اسفه أراءهم بل اقول قولهم في ان مشاركة المرأة للرجل في الاعمال الخارجية ، ومنها السياسية ، هي بالنسبة لشروط الحيـاة الحاضرة ، بدعة وخيمة العاقبة ، وذلك فيما كان النساء سيغادرن بيوتهن متى تمتعنَ « بحقوق الانسان » ويهملن ازواجهن واطفالهن في سبيل التهافت على الكسب في المعامل والاسواق ، وفي سبيل السياسة والحكم . لكن هذا لن يكون ؛ كما صرحت بذلك رائدات نهضتنا النسائية ، نظراً الى حرص نساء الشرق على السعادة البيتية ، والى تفضيلهن ، على وجه عام ، سياسة اطفالهن على كل سياسة اخرى . واكبر دليـل على ذلك ما نشاهده في الهند وغيرهـا من بلاد الشرق التي اعلنت المساواة بين الجنسين ،

من بقاء المرأة امرأة في المعنى الذي نعرفه ، وبقاء الرجل رجلاً ينصرف كل منهما للاعمال التي تلائم طبيعته واستعداده ، ذلك ما لاحظته ، اثناء زيارتي للهند والباكستان في العام الفائت .

وهذا لن يكون ما زالت الطبيعة نفسها تقوم بالتوازن فتصرف كل واحد من الجنسين الى مزاولة الاعمال التي تتفق مع جسمه وروحه ومواهبه ؛ واذا حصلت طفرة فالطبيعة تعيد التوازن تدريجياً حسبما نلاحظ ذلك في البلاد التي تركت اوسع مجال لحرية المرأة ولمساواتها السياسية ؛ واريد بها الولايات المتحدة حيث يخف ، يوماً عن يوم ، هوس النساء بالسياسة والرياسة .

اني ادعو الى تقرير المساواة العامة بين الجنسين على اعتبار ان هذه المساواة هي حق طبيعي لكل منهما ، ثم نترك لهذين الشريكين في الحياة ان يتعاونا على خير الشركة ، وذلك بانصراف كل منهما الى ما يحسنه اكثر من رفيقه ، شأن كل الشركاء في الاعمال العامة ، فتتوزع الاعمال بينهما توزيعاً طبيعياً .

واني ادعو الى تقرير المساواة العامة بين الجنسين لنفسح المجال الى شطرنا الآخر كي يتحمل اعباء التبعات العامة ؛ وذلك بفتح الابواب الموصدة بوجوه السيدات اللواتي لهن من كفاءتهن ، ولهن من ظروفهن الخاصة مؤهلات للمشاركة في الخدمات العامة ؛ نفتح لهن الابواب الموصدة فيمددن ايديهن لمساعدتنا ؛ وما يدرينا لعلّ الهيئة الاجتماعية تستفيد كثيراً من هذه المشاركة .

اما وان الدول القوية التي ننضم الى هيئتها المتحدة قررت هذه المساواة العامة ، واما واننا لا نزال نقتدي بها ونقتبس تعاليمها عن قصد او غير قصد ، فما يضيرنا لو لم نؤجل اعطاء شطرنا اللطيف حقوقه كاملة فنكسب الوقت ونربح احترام العالم كافة .

على ان لي كلمتين في هذا المعنى يطيب لي ان اوجههما الى كل من المحافظين والمجددين « وان الذكرى تنفع المؤمنين » .

**كلمتي الى سادتي المحافظين :** « ان النفس ابداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت اليه ، اما لنظره بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه ، واما لما تغالط به من ان انقيادها ليس لغلب طبيعي ، انما هو لكمال الغالب » وكأن ابن خلدون اراد بهذا القول السديد تفسير الحديث الشريف : « الناس على دين ملوكهم » . أجل فحيثما كان

التمدن العربي الاسلامي هو تمدن عصره لم يكن هنالك حول ولا طول دون نفوذ مباديه وتقاليده وتعاليمه الى اوروبا، واكتساح كل مباديها وتقاليدها وتعاليمها : الشعر والغناء والفروسية والرياضة والحرية والأنفة والنجدة والجرأة الادبية ، بالاضافة الى احترام المرأة والرفق بالضعفاء، كل هـذه الخصال النبيلة انطلقت من الاندلس واسبانيا العربية الى ما وراء التخوم، واكتسحت اوروبا؛ ثم انطلقت مرة اخرى مع الثقافة الاسلامية من الشرق الادنى بالحروب الصليبية، فأصبح العالم ، على اختلاف لغاته ، وكأنه عربي ، يتمخض بمولود جديد ؛ هو التمدن الحديث .

الفيلسوف ابن رشد يحاضر بين تلامذته في الاندلس

وتشبه وقتئذ ملوك الفرنجة بسلاطين الاسلام الى حد ان فردريك الثـاني امبراطور المانيـا العظيم ( و ١١٩٤ ت ١٢٥٠ م ) اقام القصور للنساء، وحشد فيها الخصيان ؛ واستمر هذا التشبه قائماً ، مدة طويلة بعد جلاء العرب عن اسبانيا وجزر البحر المتوسط . فكان شعار ريجار الثاني ملك صقلية عربياً اسوة بأبيه ؛ وكان زي النصرانيات في عهدهما كزي المسلمات مؤتزرات متنقبات(١).

على ان التشبه لم يقف عند حد المظاهر فقط، بل تعداها الى اللباب، وتناول ايضاً تقاليد محظورة عند المسيحيين ؛ كعادة تعدد الزوجات(٢) .

وفضلًا عن ذلك فان المدنية العربية لم تغمر اوروبا بالتقاليد فحسب ، بـل

(١) المقتطف م ٦٢ ج ٤ ص ٣٢٦ من مقال للاستاذ امين الخولي

(2) Drapper, Hre. int. de l'Europe. T. III. P. 339 - 345

غمرتها ايضاً بتعاليمها ومبادئها الثقـــافية : فالفلسفة الاسلامية مثلاً لم تنتشر في الاوساط الشعبية فحسب ، بل تسربت ايضاً الى قلب الاكليروس المسيحي ؛ وكان من نفوذها عليه ان الراهب الالماني كوتشالك ( ٨٠٨ – ٨٦٧ م ) اعلن اعتقاده بالقضاء والقدر ، واسكت اريجان الانكليزي ( ٨٣٣ – ٨٨٠ م ) آمن بخلود المادة منكراً امكان تحول الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه ؛ وبيرانجه ده تور الافرنسي ( ٩٩٨ – ١٠٨٨ م )ايد اريجان وشرح نظرياتـه ؛ وبطرس ابيلار الفرنسي ( ١٠٧٩ – ١١٤٢ م ) صرح بانكار عقيدة التثليث ، وعمـــل على تسفيهها . هذا فضلاً عن تأثير التعاليم العربية الاسلامية على واضعي المذهب البروتستانتي، كما بيناه في الجزء الاول من كتابنا « قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور . »

هذا الى ان الاختلاط الاوفر حـــدث بالحروب الصليبية ، بين المسلمين والمسيحيين ، ولا سيما بين المسلمين وبين الجمعيات الاكليريكية والارساليات التي رافقت الجيوش او لحقتها الى البلاد المقدسة. وان ذلك الاختلاط افضى الى انتشار بعض التفاهم المتبادل بين ابناء الملتين الى حد ان جمعية الهيكليين les Templers ما ان عادت الى اوروبا حتى شرعت تعلن تمجيدها للاسلام والمسلمين ؛ وكذلك الرهبان الفرنسيسكان والدومنيك الذين كانوا في طليعة اتباع الكنيسة المخلصين (١).

يضاف الى كل ذلك ان لغة العرب اصبحت ، في اوروبا ، لغة الطبقة العليا وكادت تعتبر لغة الثقافة ايضاً ، ولا سيما خلال حكم الامبراطور فردريك الثاني المشار اليه(٢) . وبلغ من رواجها في فرنسا ان مسكوكات الاساقفة حكام ماكولون كان على احد وجهيها: « لا اله الا الله محمد رسول الله» باللغة العربية ، وعلى الوجه الآخر رسم الحاكم ولقبه(٣) .

الى هذا الحد بلغ نفوذ التمدن العربي على الغرب من جراء ولوع الضعفـاء بتقليد الاقوياء. حدث ذلك رغم ما اصطدمت به الحضارة العربية في اوروبا من قوة جبارة ، وهي الكنيسة . وانتم تعلمون ما كان للكنيسة في القرون الوسطى، من النفوذ ، وما كان لراعيها قداسة البابا من السلطان المطلق على العالم المسيحي.

(١) Drapper, Hre. int. de l'Europe. T. III. P. 333 - 345

(٢) مجلة الهلال ج. ٢٩ ص ٢٧

(٣) Jouannin, et Vangaver , L'univers - Turquie P. 4.

والويل لاي مخلوق ، يجرؤ على اثارة غضبها ولو كان من الملوك. وحسبنا الاشارة الى ارغامها انوف الامبراطرة العظام في شتى المناسبات ، نذكر منهم اوتون الالماني ، وفيليب العـــادل الفرنسي ، وجون الانكليزي(١) وهنري الرابع ( ١١٠٦ – ١١٢٥ م) عاهل المانيا الجبـار . فقد راودت نفس هنري الرابع ان يستقل عن سلطة روما ؛ وما ان اعلن البـابا حرمانه حتى ماد عرشه ، فاضطر للشخوص الى قلعة كينوسيا ، حيث كان مقر المقام البابوي ، وظل امام بابها ثلاثة ايام بثياب التائبين البيضـاء ، حافي القدمين ، يتحمـل برد كانون الثاني ، ويبيت على الطوى حتى رقّ له قلب قداسة البابا واعلن الصفح عنه .

شدد المطران بيكت في تأنيب ملك انكلترا هنري الثاني من اجل افكاره الحرة مما حمل حاشية الملك على قتل سيادته ( ١١٧٠ م )

ولا ننسى الامبراطور فردريك الثـاني عاهل المانيا ، ووبكلف الانـكليزي ( ١٣٢٤ – ١٣٨٧ م ) وحنا هوس البوهيمي ( ١٣٧٣ – ١٤١٥ م ) وجه روم دوبراك الفرنسي (١٣٧٨ – ١٤١٦ م) اولئك الذين تحملوا في سبيل الاصلاح انواع الاضطهاد والتعذيب والقهر .

(١) الملك جون هو اخو ريتشارد قلب الاسد ، خلفه على عرش انكلترا ، وشاء ان يتحرر من سلطة قداسة البابا أنسنت الثالث ، فاعلن قداسته حرمانه ، واغرى ملك فرنسا بغزو انكلترا ، فاتجه الملك جون الى الامير محمد الملقب بعبد الرحمن الناصر لدين الله احد ملوك الطوائف في الاندلس ، واستنجد به وتعهد له باعتناق الاسلام . ولكن الامير لم يجب طلبه مما ارغم الملك على الخضوع للبابا بشروط كان فيها اذلاله .

ولكن رغم نفوذ الكنيسة ، الذي لم يكن فوقه نفوذ ، فان التمدن العربي استطاع ان يكون صاحب الجولات الاخيرة فاكتسح العالم الغربي ، ولقحه بجراثيم الحياة والتجدد ؛ فكانت المدنية الحديثة .

هذه الرواية التي استعرضنا ادوارها مثلت قبل اجيال ، على مسرح الكون، ولم يبق من ذكرياتها ومن ابطالها الا ما دونه التاريخ . ونحن ، في هذا العصر ، نشاهد الرواية نفسها في فصل آخر، وهي لم تتبدل، وانما تبدل ابطالها ، وتبادل ممثلوها الادوار : فقد اخذ الغرب ، ( التلميذ بالامس ) ، يمثل اليوم دور المعلم المهيمن ، بينما شرع الشرق؛ الذي كان الاستاذ من قبل، يمثل دور الطالب المقلد . والدنيا دار دول .

منذ جيل ونيف بدأ الشرق ينسج على منوال الغرب فيقتبس ازياءه وثقافته وتقاليده؛ وفي كل خطوة يخطوها المجددون تعلو ضجة المحافظين مستنجدين بالدين؛ ولو كان التجدد يجري مجرى لا علاقة للدين به : فلما حلق بعض رجال الشرق الادنى لحاهم ؛ ولما لبسوا الطرابيش ، ثم لما اختاروا اللباس الافرنجي المتداول الآن ارتعدت فرائص المحافظين، ونادوا ، باسم الدين، بالويل والثبور ؛ واتهموا السلطان محمود الثاني(١) ( ١٧٨٤ – ١٨٣٩ م ) بالكفر لاقدامه على هذه ( البدع )، ولقيامه ببعض الاصلاحات التي كانت بنظرهم ضد الدين . ثم انفصلت الامصار العربية عن الامبراطورية العثمانية، وكان نصيب التجدد فيها نصيبه في تركيا : ففي العراق كان جمهور من الشعب يقول : « القبر ولا المدرسة » حينما عنيت الحكومة بعد الحرب العالمية الاولى ، بفتح مدارس البنات ، ثم اشتد الصخب على هذه المدارس ، وغمرتها ضجة ما كان اعظمها . كل ذلك لان الاستاذ ساطع بك الحصري ؛ الذي كان قيماً على المعارف ، امر بان ترتدي الطالبات اتاما (مراييل) سوداء فوق اثوابهن؛ كما بينا ذلك في كتابنا: «الانتدابان في العراق وسوريا . »

وفي مصر كانت الفكرة السائدة ، في اواخر القرن التاسع عشر ، ان العلم شيء غير ضروري ، ولا سيما للبنات . فقد كانت ( مي ) الآنسة ماري زيادة كتبت لي في هذا المعنى ، واستدلت على قولها بالحادثة التالية :

(١) كان السلطان محمود اول من علق رسمه في الثكنات العسكرية، واول من تزيا، هو وجنده ورجال دولته، بالازياء الافرنجية، واول من انشأ اوبرا، كما جاء في كتابنا: «اوليات سلاطين تركيا»

« اخبرتني سيدة هي ابنة احد اعاظم المصريين، وهي اليوم سائرة في طليعة موكب الرقي النسائي . انها في سن الحادية عشرة كانت تتعلم مع شقيقتها واولاد آخرين على معلم يلقنهم دروس القرآن في السلاملك في حضرة اللالا ( الآغا ). واذ سمعت المعلم يوماً يقرأ في كتاب غير مشكل ، ويلفظ الكلمات محركة بسهولة كلية سألته عن سر فنه ، ولماذا لا تستطيع هي ان تفعل فعله . فاجاب ان كل السر في انه يعرف قواعد اللغة ، فطلبت اليه ان يجيئها بالكتب اللازمة لتتعلم القواعد . ففعل في اليوم التالي . واخذت تقلبها فرحة بعلمها المقبل . فاستعلم اللالا عن الغرض من تلك الكتب ، وأفضت اليه برغبتها . فما كان منه الا انه تناول الكتب ، وابعدها عن الفتاة قائلاً : « ما لك ولهذه الكتب ؟ أتريدين ان تصيري أفوكاتو ؟ » ومن عرف سن هذه السيدة الشابة علم ان الحادثة المذكورة قريبة العهد . اه »

واما السفور فقد كانت الجلبة حوله في كل قطر عربي ، اشد من كل جلبة : ففي مصر اثارت كتابات قاسم امين حملات شديدة عليه مليئة بالطعن والسباب ؛ وكان مثيروها يتسترون بالدين والاخلاق فصوروا تصير المرأة بلا دين ولا اخلاق. واخبرتني الآنسة مي ايضاً ، عن احد اصدقاء قاسم امين ، انه اراد ان يهدي كتابه الاول « تحرير المرأة » الى سمو الخديو عباس باشا فأبى سموه قبول هذه التقدمة خوفاً من الرأي العام .

وفي العراق حيث كان بعضهم ، قبل حين، يقولون اذا وقفوا موقف التعزية بالزوجة : « فراش جديد » ؛ اشارة الى ان الله هيأ له بوفاتها فراشاً جديداً . اقترح هناك احد المجددين على زملائه اعضاء المجمع الادبي اثناء وجودي في بغداد، سنة ١٩٢٧ تكليفي القاء محاضرة نسائية . ولكن هذا الاقتراح لم يحز الاستحسان بداعي ان الرأي العام ليس مستعداً لسماع مثل هذا الموضوع . غير ان منتدى التهذيب كان اشد شجاعة فدعاني وليبيت . وما ان شاع الخبر حتى خف النائب ثابت بك عبد النور الى زيارتي، ونصحني بان لا افعل خشية اغتيالي ؛ فما باليت ، وكانت المحاضرة ناجحة ، ولا سيما من حيث اقبال السيدات على استماعها اقبالاً شديداً ، رغم انهم لم يكونوا ، حتى ذلك الحين ، يسمحون للنساء بحضور هذه الحفلات(١) .

وفي سوريا كان المجمع العلمي العربي بدمشق قد دعاني ، سنة ١٩٢٧ ، لالقاء محاضرة فيه ، فلبيت مقترحاً اشراك فضليات النساء في الدعوة الى استماع المحاضرة

(١) تحدثت مجلة النهضة النسائية التي تصدر بمصر في عدد يونيو «١٩٢٧» عن الحركة النسائية التي رافقت زيارتي للعراق، كما ان السيدة ستيفنس E. S. Stevens عقدت مقالا في هذا الموضوع نشرته جريدة « نير ايست اند انديا » ، وارجعت الي مصدر نشاط الحركة النسائية في العراق .

فورد لي الجواب التالي المؤرخ في ٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٧ من الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي نائب رئيس المجمع ، وهو من انصار النهضة النسائية ، قال :

« اخذت كتابك الكريم وتذاكرت مع الاستاذ رئيس المجمع في امر حضور السيدات من بيروت وجمع السيدات هنا لاستماع محاضرتكم، فرأينا ان اجتماع سيدات دمشق في مجمعنا ، حسب العادة، غير مستحسن الآن لما كان جرى في دمشق منذ شهر ، وما زال النـــاس يتحدثون به من امر مظاهرة النساء بالسفور ، وانه سيبدأ من دار المجمع . ومن ثم اضطررنا الى تأجيل محاضراتنـــا النسائية . اما حضور ثلاث او اربع سيدات معكم من بيروت لاجل استماع محاضرتكم ففي دار المجمع، او في بهو محاضراته مكان خاص مرتفع يصلح لجلوسهن واستماعهن محاضرتكم . وبالرغم عن اثار اللغط الباقية الآن فلا بأس بذلك . والاستاذ الرئيس يهديكم سلامه، وهو يشاركني في هذا الرأي . »

والواقع هو ما اشار اليه الاستاذ المغربي : فقد كانت دمشق وسائر سوريا في غليـــان شديد ضد السفور ، وعلى شيء كثير من النقمـــة على دعاته : فلما كتب فائز بك العظم ، سنة ١٩٢٤ ، يدعو الى رفع الحجاب قامت القيامة عليه ، وعلى آل العظم كافة . خصوصاً وان حياة خانم العظم كانت في طليعة اوانس سوريا اللواتي خرجن سافرات. ورغم ان هذه الاسرة ذات امجاد سالفة، ومكانة مرموقة معاصرة ، ورغم انها من انصار التجدد ، فما وسعها ، تحت ضغط الرأي العام، الا ان تتنصل من التهمة. وقد نشر وقتئذ اركانها في الصحف بياناً جاء فيه : « وبما ان آل العظم يبرأون الى الله والناس اجمعين من هذه التهمـــة بادرنا الى تكذيبها على صفحات الجرائد . »

وقد سنحت للمحافظين اعداء السفور الفرصة حينما تقلد الشيخ تاج الدين الحسني مقاليد الحكم ( ١٩٢٨/١١/١٧ ) ، فتمادوا في تعديهم على السافرات . وكان يساعدهم على ذلك انصراف حكومة الشيخ لانتخابات الجمعية التأسيسية، فضلاً عن حاجة المرشحين الى اصوات الشعب، ولا سيما اصوات وعواطف الذين يسيطرون على الرأي العام باسم الدين : وجاءت اسرة مصرية ، في ذلك الحين الى دمشق ، قصد السياحة ، فتعرض لها الغوغاء في سوق الحميدية ، ورشقوا نساءها بماء الفضة لانهن كن مبرقعات .

وفي لبنان كان الحرص على الحجاب، في غرة القرن العشرين ، يبلغ عند بعض الناس حداً مفرطاً : فقد اردت ان اعرف السبب الذي حمل الدكتورة انسطاس بركات باز، وهي اولى طبيبات الشرق العربي، على ان تشق هذه الطريق، وتختار

مهنة الطبابة دون سواها ، يوم لم يكن يخطر على بال واحدة من الفتيات ان تكون طبيبة . قالت :

« كنت تلميذة ، في آخر القرن التاسع عشر ، بمدرسة الانكليز للبنات في بيروت . وقد استرعى نظري ، في يوم من الايام ، نحيب فاطمة . . . . ، رفيقتي في المدرسة فتقدمت منها باشفاق ، ورجوتها بحنان ان تخبرني عن ما هو سبب بكائها . فاعلمتني بصوت منقطع انها حزينة ، وحزينة جداً لان والدتها مريضة ، وفي حالة خطر . سألتها عن الطبيب الذي يعالجها . فقالت فاطمة باستغراب : « كيف نستدعي الطبيب ؟ وهل يسمح العرف والعادة بأن يكشف الرجل على المرأة ؟ »

قلت بسذاجة : « استدعوا اذن طبيبة »

وما ان سمعت فاطمة جوابي هذا حتى انقلب بكاؤها الى ضحك بتأثير الغرابة الشديدة التي وجدتها في قولي ، ثم لم تتمالك ان تظهر تعجبها هذا بقولها : « أنستدعي اليها طبيبة ؟ يا للعجب أتكون المرأة طبيبة ؟ » .

وقد علقت الدكتورة باز على هذه الحادثة انها كانت ذات تأثير كبير عليها من حيث توجيه افكارها لان تنشأ طبيبة . وحدثتني بالمناسبة ، علاوة على ذلك ، عن البرودة التي لاقتها في اوساط زملائها الاطباء عند عودتها من اميركا حاملة شهادة الطبابة ، الا انها استثنت منهم الدكتور حسن الاسير ؛ وقالت ان زملاءها كانوا يرون من الحيف اشتراك « تنوره » في مشاوراتهم ، وفي مجالسهم واندیتهم .

هذا وبعد مضي ربع قرن تقريباً على التاريخ الذي تحدثت عنه الدكتورة باز كان لا بد للأفكار العامة ان تتطور ، وكان لا بد للشرق ان يتأثر بهذا التطور . ومع ذلك فما ان ظهر كتاب « السفور والحجاب » للآنسة نظيرة زين الدين سنة ١٩٢٨ الا وثارت عاصفة هوجاء ضد السفور وانصاره ، خصوصاً وان قلوباً كثيرة كانت طافحة بالالم من جراء اقبال بعض المسلمات ، على حضور المجتمعات العامة والحفلات سافرات على غير المألوف .

وقد نشرت الآنسة زين الدين ثلاثا من الرسائل ، التي وردت اليها بمناسبة صدور الكتاب المذكور ، واحدة من احمد نامي بك ، والثانية من الاستاذ محمد كرد علي ، والثالثة مني ، وفي هذه الرسائل ثناء وتشجيع . وما ان انتشرت في الصحف حتى كان نصيبي وحدي تحمل تبعاتها ، نظراً لما كنت اعرف به من الصراحة في الدعوة لتحرير المرأة ؛ فانصبت عليّ الانتقادات ، وراجت حولي الاراجيف .

هكذا كانت الحالة العامة في الشرق الادنى قبل ربع قرن فقط ؛ وما كان لأحد ، في ذلك الوقت ، ان يتنبأ بان التطور الذي سيقع ، ولا سيما في قضية تحرير المرأة ، خلال ٢٥ عاماً، سيكون من قبيل الانقلاب. فحلق اللحى تعدى الذقون الى الشوارب ، واللباس الافرنجي اصبح عاماً حتى اذا وقعت اعيننا على سواه اعتبرناه غريباً ، والطربوش ، الذي كُفّر لابسوه من قبل ، صار زياً عتيقاً في نظر شباب اليوم ؛ هذا فضلاً عن التقدم العلمي بين الفتيات الى حد ان عدد حاملات الشهادات العليا كاد ، لكثرته ، لا يحصيه حد .

**ففي العراق** حيث كان يقول بعضهم بالامس : « القبر للبنات ولا المدرسة » ، لم يلبثوا الا قليلاً حتى استطابوا لذة العلم، وشرعوا يرجون الحكومة فتح مدارس جديدة لبناتهم . وقد رويت شيئاً من ذلك في كتابي « الانتدابان في العراق وسورية » ، واستشهدت بحديث لجلالة الملك فيصل الاول ، تفضل وادلى به اليّ ، حينما تشرفت بزيارة جلالته في بغداد ، قال : « لقد اكتسب اهل النجف وكربلا فرصة وجودي بينهم ، فرفعوا اليّ رغبتهم الملحة في انشاء مدارس لبناتهم . »

وكان ذلك العهد بمثابة نقطة انطلاق للمرأة العراقية شطر تحصيل الآداب والعلوم والتخصص ؛ وكان انطلاقاً بعيد المدى ، يسرنا ان نشاهد آثاره في النهضة النسائية الزاهرة المعاصرة . ففي كلية الحقوق بلغ عدد الفتيات اللواتي اقبلن على درس هذا العلم ، نحو مائة فتاة ، استخدمت الحكومة اكثرهن في الوظائف . وفي الطب تخرج عدد كثير ايضاً من الفتيات ، كان نصيب قسم منهن الوظائف في الحكومة والبلديات ، بينما مارس القسم الآخر المهنة بصورة مستقلة(١) .

هذا فضلاً عن ان تحصيل البنات ، سائر العلوم العالية ، اهلهن للتمتع بثقة الحكومة ؛ فاستخدمت كثيرات منهن في دوائرها العامة ، ولا سيما في دائرة

(١) نذكر من طبيبات العراق ، الدكتورات : نورة زيتون ، وزليخا الأسدي ، وسعاد اسعد نيازي ، وسعدية سعيد ، ومرسيل سلمان ، ولميعة البدري ، وكرستين رسام ، وروز اللوز ، كما نشير الى ان صيدلية الفتاة ، في بغداد ، هي لسيدة تحمل شهادة الصيدلة . ونحن نشكر الدكتور شريف عسيران ، عضو المجمع العلمي العراقي ، الذي تلطف وامدنا بهذه المعلومات ، مكتسبين هذه المناسبة ، للتنويه بمقالاته القيمة ، التي يوالي نشرها ، في موضوع المرأة ، رغم اعماله الكثيرة في بغداد.

التلفون وفي المدارس . كما أهلهن ، هذا التحصيل ، لكسب اطمئنان المؤسسات المالية فعهدت الى بعضهن ببعض الوظائف . ولا يسع المقـــام ايراد الاسماء ، ولكن لا يفوتنا ، مع ذلك ، ذكر السيدة أمة سعيد عميدة كلية الملكة عالية .

واما في الشؤون السياسية فقد شقت المرأة العراقية طريقها ايضاً : ففي سنة ١٩٤٧ كان يوجد بين ٢٢ سيدة يمثلن ١٣ دولة في هيئة الامم المتحدة ، كمندوبات او وكيلات او مستشارات ، ثلاث عراقيات ؛ هن السيدات عقيلة فاضل بك الجمالي ، وبديعة افنان ، وسرية الخوجه ؛ ولا تزال السيدة افنان والآنسة خوجه ملحقتين في السفارة العراقية بواشنطن ؛ وقد كانت الاولى في عداد الوفد الذي مثّل العراق في دورة هيئة الامم المتحدة الاخيرة بباريس .

**وفي سوريا** حيث لم يكن من المستحب في سنة ١٩٢٧ ان تشارك النساء الرجال في استماع محاضرة أدبية تلقى في المجمع العلمي العربي لم تمر الا سنون قلائل حتى رأينا الفتيات ينافسن الفتيان في جميـــع العلوم والفنون ؛ ويمارسن الاعمال الحرة : وكما كانت الآنسة بوران طرزي السورية الاولى التي نالت شهادة الحقوق ، وذلك من المعهـد الفرنسي في بيروت ، كانت الآنستان منيرة عبد القادر العظم ، وبرلنت عصمة العظم السابقتين في احراز شهادة الدكتوراه في الطب ؛ وقـد تزوجت اولاهما من الدكتور روحي الخياط ، ولهما عيادة مشتركة بدمشق ، بينما توظفت الثانية في وزارة الصحة . ثم اقبل فتيات سوريا على الطبابة ، وكان في الطليعة الآنسة امّ الخير العظم والسيدة لوريس ماهر . وقد نالت الاولى الشهادة من معهد الطب الفرنسي في بيروت، وتوظفت في وزارة الصحة ، بينما تخرجت الثانية في فرنسا ، وتزاول المهنة على استقلال .

وكم اكبرت هذا الاقبال على تحصيل العلوم والاداب والفنون حينما زرت الجامعة السورية بدمشق عام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ الدراسي : فقد كان عدد طالباتها يبلغ ٢٨٤ واحدة يوزع على الوجه التالي : ٥٠ في فرع الطب ، ١١٧ الحقوق ، ٢٧ العلوم ، ٢ الهندسة ، ٣٣ الاداب ، ٥٥ المعهد العالي للمعلمين ؛ ومن الجدير بالذكر ان هذه النسبة زادت في السنين التالية زيادة كثيرة ؛ ولا سيما في كليتي الطب ( على انواعه ) والاداب. وفي اربع سنين فحسب كاد عدد طالبات الجامعة يتضاعف : فقد بلغ ٥٠١ طالبة في العام الدراسي الجاري ، وذلك من ٢٤٠٤ ، وهو مجموع عدد طلاب الجامعة من الجنسين ؛ اي بنسبة ٢١ في المئة تقريباً .

ويوزع هذا العدد على الكليات كما يلي :

| | |
|---|---|
| كلية الطب بفروعها المختلفة ( الطب ، الصيدلة ، الاسنان ، التمريض ، والقبالة ) | ١٣٦ |
| كلية الحقوق | ٥٤ |
| كلية الهندسة | ٣ |
| كلية الاداب | ١٨١ |
| كلية العلوم | ٥٥ |
| المعهد العالي للمعلمين | ٧٢ |
| المجموع | ٥٠١ |

ولما تلطف الدكتور قسطنين زريق رئيس الجامعة السورية باعطائي هـذا الاحصاء عقّب عليه بقوله : « وهي نسبة عالية جداً لجامعة شرقية ، خصوصاً انه لم يمض وقت طويل على فتح باب التعليم العالي للفتيات فيها . »

هل تستطيع المرأة السورية في وقتها الحاضر الجمع بين المنزل والحياة السياسية ؟

سؤال وجهه الاستاذ نديم ابو اسماعيل في باحة الجامعة السورية على بعض طالباتها ، فاجاب بعضهن بنعم والبعض الاخر بلا . وهن الاوانس : عواطف حفار ، نهلة قبـاني ، فاطمة الحسيني ، هاجر صادق ، دلال شطي ، مديحة عنبري ، فرزة زكريا ، غادة المرابط ، رباب حفار ، دلال عظمة ، نجاح طرابلسي .

---

هذا واذا اخذنا بعين الاعتبار الفرق في عدد طالبات الجـامعة السورية بين سنتي ١٩٤٨ و١٩٥٢ تبين لنا قدر اقبال الفتيات على العلوم العاليـة ، وادركنا

ايضاً مقدار الانقلاب الفكري الذي اصاب المجتمع السوري ، في قضية المرأة ، ولا سيما اذا اخذنا بعين الاعتبار الزيادة الكثيرة في نسبة عدد الفتيات اللواتي غادرن وطنهن ، الى بيروت واوروبا واميركا ، في سبيل تحصيل العلوم العالية ، والتخصص .

وقد قدرت الحكومة حق التقدير هذه الوثبة الجبارة التي وثبتها السورية غير عابئة بالتيارات الشعبية المعاكسة، فشرعت وزارة المعارف تعتمد على بعض المثقفات وتعهد اليهن بالوظائف المختلفة : فعينت كلاً من السيدة نهلا حمصي (خازندار ) ، والآنسة نديدة قدسي ، والآنسة صبرية محيي مفتشات في الوزارة. هذا فضلاً عن كثيرات غيرهن في شؤون التربية والتعليم. وما نخص منهن بالذكر كلاً من الآنسة عناية رمزي بدمشق ، والآنسة رصينة بهاء الاميري بحلب الا لما عرفناه شخصياً من ادبها العالي وثقافتها الواسعة .

كما ان وزارة الصحة، التي اختارت الآنسة سمية حكيم لرياسة ديوان الوزارة، وظفت في الدوائر التابعة لها عدداً غير قليل من حاملات شهادة الطب .

وشاءت الحكومة ان تفتح عهداً جديداً للمرأة في الوزارات الاخرى حينما وظفت كلاً من الآنستين حياة مالكي، وطلعة رفاعي مفتشة في وزارة الشؤون الاجتماعية ؛ وهما مجازتان في الحقوق .

على ان عدداً كبيراً من المجازاة غيرهما في الحقوق اختار الاعمال الحرة على الوظائف الحكومية: فالآنسة بوران طرزي والسيدة مالك كباره تعاطتا المحاماة ولمعتا فيها ؛ كما ان الآنسة هيام مردم بك تشغل وظيفة مرموقة في مكتب الانباء الاميركي ؛ والآنسة سعاد عجلاني تدير مؤسسات عديدة في القرى ، انسانية وثقافية ، تابعة لمؤسسة الشرق الادنى الاميركية .

هذا الى ان المرأة السورية استطاعت ان تفرض ايضاً احترامها لدى الحكومة في الناحية القومية ، وان تنال جزائها على تضحياتها في هذه الناحية : فقد مشت مع الرجل في صف واحد ، مدة ربع قرن ونيف ، في ميدان النضال ضد الاستعمار ، وشاركته في بذل الارواح والاموال ، حتى اذا بلغ الوطن امنيته في الاستقلال لم يسعه الا ان يعترف لها بحقها السياسي . واستهل هذا الاعتراف بمنحها حق « التصويت » في انتخاب اعضاء المجلس النيابي . فكانت المرأة

السورية هي الاولى بين نساء الشرق العربي من حيث نيل هذا الحق السياسي .

**وفي مصر** حيث أبى ، من قبل ، الخديو عباس حلمي السماح للاستاذ قاسم امين بان يجعل كتابه « تحرير المرأة » مقدماً الى سموه ، وذلك مراعاة للرأي العام الثائر على نصير المرأة ، لم يمض الا سنون حتى اقبل الناس على تربية بناتهم وتعليمهن ، وصاروا يتباهون بالمعلمات منهن والمثقفات .

وقد بادروا في مصر سنة ١٩٢٥ الى انشاء اولى كليات البنات في القاهرة ؛ ثم اعلنوا سنة ١٩٣٧ التعليم الالزامي للجنسين على السواء . وبلـــغ من سرعة تطور افكارهم في حق المرأة ان نهض الاستاذ عبد الحميد عبد الحق ، احـد اعضاء المجلس النيابي ، وصعد الى منبر المجلس سنة ١٩٣٨ ، وشرع يدعو الى الاعتراف بمنح المصرية حق اختيار نوابها(١) .

على ان اكبر برهان على ما حدث من التطور الفكري في وادي النيل هو ذلك الاقبال الشديد من قبل الفتيات على مدارس الاناث ، وتهافتهن على طلب العلوم العالية ، سواء أكان ذلك في كليات مصر او سواها . وما هي الا سنون معدودات حتى اصبحنا نقرأ بغبطة ان الآنسة لطفية النادي نالت شهادة الطيران من لندن سنة ١٩٣٤ ؛ وان الآنسة درية فهمي احرزت الدكتوراه في الآداب من السوربون بباريس سنة ١٩٣٥ ، وتوظفت استاذة للاداب في الجامعـة المصرية ؛ وان الآنسة سميرة العلماوي فازت برتبة شرف حينما منحتها الجامعة المصرية درجة ماجستر في الاداب سنة ١٩٣٧ ؛ وان الآنسة نعيمة الايوبي احرزت الدكتوراه في الحقوق .

ونحن لا نقتصر على التنويه بهؤلاء الاوانس الا لانهن كن باكورة النهضة العلمية العالية ؛ خصوصاً وانه لم يأت على ذلك الا قليـل حتى كاد عدد حاملات

(١) من الجدير بالذكر هنا ، بمناسبة التطور الفكري الذي حدث بمصر ، ان قاسم امين ، الذي يعتبر نصير المرأة الاول ، كان هو نفسه قبل حين ضد السفور . روى ذلك الاستاذ فارس نمر باشا في مقال له نشرته مجلة المصرية ( ايلول ١٩٣٧ ) التي كانت تصدر عن دائرة هدى هانم شعراوي باشا . قال : « وهنا اصرح بحقيقة لا يكاد يعلمها احد الا ندرة في مصر . وهذه الحقيقـة ان كتاب قاسم امين الذي رد فيه على دوق دار كير لم يكن في صف النهضة النسائية التي كانت تمثلها الاميرة نازلي ، بل كان الكتاب يتناول الرد على مطاعن المؤلف الفرنسي ، ويرفع من شأن الحجاب ، ويعـده دليلاً على كمال المرأة ، ويندد بالداعيات الى السفور ، واشتراك المرأة في الاعمال العامة » .

الشهادات العالية لا يدخل في حصر . ثم كان من نتيجة ذلك مساهمة المصرية في الاعمال العامة : وقد زاول كثيرات منهن المهن الحرة مثلما ان عدداً غير قليل من حاملات الشهادات المدرسية العالية قبلن في شتى الوظائف. غير ان لجنة قبول المحامين الشرعية رفضت ، قبل بضع سنين ، طلب الآنسة عطيات حسن الشافعي ان تكون محامية امام المحاكم الشرعية استناداً الى مبدأ « عدم وجود السابقة ». بينما ان مثل هذا التحفظ لم يرد في لجنة المحامين المدنيـة التي قبلت السيدات في صفوف المحامين . هذا وتعتبر الآنسة فتحية نعيمو ، التي قبلت سنة ١٩٣٣ في مصلحة التليفونات التابعة لوزارة المواصلات الآنسة الاولى بين المصريات اللواتي قبلن في الوظائف الرسمية ؛ كما ان الآنسة أمينة الحفني التي استخدمت سنة ١٩٥٠ في مصنع الغاز في حي السبتية بمدون ، على مقربة من القاهرة ، كانت المهندسة الاولى بين المصريات الموظفات .

على ان ارادة المصرية لم تقف عند هذا الحد ، بل سمت الى أرفع من المساهمة في أعمال الكسب ، وآية ذلك ما رأيناه من الحماس الذي حدث في الاوساط النسائية حينما وثبت مصر وثبتها الاخيرة للتحرر من معاهدة سنة ١٩٣٦ بعد ان ضاقت ذرعاً من المماطلة المصطنعة التي كانت تلجأ اليها لندن سنين عديدة في صدد تعديلها : اجل فما ان وقعت الواقعة في خريف ١٩٥١ بين المصريين والانكليز، وتنادى رجال الكنانة لاجلاء المحتلين عن القنال حتى خفت نساؤها للسير في الطليعة، وتألفت فرقة منهن اخذت تتدرب على الاعمال العسكرية تحت اشراف جمعية بنات النيل التي ترئسها الدكتور درية شفيق .

**وفي لبنان** حيث كانت القيامة قد قامت سنتي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ على السفور ودعاته ، ونصب الميزان ، اخترق النساء الحواجز الشائكة كلها ، في ظرف ربع قرن، فاذا المجتمع اللبناني غير المجتمع، واذا النساء لا يختلفن في شيء عن الرجال في المرتبة الاجتماعية ، واذا اللبنانية ، وقد حزّ في نفسها ان تبقى محرومة من الحقوق السياسية ، تقيم الارض وتقعدها ، في شتى الوسائل ، للاعتراف لها في المساواة العامة كاملة ؛ وهي تستند في ذلك على كفاءتها العلمية .

وليس بوسعي احصاء اللواتي احرزن في لبنان الشهادات العالية لان عددهن يكاد لا يحصى ؛ ولكني ، وانا احرص على التنوية بهن ، اقتصر على ايراد الاسماء التي تحضرني، معتذراً من اللواتي يفوتني ذكر اسمائهن. فابدأ بحاملات الدكتوراه:

– أ – في الطب السيدات والاوانس :

١ – انسطاس بركات باز – بيروت – احرزت الشهادة سنة ١٩٠٥ من جامعة دوتريت مشيغن ، وتخصصت في بوست كرادويات في نيويوك . وتعتبر اللبنانية الاولى التي احرزت شهادة الطبابة ؛ ولعلها العربية الاولى ايضاً .

٢ – سنيه حبوب – بيروت – نالت الشهادة سنة ١٩٣١ من جامعة بنسلفانيا في اميركا ، وهي المسلمة الاولى في لبنان التي نالت شهادة الطبابة وزاولتها . وقد اصبحت موضع الثقة العامة .

٣ – ادما ابو شديد – بيروت – دكتورة في الطب من الجامعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٣١ ، ومن جامعة جون هوبكنز في بالتيمور ( اميركا ) سنة ١٩٣٢ .

٤ – آلين صافي – بيروت – خريجة معهد الطب الفرنسي في بيروت سنة ١٩٣١ ، ومتخصصة بامراض الاطفال في فرنسا .

٥ – هدية رفاعي – طرابلس – خريجة الجامعة السورية بدمشق سنة ١٩٣٧

٦ – ميّ سعادة – طرابلس – خريجة الجامعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٤٥

٧ – آسيا مصطفى العيتاني – بيروت – خريجة الجامعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٤٩ ، وهي موجودة الآن في اميركا للتخصص ، والممارسة .

– ب – في الصيدلة السيدتان :

١ – زهية بركات – بيروت – اللبنانية الاولى التي احرزت شهادة الصيدلة في اوائل القرن الحالي ، وذلك من جامعة ماين (اميركا) ؛ ومارست المهنة ، ولها صيدلية تديرها بنفسها .

٢ – املي صافي – بيروت – خريجة المعهد الفرنسي في بيروت سنة ١٩٣٥ ، ولها صيدلية تديرها بشخصها .

– ج – في العلوم والآداب السيدات والاوانس:

١ – نجلا ابو عز الدين اللبنانية الاولى التي احرزت « دكتور في التاريخ » وذلك من جامعة شيكاغو (اميركا) ؛ وهي تشرف الآن على التعليم في الكويت.

٢ – سلوى نصار اللبنانية الاولى التي تحمل لقب « دكتور في العلوم » من جامعة في اميركا . برنكلي كاليفورنيا

٣ – زهية قدورة اولى اللبنانيات في احراز دكتوراه في التاريخ الاسلامي،

وذلك من جامعة فؤاد الاول بمصر عام ١٩٥١ .

٤ ـ اكرام صغير دكتور في الحقوق من جامعة باريس سنة ١٩٥١ .

واما حاملات الليسانس، او ما يعادلها من الدرجات العلمية العالية فأحصاؤهن يكاد لا يدخل في حصر . وربما كانت الآنسة بلانش عمون ، والآنسة نينا طراد المجليتين في هذا المضمار : فقد احرز كل منهما درجة ليسانس في الحقوق سنة ١٩٣١ من المعهد الفرنسي في بيروت . ثم جاء بعدهما فريق آخر من الاوانس احرزن مثل هذه الشهادة تباعاً ، نذكر منهن لور نصر، وسوزان أسير ، وهيفا طباره ، ومريم عيتاني ، وإفاقة زعني . واحرز فريق آخر من الاوانس درجة ليسانس في العلوم الاخرى؛ وهن كثيرات، وانما نقتصر على ذكر اللواتي وصلت الينا اسماؤهن فحسب ؛ لواحظ مسيكة في العلوم ، وانعام صغير في الفلسفة ، وزاهية دوغان في التربية والتعليم . على ان عدداً غير قليل من بناتنا في المهجر اصبح يحمل ايضاً هذه الشهادات العالية ؛ وحبذا لو اتاحت لنا الفرصة التنويه بهن مثلما ننوه بالآنسة لوسي رشيد (بيت مري) التي قرأنا عنها انها احرزت، في مطلع عام ١٩٥٢، درجة « معلم فنون » من جامعة ولاية سوث كارولينا .

واما درجة بكلريوس علوم ( B.A. ) فما اوفر عدد بناتنا اللواتي ادركنها من جامعات عديدات، ولا سيما من الجامعة الاميركية في بيروت؟: فبينما ان الآنسة رجاء بنت الدكتور احمد الشريف احرزت هذه الدرجة من معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن، فان كثيرات غيرها حصلن عليها من الجامعة الاميركية في بيروت ؛ بينهن السيدتان سيرين الحسيني شهيد ، وادفيك جريديني شيبوب ، والاوانس عزيزة الزين ، وممدوحة السيّد ، وفاطمة الزين ، ودنيا مروة ، الموجودة الآن في اميركا للتخصص بالصحافة ، ونهلا مروة ، ويسرى محمد علي بيهم ؛ كما ان الآنستين لميا عبد الكريم سباعي وعائدة سعد الدين عانوتي تحرزان هذه الشهادة في هذا العام .

هذا وكان من الطبيعي ان يتبع نشاط النساء العالمي تطلع شطر ممارسة الاعمال بغية استثمار الجهود ، وتحصيل الاموال . فسجلت المرأة نجاحاً في بعض الاعمال التي مارستها بينما كان نشاطها في البعض الآخر غير مشجع . ففي المحاماة وفي القضاء كان نصيب بناتنا غير مشجع اسوة باخواتهن في العراق وغير العراق. وتعتبر الآنسة مرغريت نعمة الفتاة الاولى التي قبلت في دار العدل حيث

استخدمت متمرنة في محكمة الصلح الاجنبية عهد الانتداب الفرنسي .

واما في الطب والصيدلة وما اليهما فكان المجال امام اللبنانية ارحب ؛ وكما توجد في بيروت اكثر من صيدلية تتولى ادارتها سيدة فان سيداتنا اللواتي

في الحفلة التي اقامها مؤلف الكتاب في داره للاستاذ ملاتيوس خوري مندوب الارجنتين التقافي (١٤-١٢-١٩٥١) يتحدث المحتفى به الى الاستاذ رشاد المعرفي دارغوث ، وحولها بعض الاوانس اللواتي نوهنا بهن في هذا الفصل ، فتراجمه الاوانس : انعام صغير ، والدكتور اكرام صغير ، وليلى لابيدي . بينما تقف الى جانبه الآنسات مريم وصديقة عيتاني ، ثم المؤلف فالاستاذ محي الدين محمصاني نقيب الصيادلة في لبنان ، والاستاذ المهندس صلاح عيتاني

احرزن الدكتوراه في الطب يزاولن المهنة بنجاح، ولا سيما في الامراض النسائية، وادواء الاطفال . هذا فضلًا عن كثيرات من القابلات القانونيات والممرضات

الفتيات . وللطبيب الانساني الدكتور مصطفى الخالدي يد بيضاء ، ولا سيما في انشائه مدرسة التمريض الوطنية ( بيروت ) التي تهدي العالم العربي كل عام نخبة من الممرضات الماهرات .

على ان الناحية التعليمية والتربوية كان لها الحظ الأوفر عند اللبنانيات اسوة باخواتهن في العالم قاطبة : ويكاد عدد المعلمات والموظفات في مدارس الحكومة وغيرها يعادل عدد المعلمين . ومثلما وقع اختيار جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت على الآنسة زاهية دوغان لادارة كلية البنات التابعة لها ، واستخدمت الحكومة الآنسة إفافة زعني مفتشة في وزارة التربية الوطنيـــة ، وانتدبت الدكتورة زهية قدوره لتدريس التاريخ الاسلامي في الجامعة اللبنانية ، فان الجامعة الاميركية وقع اختيارها على الدكتوره ادما ابي شديد لتدريس الامراض النسائية في فرع الطب : كما ان ادارة الجمرك اعتمدت على مدام شهاب في الشؤون العائدة للصيدلة .

وفضلاً عن ذلك ، فان بعض فتياتنا اهلهن تحصيلهن العالي للحصول على وظائف اخرى مرموقة : فالآنسة ممدوحة السيّد ، التي تخصصت في جامعة برن هام في علم الشؤون الاجتماعية ، اختارتها ، لجنة اغاثة اللاجئين بلبنان ، التابعة لهيئة الامم المتحدة ، لاشغال وظيفة محترمة كي تكون صلة وصل بينها وبين الحكومة والجمعيات واللاجئين ، كما ان السيدة ادفيك شيبوب عهدت اليها الاذاعة اللبنانية ببعض اعمالها ، بينما ان قسماً آخر من حاملات الشهادات العالية مارس الاعمال الحرة : فالسيدة شيبوب المشار اليها تولت ، بالاضافة الى وظيفتها في الأذاعة ، رئاسة تحرير مجلة صوت المرأة ، والآنسة يسرى بيهم ، التي احرزت درجة B A في فرع الكيمياء تشارك اخاها عصام بك في ادارة مختبره الكيماوي .

على انه يصح القول ان الحكومة اللبنانية تأخرت في الاستفادة من بناتها المتعلمات بالنسبة لبعض الحكومات العربيات الاخرى ، ولا سيما في التمثيل الخارجي ، ولكنها مع ذلك قد فتحت هذا البـــاب حينما عينت الآنسة انجيلا جرداق سكرتيرة في مفوضيتهـــا بواشنطن ، وانتدبتها لتمثيلها في لجنة حقوق المرأة التابعة لهيئة الامم المتحدة . وقد وقّعت الآنسة جرداق باسم لبنان الميثاق الدولي الذي ينص على تأمين حقوق نساء العالم في النواحي الثقافية والاقتصادية . هذا فضلاً عن اختيار الحكومة بعض حاملات الشهادات العـالية لاشغال بعض

الوظائف الادارية ، نذكر منهن الدكتوره اكرام صغير التي شغلت وظيفة في وزارة الخارجية . ثم لما وقع اختيار الحكومة على السيدة لور ثابت لتمثيل المرأة اللبنانية في الدورة السادسة للجنة شؤون المرأة التابعة للامم المتحدة التي عقدت في سويسرا منذ ٢٤ اذار ١٩٥٢ ؛ قلنا مرحى... « واول الغيث قطر ثم ينهمل » .

ويطيب لنا ان يكون مدار الكلمة الاخيرة هنا التنويه بالروح الطيبة التي سرت في نفوس فتيان لبنان وفتياته منذ قيام العهد الاستقلالي : فقد اعرب تلامذة المدارس العليا في هذه الجمهورية ، اواخر عام ١٩٥١ ، عن ارادتهم بتقرير التدريب العسكري في المدارس استعداداً للطوارىء ؛ والحفوا في الطلب ، ثم اضربوا حتى اذعنت الحكومة لهم . فاذا الطالبات يرفعن اصواتهن ايضاً ؛ ويتقدم وفدمنهن يمثل المدارس اللبنانية ويعلن، امام رئيس الحكومة، عن رغبته الشديدة في ان يشمل التدريب العسكري الطالبات اسوة بالطلاب .

* * *

هكذا وخلال صياح المحافظين وانتقاداتهم انقلب الشرق العربي ، ومثله الاسلامي، في قضية المرأة انقلاباً لم يكن في حسبان احد ؛ كل ذلك خلال ربع قرن فقط ؛ ولا يزال التطور مستمراً حتى سوف لا يبقى فارق بين القوي المتبوع والضعيف التابع .

« ان هذا الحديث كان قديماً وسيبقى هذا الحديث قديماً »

هناك في الغرب خفّت قوى جبارة ، كان يخضع لها الغرب، للوقوف في وجه التمدن العربي ؛ وهناك تضافرت الكنيسة مع بعض الدول لاكتساح بلاد الاسلام ومكافحة تعاليمه . ولكن لا الكنيسة ، ولا الانتصار الذي احرزه الصليبيون في البلاد المقدسة وغيرها استطاعا ان يدفعا التمدن العربي ، وان يحولا دون اكتساحه اوروبا ، ودون تلقيحه اياها بجراثيم التمدن والتجدد .

اما في الشرق حيث لا قوى روحية ، ولا دول قوية تصون تقاليده وتذب عن تعاليمه ، وحيث ارتمى ابناء دولة الخلافة دفعة واحدة في احضان التجدد ؛ فماذا يدفع عنه تيار هذا التجدد ؟

— لا شيء !!!

لذلك كان علينا ان نتعظ بكلمة حكيمة قالها ابن عمنا احمد مختار بك بيهم

في خطاب القاه قبل ٣٧ سنة في نادي « الفتيات المسلمات » ببيروت ، النادي الذي ورد ذكره في الصفحة الرابعة من هذا الكتاب . قال رحمه الله وهو يعالج مثل هذا الموضوع :

« العاقل اللبيب من اذا توقع حدوث طارىء كهذا استعد له قبل وقوعه متخذاً التدابير الاستعدادية ليأمن شره ، او يخفف على الاقل من اضراره . لان مجرد الاستخفاف والانتقاد لا يمنع وجود الخطر . »

أجل علينا ان نعد العدة للتجدد المحتوم قبل وقوعه ، فان كان خيراً فتحنا له قلوبنا ، ومشينا في طليعته آملين ان نكون من حملة العلم في مواكبه ؛ وان كان شراً ألفينا ، باستعداداتنا التي اعددناها سلفاً ، قوة قد تساعدنا على تحويل اضراره ام تخفيفها .

اما الحملات الانتقادية التي ما زلنا نحملها على كل تطور ، ونسوقها ضد كل تجدد، فما هي ، في الواقع ، الا كالعويل في الفضاء ، لا يجلب خيراً ولا يدفع ضراً ؛ خصوصاً في عصر ضغط باختراعاته على الكون فجعله صغيراً ، بل جعله عالماً واحداً .

**كلمتي الى اخواني المجددين**

واجهت قضية المرأة في خطواتها الاولى العقبات والمصاعب التي تواجهها كل قضية في بداية امرها ، وقد تحمل الرواد الاولون والرائدات الذين خطوا هذه الخطوات التبعات ، فكانوا كبش الفداء . ولكن ما ان فتح الباب امام هذه القضية حتى شرعت تجري مجراها الطبيعي بمقتضى روح العصر . وكان لها مواسم تروج في بعضها ، ويعتريها في البعض الآخر الجمود . ثم تعود سيرتها الاولى دواليك .

وبعد فان الحرب العالمية الاولى كانت لها بين الناس ، ولا سيما في الاوساط النسائية ، عواقب مختلفة الالوان . فالرغبة في العلم ، والاعتماد على النفس ، والانفلات من التقاليد المضرة كانت من المخلفات الطيبة التي تركتها تلك الحرب بين نساء الشرق . فتهافتن ، من ثم ، على انشاء الاندية الادبية والاجتماعية ، وعلى تأليف الجمعيات ، وادارة المؤسسات الخيرية .

والفتاة المسلمة ، التي كانت قبل الحرب ، تحرص على ان تلزم بيتها ، ولا تغادره الا ان ترافقها والدتها ، او من يقوم مقامها ؛ والتي كانت تثنيها خجلاً مقابلة غير محرمها انثناء الغصن مسّه الهواء ؛ والتي كانت ، من قبل ، تعتبر نفسها غير

مسؤولة عن الواجبات الاجتماعية ، حتى ولو كانت بمثابة فروض عينية ؛ كزيارة المرضى والاهل ، وكالقيام بالتهاني والتعازي . ان هذه الفتاة الخجولة ، التي تبقى صغيرة وان كبرت ، انقلبت ، بعد الحرب وبتأثير احداثها ، الى آنسة عصرية رزينة جريئة اثبتت شخصيتها، وبرهنت على استقلالها . فقد صارت ، من ثم ، تحمل التبعات فتحضر وتزار ، وتحضر احياناً الحفلات الادبية في « الوست هول » في الجامعة الاميركية ببيروت وغيرها ، ناهيك بالعطف الذي اظهرته نحو العلم والمدرسة حتى أصبح الاقبال على دور العلم « مودة » ، وصار تعلم اكثر من لغة واحدة أمنية. ولا زلنا نذكر كيف ان الطالبات كن يتباهين بحمل الكتب ؛ وكيف كنّ يعرضنها على الانظار في رواحهن الى المدارس وغدوهن .

وحدث اثر نشاط الحركة النسائية الاسلامية في لبنان نشاط مثله في الاوساط النسائية المسيحية ، رافقها تقارب بين زعيمات الملتين العاملات ، وتعاون على تأليف الجمعيات المشتركة بغية تحرير المرأة على وجه عام؛ وتحسين احوالها . هذا فضلاً عن الرواج الذي حدث في موضوع المرأة. وكان يبدو جلياً بصدور المجلات النسائية(١) وبعناية بعض الصحف بشؤون المرأة ؛ ونشرها على التوالي مقالات لبعض الكاتبات .

هذا وكانت الحركة النسائية بدمشق ، عقب الحرب العالمية الاولى ، انشط منها في بيروت ؛ لان عهد الحكم الفيصلي الهاشمي في سوريا كان عهد ثورة اجتماعية اصلاحية عامة شملت ايضاً القضية النسائية . وكان لولب نشاط الحركة النسائية في

(١) على اثر انتهاء الحرب العالمية الاولى التي كان لها الفضل في نشاط الحركة النسائية في بلاد الشام ، وبتأثير قوة الاستمرار ، صدر في لبنان خمس مجلات نسائية، وهي : ١ - الفجر للأميرة نجلا ابي اللمع. ٢ - مينرفا للانسة ماري بني. ٣ - المرأة الجديدة للسيدة جوليا طعمة دمشقية. ٤ - الحياة الجديدة للسيدة حبوبة حداد . ٥ - الخدر للانسة عفيفة صعب . غير ان الجمود الذي عمر القضية النسائية بعد حين، بالاضافة الى انصراف الناس الى الشؤون السياسية، حال دون استمرار هذه المجلات على الصدور . ولكن سيدة واحدة من سيدات لبنان استطاعت ان تكافح المصاعب الصحفية ، واعني بها السيدة الفيرا لطوف صاحبة جريدة « المستقبل » التي تصدر عن طرابلس . وهي اللبنانية الاولى التي انشأت جريدة سياسية، ثم تمكنت من التغلب على المصاعب . وفي غرة نيسان ١٩٥٢ دخلت جريدتها عامها الرابع عشر . فلها منا التهاني، وصدرت منذ بضع سنين في بيروت مجلة « صوت المرأة » ولا تزال ، فنرجو لها الاستمرار والنجاح .

ذلك العهد جمعية نور الفيحاء(١) التي انشئت سنة ١٩١٨ على الروح العربية الاستقلالية . وفتحت مدرسة لبنات الشهداء كانت اولى مدارس البنات الخاصة ، كما اصدرت رئيسة هذه الجمعية الآنسة نازك العابد مجلة « نور الفيحاء » وكانت لسان حال هذه النهضة . وكان بنات الاسر الكريمة يتسابقن للتعليم في هذه المدرسة الخيرية مجاناً ، ويتبارين في خدمة اهداف الجمعية القومية . وخلال هذا الجو الرحب استأنفت مجلة العروس صدورها لصاحبتها الآنسة ماري عجمي .

غير ان الثورة الاصلاحية الاجتماعية التي رافقت حكم الملك فيصل في سوريا لم تلبث ان اصطدمت بالخطر الفرنسي المداهم . ولما همّ الافرنسيون باكتساح سوريا صدرت ارادة الحكومة بتأليف جمعية «النجمة الحمراء» النسائية « في ٧ تموز ١٩٢٠» وذلك برياسة الآنسة نازك العابد، وبعضوية سائر عضوات جمعية نور الفيحاء. والغاية منها ان تؤدي اعمال الصليب الاحمر في السلم والحرب . فقام سيدات هذه المؤسسة بخدمة المستشفيات الثابتة والنقالة ، واعداد لوازمهـا ، وصدر مرسوم ملكي بواسطة وزارة الحربية بتوجيه رتبة رئيس فخري في الجيش لحضرة الرئيسة برقم ١٦٧٢ وتاريخ ١٩٢٠/٧/١٧ . ثم لما زحف الجنرال غورو على دمشق وهب يوسف بك العظمة لدفعه عنها رافقت رئيسة هذه الجمعية وبعض عضواتها الجيش السوري الى ميدان الحرب . وما ان صرع يوسف بك العظمة في ميسلون حتى القين أنفسهن فوق جثمانه لمعالجته ، وبودهن لو يفدين مثله الوطن بارواحهن .

ثم اعترى النهضة النسائية في سوريا ما اعتراها من ركود بعد الاحتلال الفرنسي ، وكان يرجع ذلك الى الحذر من الاجنبي ، والانصراف الكلي الى النضال في سبيل الاستقلال ؛ واصاب النهضة ايضاً مثل هذا الجمود في الاوساط الاسلامية بلبنان ، كما اشرنا الى ذلك من قبل ، حتى اذا كانت سنة ١٩٢٨ بدأ

(١) يطيب لنا ايراد اسماء اعضاء هذه الجمعية للتنويه بالنشاط الذي حصل وقتئذ في الاوساط العليا النسائية بسوريا . وهي : الرئيسة الاولى الآنسة نازك العابد ، الرئيسة الثانية الآنسة سعاد مردم بك . امينة الصندوق الآنسة فاطمة مردم بك ، الكاتبة الآنسة اسعاف نابلسي = العضوات السيدات عقائل السادة فارس الخوري ، امين الترزي ، علاء الدين الدروبي ، عبد اللطيف العسلي ، يوسف العظمة ، الشريف جميل ، نوري السعيد ، جعفر العسكري ، محمد علي التميمي ، والاوانس فرلان مردم بك ، شفيقة محسين قدري ، عصمة تيمي ، سلوى غزي ، لبلى ترزي ، فائزة المؤيد ، بهيره محمد العظم ، منيره بنا .

نشاط نسائي جديد في بلاد الشام داخلها وساحلها ، ولكنه كان موقوتاً لما رافقه من نشاط اشد منه من قبل خصوم المرأة ز ولا سيما في لبنان .

الآنسة نازك العابد بلباسها العسكري ترافق الجيش في موقعة ميسلون على رأس فريق من بنات الاسر السورية من اعضاء « النجمة الحمراء »

ففي ذلك العام عقدت اجتماعات نسائية متوالية في قصر مصطفى باشا العابد بدمشق بدعوة من كريمته الآنسة نازك آل امرها الى تأليف «جمعية يقظة المرأة الشامية » برياسة عائشة خانم عقيلة محي الدين باشا الجزائري . وكانت غايتها توجيه

المرأة شطر الحياة العملية وفقاً لمؤهلاتها واستعداداتها . ولا تزال هذه الجمعية قائمة وترأسها الآن سعاد خانم مردم بك .

وفي السنة التالية تألفت « جمعية دوحة الادب » وغايتها نشر العلم والادب في الاوساط النسائية ، وكان في طليعة مؤسساتها الآنسة أمة اللطيف المؤيد ، والسيدة عادلة بيهم الجزائري التي ترئسها حتى الآن .

لجنة المرض النسائي الثالث الذي اقامته جمعية النهضة النسائية سنة ١٩٢٧ والذي نتكلم عنه في الصفحة التالية
الجالسون : من اليمين السيدات : سلمى صايغ ، نجلا كفوري ، ايفا ثابت ، الاستاذ موسى نمور ، الشيخ بشاره خليل الخوري .
الواقفون : السادة جرج ثابت ، محمد جميل بيهم ، الياس فياض

هذا ، ولعل النشاط النسائي في لبنان خلال سنة ١٩٢٨ كان اشد منه في سائر البلاد العربية : وكان مداره « جمعية النهضة النسائية » التي كانت ترئسها السيدة لبيبة فيليب ثابت . وقد اقامت هذه الجمعية معرضها الثالث في الكلية العلمانية ابتداء من ٩ نيسان ١٩٢٨ ، اشترك فيه اصحاب الصناعات في سوريا ولبنان ؛ وكان معرضاً موفقاً . كما ان جمعية « المجمع النسائي الادبي العربي » التي كانت ترئسها السيدة نور حمادة نشطت الى العمل، رغم معاكسات واجهتها ، فكانت تعقد الحفلات لاستماع المحاضرات . وقد استهلتها بحفلة تكلم فيها الاستاذ فيلكس فارس ، والآنسة احسان احمد . (١) هذا فضلاً عن نشاط الاتحاد النسائي اللبناني العربي .

والى هذا فقد اشتركت ٢٥ جمعية من الجمعيات النسائية في سوريا ولبنان في اقامة « المؤتمر النسائي » ابتداء من ١٨ نيسان ١٩٢٨ وكانت مواضيعه لا تتعدى: حقوق المرأة في الزواج ـ العادات والاقتصاد ـ تربية الولد على حب العمل ـ اللغة والقومية ؛ وذلك مراعاة للرأي العام .(٢) ولكني تجاوزت هذه المواضيع ـ البيتية ـ في الحفلة التي اقمتها في داري للمؤتمرات المشار اليهن عقب انتهاء اعمال المؤتمر . وفي خطابي الذي رحبت فيه بالمشتركات في المؤتمر دعوت نساءنا الى العمل في نطاق أوسع اسوة بنساء الغرب ، وناشدتهن التأهب لخدمة الوطن، وخدمة انفسهن بالتالي عن طريق القيام بخدمة الوطن. وقد ضربت مثلاً على مكانة المرأة في خدمة المجتمع الغربي ، حيث قلت :

«من كان يظن ان الرجل الذي عكف على الزراية بالمرأة خلال ايام السلم سيفتقدها اذا ما نشبت الحرب اظفارها كما يفتقد البدر في الليلة الظلماء ؟

اجل فقد التفت اللورد هادن اثناء الحرب العظمى ، التفت يمنة الى الاسطول الانكليزي العظيم ، والتفت يسرة الى الجيش الانكليزي الجرار فانقلب اليه البصر خاسئاً وهو حسير ، ذلك لانه ايقن ان النصر يحتاج الى قوة هي اشد من الاسطول الذي يملأ البحار ، وهي اوفى من الجيش الذي يدخر الحديد والنار . ان النصر يحتاج، حاجة قصوى، الى اشتراك المرأة في النضال ، فنادى باعلى صوته في البرلمان البريطاني قائلاً :

---

(١) اديبة مصرية كانت تتلقى علومها وقتئذ في الجامعة الاميركية وتساهم في الحركة النسائية، وقد تزوجت ، فاصبح اسمها السيدة احسان احمد القوصي ، وكان لي حظ الاجتماع بها وبزوجها الفاضل في صيف ١٩٥١ بلبنان .

(٢) كانت لجنة المؤتمر تتألف من السيدات والاوانس : لبيبة فيليب ثابت رئيسة ، عنبره سلام نائبة رئيسة ، هدى ضومط ، امينة المقدسي ، نور حمادة ، روز شحفه ، سرين نجيب مصور ، ابتهاج قدورة ، نجلا كفوري .

« ان عظمة القوى التي نجابهها اضطرتنا لان نجهز الامة جمعاء لمقاتلتها ، ولكن لا الجيش ولا الاسطول يستطيعان ان يقاتلا بغير مساعدة المرأة » . (١)

هذا وخلال ذلك النشاط النسائي الذي تجلى في لبنان شرعت بعض النساء المسلمات بحضور الاجتماعات الادبية العامة ، خلافاً للعادات المرعية ، وبادر بعضهن الى التردد على المعارض والحفلات والمسارح . وكان فريق منهن يسفرن اثناء الاجتماعات.

وقد قابل الناس هذا الخروج عن المألوف بالتذمر ، ولكنه كان تذمراً خافتاً يتردد احياناً في الاجتماعات الخاصة ، ثم لا يمضي دون افتقاد انصار المرأة بشتى التهم والافتراءات .

ولكن ما ان اصدرت الآنسة نظيرة زين الدين كتابها القيّم « السفور والحجاب » سنة ١٩٢٨ حتى ثارت العاصفة. وكان مرد ذلك الى ان المؤلفة الفاضلة اعتقدت ان في التعمد لاثارة الموضوع كل الفائدة ، فوجهت كتاباً الى صاحب السماحة الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت ، المشهور بورعه واستقامته ، كانت كأنما تدعوه فيه الى المناظرة ، وتدعو من ورائه علماء الاسلام. كما انها وجهت رسالة ، باللغة الافرنسية ، الى المفوض السامي الفرنسي جعل الناس يرتابون ويتقولون. وعقب صدور كتابها الثاني « الفتاة والشيوخ » وجهت الآنسة رسالة اخرى الى المفوض السامي الفرنسي تطلب فيها تدخل المفوض لحماية المسلمة من ضغط المحافظين. وكان لهذا العمل اثر بالغ خصوصاً وان المسلمين كانوا لا يعترفون بالانتداب ، ولا يسمحون لاحد من عماله ان يتدخل في شؤونهم ، ولا سيما في ما كان منها يتعلق بالامور الدينية.

لذلك فقد اعتبرت الاوساط الاسلامية هذا التصرف بمثابة تحدٍ مكشوف ، فانهالت عليها الردود القاسية بكتب ومقالات ، واصاب رشاش هذه الردود انصار المرأة. وكان رشاشاً محشوا بالشتائم والافتراءات. وقد دونت في مذكراتي وقتئذ بعض تعليقات على هذه الاحداث وبعض الملحوظات ، انقل هنا شيئاً منها قصد تبيان رد الفعل الذي حدث عن ذلك الذي اسموه تحدياً : قلت :

« يلاحظ مما نسمع ونرى ان الرأي العام الاسلامي لا يزال ، في الواقع ، يميل الى المحافظة في قضية المرأة ، بل انه يعارض اشد المعارضة كل تبدل فجائي فيها : والدليل على ذلك ما نراه خلال الزوبعة التي اثارها كتابا « السفور والحجاب » « والفتاة والشيوخ » من انحياز معظم الطبقة المتعلمة ، والنساء

(١) هذا الخطاب ، مع بعض شذرات من خطابيْ السيدة هدى شعراوي ، والآنسة وداد محمصاني اللذين القيا في داري ، نشرت في الكتاب الذي اصدره المؤتمر وجمع فيه خطبَ المؤتمرات وقراراتهن .

الراقيات ، الى صفوف الحاملين على السفور . هذا فضلاً عن ان الصحف الاسلامية مشت في الطليعة ، وشرعت تنشر تباعاً مقالات تنتقد السفور ، وتحمل على انصاره » .

والواقع ان اثارة الموضوع على هذا الشكل كان لها رد فعل سيء ؛ افضى الى وقف الحركة النسائية ، وادى الى القضاء على نشاطها سنين كثيرة حتى نسي الناس ذلك الذي عدوه تحدياً .

ونحن لم نورد هذا البحث التاريخي تدوينا للتاريخ ، لاننا لا نتوخى التعرض له في هذا الكتاب المتواضع الا للاستشهاد بحوادثه والاعتبار ، خصوصاً واننا قد اعددنا تاريخاً خاصاً في نهضة الشرق النسائية ، سنصدره مستقلاً وننوه فيه برائداتها وزعيماتها ، والعاملات فيها . ولكنا وددنا الاستعانة هنا بالتاريخ لنخلص منه الى القول ان النهضة النسائية التي تقوم على المساواة بين الرجال والنساء سائرة سيرها الطبيعي ، شئنا ام ابينا ، وفقاً للسنن الطبيعية التي اشرنا اليها من قبل. واما تعهد اثارة موضوعها ، ولا سيما على شكل يثير العواطف ، فهو مضر ويفضي الى النكوص والجمود ، وذلك بجمعه قوى المعارضة ، وتأليفه بينها للوقوف موقف النضال ضد المرأة وقضيتها .

ومن المفيد في الختام ان اصارح اخواني المجددين بأن سنة ١٩٢٨ اعطتني درساً مفيداً حملني على ان اتحول ، من بعد ، في صدد الانتصار للمرأة ، عن طريقة الالحاح والجدل والضوضاء الى طريقة : « ادع الى سبيل ربك في الحكمة والموعظة الحسنة » .

ويطيب لي ان اقدم هذه النصيحة الى اخواني انصار المرأة ، ولا سيما في البلاد الشرقية حيث لا تزال المرأة فيها تتطلب نجدتهم و « ولا ينبئك مثل خبير » .

وبعد . اثناء الحركة الوطنية التي كان يتولاها الحزب الوطني وزعيمه مصطفى كامل باشا رغب بعضهم الى المؤرخ الكبير جرجي زيدان منشىء مجلة « الهلال » الراقية ابداء رأيه في تلك الحركة . فاجابهم بمقال قيّم نشر في الهلال ، وكان عنوانه « علموهم وكفى » ، اشار فيه الى وجوب السعي للاستقلال عن طريق العلم.

« وعلموهن وكفى » هو شعاري ايضاً في صدد تحرير المرأة الشرقية ومساواتها المطلقة . على ان تكون التربية الرفيعة قرينة للعلم ، وعلى ان يكون العلم والتربية قائمين على اعتبار ان فتيات اليوم نساء الغد ، هن مخلوقات لزمن آخر غير زمننا .

# فهرست الاعلام


- ا -

آ - ابونيه مؤلف افرنسي ١٧
ابتهاج قدورة رئيسة الاتحاد
٤ - ٨١ - ٨٤ - ١١٩
ابن ارطاة عامل معاوية ٧٥
ابن خلدون صاحب المقدمة ٩٦
ابن رشد الفيلسوف ٧٣
ابو الوفا عبدالحميد النعماني عالم هندي ٦
احسان احمد القوصي اديبة مصرية ١١٩
احسان راشد بيهم وجيهة لبنانية ٥٣
احمد عزة العابد معتمد السلطان ٤٥
احمد شوقي امير الشعراء ٢٢
احمد مختار بيهم سري بيروتي ١١٤
احمد نامي « « ١٠٣
ادفيك جريديني شيبوب ١١١ - ١١٣
اديت ريشاني وجيهة لبنانية ٧٠
ادما ابوشديد طيبة ٥٢-١١٠-١١٣
ادوار جيبون مؤلف انكليزي ٧٣
ادولف هتلر ٥٠ - ٦٢ - ٧٦ - ٧٧
ارتاتي سودبروغو من وفد اندنوسيا ٧٨
آ - روبيير مؤلف فرنسي ٦٨
ارنست له كوفه « « ٦٩-٨٧
اروى بنت الحارث بن عبدالمطلب ٧٤
اسرار احمد السهروردي اديب هندي ٦
آ - ستيفنسن كاتبة انكليزية ١٠١
اسعاف توفيق الهبري وجيهة لبنانية ٥٣
اسعاف نابلسي وجيهة سورية ١١٧
اسكت اريجان عالم انكليزي ٩٨
آسيا مصطفى عيتاني طيبة لبنانية ١١٠
افاقه زعني مفتشة بلبنان ١١١-١١٣
افريل ( مدام ) مؤلفة افرنسية ٦٨
إكرام صغير دكتور ١١١-١١٢-١١٤
الحسين بن علي ( الامام ) ٧٤
الخنساء الشاعرة ٧٣
الزبير بن العوام الصحابي ٧٣
الزرقاء بنت عدي مناضلة عربية ٧٤
الطبري المؤرخ ٧٣
العباس بن الاحنف الشاعر ٤٤
الفة خانم ... ٨٦
الفيرا لطوف صحافية لبنانية ١١٦
المسيح ( السيد ) ٦٨ - ٩٨
النكي مؤلفة ٣٦
الياس فياض وزير وشاعر ١١٩
أ - لودج (السير) مؤلف انكليزي ٦٩
الين صافي طبيبة لبنانية ٥٢ - ١١٠
الينور فرانكلين روزفلت ٦٣-٦٤-٧٨
ام الخير العظم طبيبة سورية ١٠٥
ام الخير بنت حريش مناضلة عربية ٧٤
امان الله خان شاه ايران ٣٤
ام جشمة مناضلة عربية ٧٤

امة اللطيف المؤيد وجيهة دمشقية ١١٩
امة سعيد عميدة كلية الملكة عالية ١٠٥
امرفيل ( مدام ) فلكية انكليزية ٢١
امريت كور اميرة وزيرة هندية ٦٠
ام سنان مناضلة عربية ٧٤
ام فخري البارودي وجيهة سورية ٥٧
أملي صافي شهادة صيدلية لبنانية ١١٠
أملي فارس ابراهيم اديبة لبنانية ٨١
ام وهب مناضلة عربية ٧٤
أميل زيدان احد صاحبي دار الهلال ٢٤-٢٦
اميليو لود فيج مؤلف ٣١
اميمة خانم ..... ٨٩
امين الحولي اديب لبناني ٩٧
امين مجيد ارسلان الامير اللبناني
والوزير ١ — ٢٩ — ٣٠ — ٣١ — ٣٢
امينة الحفني مهندسة مصرية ١٠٩
امينة المقدسي اديبة مربية لبنانية ١١٩
امينة شريف وجيهة بلبنان ٤
انجيلا جرداق المفوضية اللبنانية ١١٣
انسطاس بركات باز طبيبة لبنانية
١٠٢ — ١٠٣ ١١٠
انسنت الثالث قداسة البابا ٦٩
انش- جي- ولن الكاتب الانكليزي ٣٥
انعام صغير ليسانس فلسفة ١١١ — ١١٢
أنيتا موهل دكتورة ٥٩
اوتون ملك المانيا ٩٩
اولغا مشاطي مدام رامي ٥٢
اوليفر فرنس ( السير ) سفير ٧٧
ايفا ثابت وجيهة لبنانية ١١٩
ايفا حبيب المصري اديبة مصرية ٧

— ب —

بديعة افنان مندوبة العراق في
هيئة الامم ٧٨ — ١٠٥
برلنت عصمة العظم طبيبة دمشقية ١٠٥
بشاره خليل الخوري ( الشيخ )
رئيس الجمهورية اللبنانية ١١٩
بشرى حص اديبة لبنانية ٥٣
بطرس ابيلار عالم فرنسي ٩٨
بكارة الهلالية مناضلة عربية ٧٤
بنيتو موسوليني عاهل ايطاليا
٣١ — ٥٠ — ٦٢ — ٧٦ — ٧٧
بهيجة نبيه العظمة اديبة سورية ٧
بهيرة محمد العظم وجيهة سورية ١١٧
بوارن طرزي محامية ١٠٥ = ١٠٧
بول آكر عالم فرنسي ٥٨
بولس القديس ٤٠ — ٤١
بلانش عمون ليسانس حقوق لبنان ١١١
بيرانجه ده تور عالم فرنسي ٩٨
بير كنز وزيرة العمل بواشنطن ٨٣
بيرون اللورد الانكليزي ٢٠
بيسون عالم فرنسي ٨٣
بيشوف « « ٢٠ — ٣١
بيكت المطران الانكليزي ٩٩

— ت —

تاج الدين الحسيني الرئيس ١٠٢

ترابو ( القومندان ) حاكم لبنان ٢٥
تشمبرلن رئيس وزارة لندن ٦٢ - ٦٣
تور كنيف الاستاذ ٢٠

— ث —

ثابت عبد النور نائب عراقي سابقاً ١٠١

— ج —

جان جاك روسو العالم الفرنسي ٨٢
جرجي زيدان المؤرخ الكبير ١٢٢
جمال كرم حرفوش طبيبة لبنانية ٨١
جميل صدقي الزهاوي الشاعر العراقي
١-٨-١٨-٢٩- ٣٦-٣٧-٣٨-٤٤
جورج ثابت وجيه لبناني ١١٩
جورج حكيم استاذ لبناني ٥١
جوزيف ضو نائب لبناني ٨٠
جوليا طعمه دمشقية اديبة لبنانية ١١٦
جوانان عالم مؤلف ٩٨
جه‌روم دوبراك عالم فرنسي ٩٩
جون ملك انكلترا ٩٩

— ح —

حافظ ابراهيم الشاعر المصري ٨
حبوبة حداد اديبة لبنانية ١١٦
حبيبة شعبان يكن رئيسة الشابات
٥٣ - ٦٤ - ٨٤
حسن الاسير طبيب لبناني ١٠٣
حسني الزعيم الرئيس السوري ٨٠
حليمة بربير وجيهة لبنانية ٥٣
حنا هوس عالم بوهيمي ٩٩
حياة المؤيد العظم وجيهة سورية ١٠٢
حياة مالكي سورية مجازة بالحقوق ١٠٧

— خ —

خالد بن الوليد القائد العربي ٧٣
خليل المطران شاعر القطرين ٨
خليل ايليا بيدس ؟ ٦
خولة بنت الأزور البطلة العربية ٧٣

— د —

دار كير الدوق الفرنسي ١٠٨
دارمية الحجونية مناضلة عربية ٧٤
داغستاني . الآنسة الدمشقية ٧
دبوا دوبرن عالم فرنسي ١٧
درابر المؤرخ الفرنسي ٩٧-٩٨
درية شفيق دكتورة مصرية ١٠٩
درية فهمي دكتورة بمصر ١٠٨
دلال شطي طالبة في الجامعة السورية ١٠٦
دلال عابد براج وجيهة شامية ٥٣
دلال عظمة في الجامعة السورية ١٠٦
دنيا مروه ب - ع - ٥٣ - ١١١
دنيكز عالم مؤلف ١٧
دوك مورني عالم مؤلف ٢٠
دي بيلي عالم مؤلف ٣٠

= ر =

راحيل زوجة يعقوب ٩٠
رباب حفار في الجامعة السورية ١٠٦
رجاء الشريف ب. ع. لبنانية ١١١
رشاد دارغوث اديب لبناني مؤلف ١١٢

رصينة بهاء الاميري استاذة حلبية ١٠٧
رمزية خوجة المفوضية العراقية بوشنطن ٥٣
روبسبيير عالم فرنسي ٨٢
روحي الخياط طبيب سوري ١٠٥
روز اللوز طبيبة عراقية ١٠٤
روز شحفه اديبة لبنانية ١١٩
روزفلت تيودور الرئيس ٦٢ — ٦٣
رؤوشة القوتلي وجيهة سورية ٧
ريتشارد قلب الاسد ملك انكلترا ٩٩
ريجار الثاني ملك صقلية ٩٧

— ز —

زاهية دوغان ليسانس ١١١ — ١١٣
زليخا الاسدي طبيبة عراقية ١٠٤
زهرة الجزائري (الاميرة) ٥٧
زهرة اليوسف العابد عقيلة الرئيس ٧٠
زهرة محمد بيضون وجيهة لبنانية ٥٣
زهنية نابلسي وجيهة سورية ٥٧ — ٧٠
زهية ايوب اديبة لبنانية ٥٢
زهية بركات مجازة في الصيدلة ١١٠
زهية قدورة دكتور ١١٠ — ١١٣
زوجة خولي بن زيد مناضلة عربية ٧٤
زوجة مالك بن نسير » » ٧٤
زينب الكبرى » » ٧٤
زينب مخيش وجيهة لبنانية ٥٢ — ٥٣

— س —

ساطع الحصري العالم السوري ١٠٠
سامي الصلح رئيس الوزارة اللبنانية ٢
ساميه خانم ... ٨٩
سامية محمد بيهم وجيهة لبنانية ٥٢
ستى ام الحرام ٧١ — ٧٢
سرية الخوجه العراق في هيئة الامم ١٠٥
سرين شهيد الحسيني ب. ع ٥٣ — ١١١
سرين نجيب مصور وجيهة بيروتية ١١٩
سعاد اسعد نيازي طبيبة عراقية ١٠٤
سعاد ابو الهدى كريمة الرئيس الاردني ٥٢
سعاد عجلاني وجيهة سورية ١٠٧
سعاد مردم وجيهة سورية ١١٧ — ١١٨
سعد زغلول الزعيم المصري ٣٤ — ٦٦
سعدية سعيد طبيبة عراقية ١٠٤
سعيد مراد الكرمي (الشيخ) ٧٩
سلمى خانم ... ٨٨ — ٨٩
سلمى صايغ اديبة مربية لبنانية ١١٩
سلمى عمري مجازة بالحقوق بدمشق ٨٩
سلوى سهيل العلبي اديبة سورية لبنانية ٥٣
سلوى سلامه اطلس صحافية ١-٢٤-٢٨
سلوى غزي وجيهة سورية ١١٧
سلوى نصار دكتور علوم لبنانية ١١٠
سمية حكيم رئيسة ديوان بدمشق ١٠٧
سميرة العلماوي مصرية ماجستر ١٠٨
سنودن اللورد الانكليزي ٦٩
سنيه وجيه الايوبي وجيهة سورية ٧
سنيه حبوب طبيبة لبنانية ٥٢-٦٤-١١٠
سورة بنت عمارة الهمدانية ٧٤ — ٧٥
سوزان اسير ليسانس حقوق لبنانية ١١٠
سوزان انطوني — اميركا ٤٣ — ٧٦

— ش —

شريف عسيران طبيب بغداد ١٠٤
شفيقة تحسين قدري وجيهة عراقية ١١٧
شفيقة غندور قابلة قانونية بيروت ٥٢
شقيقة الباندیت نهرو سفيرة الهند ٧٧
شكري زيدان صاحب دار الهلال ٢٤
شهاب ( مدام ) جمرك بيروت ١١٣
شوشنيك رئيس وزارة النمسا ٧٧
شيللر العالم الانكليزي ٢٠

— ص —

صبرية يحي مفتشة في معارف سورية ١٠٧
صديقة مصطفى عيتاني اديبة لبنانية ١١٢
صلاح مصطفى عيتاني مهندس لبناني ١١٢

— ط —

طلحة الصحابي ٧٣
طلعة رفاعي الشاعرة السورية ١٠٧

— ظ —

ظافرة سلطان جلاد وجيهة سورية ٥٣

— ع —

عادلة بيهم الجزائري ٤ — ٧ — ٥٧ — ١١٩
عائدة عانوتي ب. ع. لبنانية ١١١
عائشة ( السيدة ) ٧١ — ٧٣ — ٧٤
عائشة قرنفل وجيهة لبنانية ٥٣
عباس خديو مصر ١٠١ — ١٠٨
عبد الحميد الثاني السلطان ٤٥ — ٩٤
عبد الحميد عبد الحق نائب مصري ١٠٨
عبد الرحمن الناصر — الامير محمد ٩٩
عبد الرحمن شهبندر ( الدكتور )
١ — ٣٣ — ٣٤ — ٣٥ — ٦٦
عبد القادر المغربي ( الشيخ ) ١٠٢
عبدالله اليافي ( الدكتور ) ٨١
عبدالله بن عامر صحابي ٧٣
عبدالله سماره وجيه فلسطيني ٥٣
عثمان بن عفان ( الخليفة ) ٧٣
عزمي والي بيروت ٠٤
عزيزه الزين ب. ع. لبنانية ١١١
عصمة تميمي وجيهة فلسطينية ١١٧
عطيات حسن الشافعي مجازة بالحقوق ١٠٩
عفيفة صعب اديبة لبنانية مربية ١١٦
عفيفة كرم « لبنانية اميركية »
١ — ٢٤ — ٢٦ — ٢٧
عقيلة الشريف جميل ( هاشمية ) ١١٧
عقيلة امين ترزي وجيهة سورية ١١٧
« حقي العظم وجيهة سورية ١١٧
« جعفر العسكري وجيهة عراقية ١١٧
« عبداللطيف العسلي وجيهة سورية ١١٧
« علاء الدين دروبي وجيهة سورية ١١٧
« فارس الخوري وجيهة سورية ١١٧
« فاضل الجمالي وجيهة عراقية ١٠٥
« كمال المحيش وجيهة لبنانية ٤
« محمد حماده « « ٤
« محمد علي التميمي « فلسطينية ١١٧
« محمد علي علوبة « مصرية ٧
« محي الدين الجزائري ٧ — ١١٨

عقيلة نوري السعيد وجيهة عراقية ١١٧
« يوسف العظمة « سورية ١١٧
عكرشة بنت الاطرش ٧٤ — ٧٥
علي بن ابي طالب — الامام — ٧٣ — ٧٤
عماد العمري في المفوضية العراقية ٨٩
عمر بن الخطاب — الخليفة — ٤٣ — ٧٠
عناية رمزي استاذة سورية ١٠٧
عنبره سلام الخالدي وجيهة ٤ — ١١٩
عواطف حفار الجامعة السورية ١٠٦

— غ —

غادة المرابط الجامعة السورية ١٠٦
غاندي مهاتما الزعيم الهندي ٦٦ — ٨٦

— ف —

فارس نمر احد صاحبي المقطم ١٠٩
فاطمة الحسيني الجامعة السورية ١٠٦
فاطمة قرنفل وجيهة لبنانية ٥٣
فائزه المؤيد « سورية ١١٧
فائزه خانم ... ٨٩ — ٩٤
فاطمة الزين ب. ع لبنانية ١١١
فاطمة مختار بيهم وجيهة لبنانية ٤
فاطمة مردم بك العابد سورية ١١٧
فاكا كرتوفا مندوبة تشيكوسلوفاكيا ٧٨
فانس (الاوديسة) ٩٠
فائزة خانم... ٨٩
فتحية نعيمو المصرية الاولى بالوظيفة ١٠٩
فروزة زكريا الجامعة السورية ١٠٦
فردريك الثاني ٨٣ — ٩٧ — ٩٨ — ٩٩
فرنكلن روزفلت الرئيس الاميركي ٨٣
فرلان مردم بك وجيهة سورية ١١٧
فطينة العظمة وجيهة سورية ٠٠٧
فلورنس عالم ١٧
فلومينا يازجي اديبة وموظفة لبنانية ٥٥
فؤاد عز الدين اديب لبناني ٥١
فؤاد الاول الحديو ١١١
فوتيوس خوري (المطران) ٨٧
فورتينه ازريال طبيبة ٥٢ — ٥٤
فولتير الشاعر الفرنسي ٣٠
فولكان (الاوديسة) ٩٠
فيصل بن الحسين ملك العراق
٤٠ — ٦٦ — ١٠٤ — ١٠٦
فيلكس فارس اديب لبناني ١١٧
فيليب العادل ملك فرنسا ٩٩

— ق —

قاسم امين نصير المرأة المصري
٤٣ — ٦٥ — ١٠١ — ١٠٨ — ١٠٩
قسطنطين زريق رئيس الجامعة السورية ١٠٦

— ك —

كاترين سعد اديبة لبنانية ٥٢
كرستين رسام طبيبة عراقية ١٠٤
كرشلوف عالم سلافي ٣٠
ك. فوكت عالم واستاذ ٢٠
كلثم طباره وجيهة لبنانية ٥٣
كنفوشيوس صاحب المذهب ٢٢
كوتشالك الراهب الالماني ٩٨

كوريث اشبي رئيسة الاتحاد ٨٣
كوفيه عالم فرنسي ٢٠
كلارك « « ٢١

— ل —

لبوة ارناؤوط سلطاني وجيهة لبنانية ٥٢
لبيبة فيليب ثابت وجيهة لبنانية ١١٩
لطفية النادي حائزة الطيران بمصر ٤٦-١٠٨
لميا عبدالكريم سباعي ب. ع لبنان ١١١
لميعة البدري طبيبة عراقية ١٠٤
لنجمن القاضي الاميركي ٨٤
لواحظ مسيكة ليسانس علوم لبنان ١١١
لور ثابت وجيهة لبنانية ٨١ — ١١٤
لور نصر ليسانس حقوق لبنان ١١١
لوريس ماهر طبيبة سورية ١٠٥
لنكولن الرئيس الاميركي ٦٩
لوسي راشد معلم فنون باميركا ١١١
لويد جرج الرئيس الانكليزي ٦٩
لابر وبير عالم فرنسي ٣١
ليلى ترزي وجيهة سورية ١١٧
ليلى خانم..... ٨٦ — ٨٧
ليلى لبابيدي اديبة لبنانية ١١٢
ليونس أسي مندوبة نروج بهيئة الامم ٧٨

— م —

ماجده دجاني اديبة فلسطينية ٥٣
ماريا ميتشل عالمة بالفلك ٢١
ماري..... ١٦ — ١٨ — ٢٠
٣٤ — ٣٥ — ٣٦ — ٣٨
ماري زيادة (مي) اديبة ٢٤—٢٥—١٠١
ماري سومرفيل عالم بالفلك ٢١
ماري يني (عطاالله) اديبة لبنانية ٢٨-١١٦
مادلين ارقش اديبة لبنانية ٥٢
ماكدونال الرئيس الانكليزي ٦٩
ماكس تورمان عالم ٤٩
محمد بن عبدالله الرسول العربي
١٢ — ٦٨ — ٧٠ — ٧٢ — ٧٣ — ٩٨
محمد جميل بيهم المؤلف ١ — ٩ — ٥٣-٨٨
محمد علي العابد الرئيس السوري ٤٥
محمد علي جنه زعيم الباكستان ٦٦
محمد علي ( الزعيم الهندي ) المؤلف ٣٤
محمد كرد علي (المجمع العلمي بدمشق) ١٠٣
محمود الثاني السلطان العثماني ١٠٠
محي الدين محمصاني نقيب صيادلة بيروت ١١٢
مديحة عنبري الجامعة السورية ١٠٦
مرسيل بريفوست مؤلفة فرنسية ٣١
مرسيل سلمان طبيبة عراقية ١٠٤
مريم مصطفى عيتاني ليسانسيه ١١١—١١٢
مسرة خانم... ٩١ — ٩٢
مصطفى الخالدي الطبيب اللبناني ١١٣
مصطفى العابد والي الموصل ٥٧
مصطفى فروخ الرسام اللبناني ٧١
مصطفى كامل الزعيم المصري ١٢٢
مصطفى كمال اتوتارك ٣٤ — ٧٨ — ٨٨
مصطفى نجا مفتي بيروت ١٢٠
معاوية بن ابي سفيان الخليفة ٧١-٧٤-٧٥
معروف الرصافي شاعر العراق ٨

ملك كباره حلبي محامية سورية ٥٨
ممدوحة السيّد ب.ع بلبنان ١٠٧-١١٣
موسو العالم الفرنسي ١٧
موسى نمور رئيس مجلس النيابي ١١٩
منيا نقاش وجيهة لبنانية ٥٣
منيرة بنا وجيهة سورية ١١٧
منيرة عبد القادر العظم طبيبة سورية ١٠٥
ملاتيوس خوري مندوب الارجنتين ١١٢
مي سعاده طبيبة لبنانية ١١٠

— ن —

نابليون الاول ٣١ - ٦٢ - ٦٣
ناجي بيضون طبيب لبناني ٥٣
ناديا خانم..... ٨٧
نازك العابد - قرينة المؤلف - ٧ - ٥٢
٥٣ - ٥٦ - ٥٧ -٨٥-٨٦-١١٧-١١٨
نازلي الاميرة المصرية ١٠٨
نجاح خانم..... ٨٦
نجاح طرابلسي الجامعة السورية ١٠٦
نجلا ابواللمع الاميرة اديبة لبنانية ٥-١١٦
نجلا راشد بيهم وجيهة لبنانية ٤
نجلا ابوعز الدين دكتور تاريخ لبنانية ١١٠
نجلا كفوري اديبة لبنانية ١١٩
نجيب العرداتي طبيب لبناني ٥٥
نديدة قدسي مفتشة معارف سورية ١٠٧
نديم ابو اسماعيل اديب لبناني ١٠٦
نظيره زين الدين ( الحلبي ) اديبة لبنانية
٥٢ - ١٠٣ - ١٢٠
نعمة بيضون قرنفل رئيسة العناية بالطفل ٥٣
نعيمة الايوبي (دكتور) بمصر ٧٠ - ١٠٨
نهلا حمصي مفتشة معارف سوريا ١٠٧
نهلا قباني الجامعة السورية ١٠٦
نهلا مروه ب. ع. لبنان ١١١
نورة زيتون طبيبة عراقية ١٠٤
نور حماده وجيهة لبنانية ١١٩
نيكولوس الاستاذ ٣٠
نينا طراد ليسانس حقوق ١١١

— ه —

هاجر صادق الجامعة السورية ١٠٦
هدى..... ١٩ - ٢٣ - ٣٥ - ٣٦
هدى شعراوي الزعيمة المصرية ٦٣
هدى ضومط وجيهة لبنانية ١١٩ - ١٢٠
هدية رفاعي طبيبة لبنانية ١٠٨ - ١١٠
هلدن اللورد وزير بريطاني ١٢٠
هنري الثاني ملك انكلترا ٩٩
هنري الرابع امبراطور المانيا ٩٩
هنري ماريون عالم فرنسي ٦٠
هولو العابد زعيم سوري ٥٧
هيام مردم بك اديبة سورية ١٠٧
هيفا طباره ليسانس حقوق لبنان ١١١

— و —

وحيدة خالدي وجيهة عراقية ٤
وداد... ١١ - ٢٢ - ٣٣ - ٣٥ - ٣٦
وداد حمادة قابلة قانونية ٥٢
وداد طباره عانوتي اديبة لبنانية ٥٣

وداد محمصاني اديبة لبنانية ٢٨ - ١٢٠
ويكاف الفيلسوف الانكليزي ٩٩

— ي —

يزيد بن معاوية الخليفة ٧٤
يسرى بيهم ب. ع. لبنانية ١١١-١١٣
يعقوب النبي ٩٠
يوستنيانوس الامبراطور البيزنطي ٨٧
يوسف العظمة شهيد ميسلون سوريا ١١٧

---

## فهرس رسوم الكتاب

صفحة

٧ ممثلات البلاد العربية في المؤتمر النسائي الشرقي بالقاهرة سنة ١٩٣٨
٢١ ماري سومرفيل الرياضية الانكليزية الفلكية
٢٥ حفلة ادباء بيروت لتكريم الآنسة ( مي ) مريم زياده سنة ١٩٢٢
٣٧ الاستاذ الحكيم جميل صدقي الزهاوي
٥٣ بنات شهداء فلسطين في احدى صفوف معهد «جمعيه تأمين العمل للاجئي فلسطين»
٦٨ الينور روزفلت في حفلة جمعية الشابات المسلمات في بيروت
٧١ معاوية بن ابي اسفيان يركب البحر غازياً والى جانبه الشهيدة الرميصاء بنت ملحان ( ستي ام الحرام )
٩٧ الفيلسوف ابن رشد يحاضر تلاميذه في الاندلس
٩٩ المطران بيكت يحمل على هنري الثاني ملك انكلترا
١٠٥ بعض طالبات الجامعة السورية
١١٢ بعض حاملات الشهادات العالية اللبنانيات في دار المؤلف
١١٣ رئيسة النجمة الحمراء بثوبها العسكري في ميسلون
١١٤ المعرض النسائي في لبنان ( ١٩٢٧ )

---

# فهرست الكتاب

صفحة

٣ المقدمة

## الفصل الاول

### تضارب الاراء في قضية المرأة في مطلع القرن الحالي

١٠ اول مؤتمر للنساء في العالم العربي ١٩١٩
١١ الخطيبة الاولى الآنسة وداد . . .
١٦ الخطيبة الثانية الآنسة ماري . . .
١٩ الخطيبة الثالثة السيدة هدى . . .

## الفصل الثاني

### مختارات من اجوبة الاستفتاء ، في موضوع المؤتمر ، التي وردت سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٠

٢٤ ماري زيادة ( مي ) القاهرة
٢٦ الاستاذ اميل زيدان القاهرة
٢٦ السيدة عفيفة كرم نيويورك
المرأة كزوجة ، المرأة كأم ، المرأة كشريكة تجارية
٢٨ السيدة سلوى سلامه اطلس سان باولو

## الفصل الثالث

### مختارات من اجوبة الاستفتاء في موضوع المؤتمر التي وردت سنتي ١٩٣٣ و ١٩٣٤

٢٩ الامير مجيد ارسلان بونس ايرس
٣٣ الدكتور عبد الرحمن شهبندر القاهرة
٣٦ الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي بغداد

## الفصل الرابع

### رأي المؤلف في مواضيع المؤتمر ، وفي المساواة العامة بين الجنسين

٣٩ مساواة الجنسين في الفطرة والانسانية
٤٢ مساواة الجنسين في الحرية الذاتية
٤٥ مساواة الجنسين في طلب العلم
٤٦ مساواة الجنسين في العمل والكسب
٤٦ - ١ - هل اعمال الكسب مقتصرة فعلًا على الرجال ؟
٤٧ - ٢ - الاسباب التي حملت المرأة على الخروج للكسب
٤٩ - ٣ - وقوف الرجال في وجوه الكاسبات
٥٠ - ٤ - نساء الشرق يأتمن بنساء الغرب
٥٤ - ٥ - هل تستطيع المرأة مجاراة الرجل في اعمال الكسب ؟
٥٦ - ٦ - ما هي نسبة نجاح المرأة في مزاحمة الرجل ؟
٥٦ في الزراعة ٥٨ في الصناعة ٦٠ في المهن الحرة والفنون
٦١ - ٧ - هل يستطاع منع النساء من مزاحمة الرجال في الكسب ؟
٦٥ - ٨ - هل من الصالح خروج المرأة الشرقية لميدان العمل ؟
٦٨ مساواة الجنسين في الوظائف والخدمات العامة
٧٧ مساواة الجنسين في الحقوق السياسية
٧٧ - ١ - في عصر البعث القومي
٧٥ - ٢ - في التمدن الحديث
٧٨ - ٣ - في الشرق الادنى

## الفصل الخامس

### حديث الزريقية

٨٥ المساواة في الحقوق الاجتماعية
٨٦ - ١ - المساواة في الشهادة
٨٧ - ٢ - المساواة في الارث

صفحة

٩١ - ٣ - المساواة في المهر والبائنة
٩٣ - المؤلف يعلق على حديث الزريقية

## الفصل السادس

### كلمة الختام

٩٥ الانقلاب خلال ربع قرن في عالم المرأة
٩٦ كلمتي الى سادتي المحافظين
١٠٤ - ١ - الانقلاب في العراق
١٠٥ - ٢ - « « سوريا
١٠٨ - ٣ - « « مصر
١٠٩ - ٤ - « « لبنان
١١٤ - ٥ - ماذا يدفع تيار التجدد ؟
١١٥ كلمتي الى اخواني المجددين
١٣١ فهرست الاعلام
١٣٢ فهرست رسوم الكتاب

# كتب المؤلف المطبوعة

- ١ - المرأة في التاريخ والشرائع صفحاته ٢٧٦
ترجمه الى اللغة الاوردية مولانا ابو الوفا عبدالحميد النعماني ونشره تباعاً في جريدة « اجمال » الهندية سنة ١٩٣٣ .

- ٢ - فلسفة التاريخ العثماني صفحاته ٣٠٤
ترجم مولانا ابو الوفا عبدالحميد النعماني بعض فصوله الى اللغة الاوردية ونشرها تباعاً في جريدة اجمال سنة ١٩٣٣ .

- ٣ - المرأة في التمدن الحديث صفحاته ٢٨٠

- ٤ - اوليات سلاطين تركيا « ٨٠

- ٥ - الانتدابان في العراق وسوريا « ١٣٧
ترجم الى اللغة الفرنسية بكتاب عنوانه Les mandats نشرته مجلة المصرية L'Egyptienne التي كانت تصدرها زعيمة النهضة النسائية هدى شعراوي باشا
بالقاهرة ونشرته ابتداء من كانون الاول ١٩٣٣ حتى حزيران ١٩٣٦

- ٦ - فلسطين اندلس الشرق صفحاته ٢٨٢

- ٧ - قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور الجزء الاول صفحاته ٢٣٠
وهو يتناول تاريخ الامة العربية منذ العهد القديم حتى فجر نهضتها الحديثة

- ٨ - قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور الجزء الثاني صفحاته ٢٦٤
يستعرض نضال العرب في مشرقهم ومغربهم ضد الاستعمار منذ صدر العهد العثماني ويتناول عصرنا الاخير: عصر الاستقلال، معللاً الاسباب والمسببات ولا سيما في قضية فلسطين، وقد ترجمت خلاصة الجزأين الى اللغة الانكليزية بكتاب مستقل عنوانه : The arabe nation in its past and present
وهو على وشك الصدور .

- ٩ - الحلقة المفقودة من تاريخ العرب صفحاته ٢٤٠
وهو تاريخ العرب في مشرقهم ومغربهم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً منذ سقوط بغداد ١٢٥٨ م حتى نهاية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨م

- ١٠ - فتاة الشرق في حضارة الغرب صفحاته ١٣٥

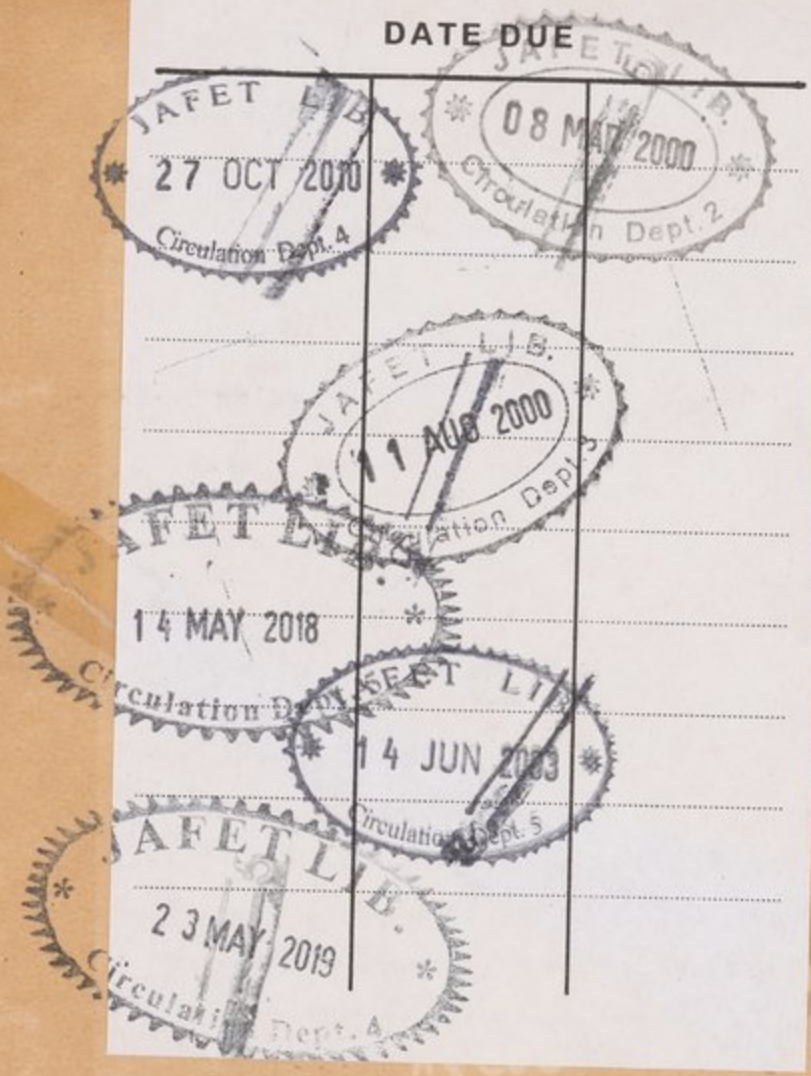
DATE DUE
SAFETY LIB.
27 OCT 2010
Circulation Dept. 4
08 MAY 2000
Circulation Dept. 2
11 AUG 2000
14 MAY 2018
14 JUN 2003
Circulation Dept. 5
23 MAY 2019

396.1:B35fA:c.1
بيهم، محمد جميل
فتاة الشرق في حضارة الغرب
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01023793

American University of Beirut

396.1
B35fA

General Library

396.1
B35fA